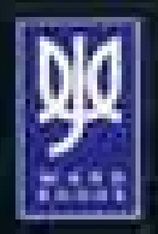
أوراق الملك فيصل ملك العراق

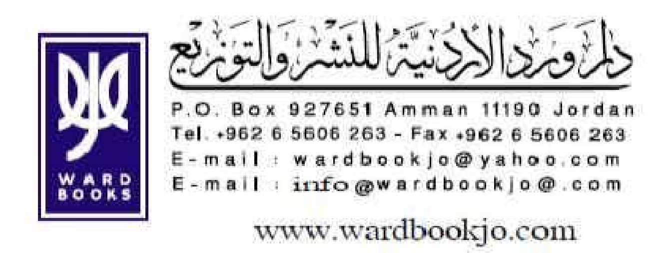
أ. محمد يونس العبادي



أوراق الملك فيصل الأول ملك
العراق

Hamad Khalifa

- أوراق الملك فيصل الأول ملك العراق
- أ. محمد يونس العبادي / كاتب من الأردن \
- الطبعة الأولى : 2014
- حقوق النشر والتوزيع محفوظة:



www.wardbookjo.com

- الإشراف الفني : محمد الشرقاوي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : 2013/10/3746

ردمك ISBN 978 - 9957 - 565 - 27 -5

طبع بدعم من
ديوان الدوق ممدوح البشارات

أوراق الملك فيصل الأول
ملك العراق

إعداد وجمع وتحرير
محمد يونس العبادي



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم : سليمان الموسى

إذا خطر لأحد الباحثين أن يختار أعظم شخصيات العرب المشارقة في القرن العشرين، فلا ريب في أن اسم فيصل بن الحسين سوف يكون بين العشرة الأوائل من تلك الشخصيات. ومع أن فيصل بن الحسين غني عن التعريف بالنسبة للمثقفين العرب ذوي الإطلاع، فإن تداعيات هذه المقدمة تقتضي جملة إشارات تتعلق بهذه المجموعة من المذكرات والدراسات التي تضمها دفتا هذا الكتاب.

لقد أحسن صديقي الأستإذ الباحث محمد يونس العبادي، في اختيار هذه الفصول المفيدة والممتعة.والحقيقة أنه بلغ الذروة هنا في تقديم جانب من يوميات فيصل، لم يسبق له أن نشر على نطاق واسع، وفي هذا الصدد أغامر فأقول أن فيصل بن الحسين كان زعيماً استثنائياً بين الزعماء العرب، من حيث أنه كان حريصاً على تسجيل خواطره وانطباعاته، بشأن ما يعرض له من مواقف حرجة. كان شعوره قوياً بأهمية التاريخ، وتدوين الجوانب التي يجب أن تكون رافداً أصلاً للتاريخ.

وقد كان من حسن حظي أنني وجدت مجموعةً من يوميات فيصل وخواطره، بين أوراق الأمير زيد بن الحسين، فقمت بنشرها في أجزاء كتابي (المراسلات التاريخية). ولكنني وجدت فيما كشف الأستإذ العبادي النقاب عنه هنا، مادةً جديدةً لم يسبق لي إلاطلاع عليها، في خلال السنوات الأربعين التي أمضيتها باحثاً ومنقباً في هذا الموضوع بالذات.

وإذا سمحت لنفسي أن أعدد أسماء الزعماء البارزين في المشرق العربي، خلال القرن العشرين، تبادرت إلى الذهن أسماء: الشريف الحسين بن علي

ونجليه عبد الله وفيصل، وعبد العزيز آل سعود ونجله فيصل، وجمال عبد الناصر وأنور السادات ونوري السعيد والحسين بن طلال وحافظ الأسد، فلكل واحد من هؤلاء الزعماء القيادين صفات ومواهب وانجازات، ارتفعت بها شهرته وذاع صيته.

كان فيصل بن الحسين يتمتع بصفات قل أن اجتمعت لشخص واحد .

ومن أعظم صفاته مقدرته الفائقة على كبح جماع عواطفه، وقد كان من موهبته في ذلك ما حدثني به أحد السياسيين الأنكليز من أنه كان يستحيل على المرء وهو يتحدث إليه، أن يعرف حقيقة ما يضمر في دخيلة نفسه. ومن هنا جاء وصف رئيس وزراء فرنسا الشهير كليمنصو له، بأنه فيصل العميق The Subtle ومن صفاته العظيمة أنه كان يحظى بمحبة وولاء جميع الذين عملوا معه وعرفوه معرفة وثيقة.

خاض فيصل معارك الحروب وهو مايزال في مطلع شبابه، فقد تولى قيادة القوات التي حشدها والده الحسين في عام ١٩١٢، لإخضاع الأدريسي حاكم عسير، الذي أعلن عصيانه على الدولة العثمانية وتحالف مع الإيطاليين. وفي أثناء الثورة العربية الكبرى، تولى قيادة الجيش الشمالي، فزحف على رأسه من أطراف المدينة المنورة، إلى العقبة وبعدها إلى درعا ودمشق وحلب.

وفي ميدان السياسة كانت لفيصل جولات واسعة، فقد انتدبه والده لإجراء مباحثات مع قادة الدولة العثمانية، وهو الذي انضم إلى عضوية جمعية (العربية الفتاة)، وبعد الحرب العالمية الأولى انتدبه والده لكي يمثل العرب في مؤتمر السلام (١٩١٩). وفي ٨آذار ١٩٢٠بايعه السوريون (أبناء سورية الطبيعية) ملكاً.

وهو الذي سار على المبدأ السياسي الشهير "السياسة فن الممكن"والمبدأ الآخر" خذ وطالب".

هناك وسيلتان تلجأ الأمم إليهما لحل المشاكل: الحرب أو السياسة. وفي البداية خاض العرب الوسيلة الأولى، ولكن لحقت بهم الهزيمة : أولاً في تربة والخرمة (١٩١٩) وتالياً في ميسلون (١٩٢٠). لذلك اضطروا إلى اتباع الوسيلة

الثانية، وسيلة السياسة.

ومن هنا سافر فيصل إلى بريطانيا وأخذ يطالب حكومتها بالوفاء بالعهود التي قطعتها للعرب. وكان من تداعيات السياسة أن بريطانيا لجأت إلى الألتقاء مع العرب في منتصف الطريق.

وكان تأسيس دولتين عربيتين في شرقي الأردن والعراق، خطوةً كبيرةً نحو تحقيق الهدف النهائي. وبالفعل لم يلبث إلانتداب أن زال، وحصل العراق أولاً على الإستقلال بفضل سياسة فيصل المرنة والحكيمة، ودخل عضواً في (عصبة الأمم) عام ١٩٣٢، فكان العراق أول دولة عربية تنضم إلى عضوية تلك الجمعية العالمية .

قيل أن فيصل أخفق في سوريا وكان النجاح حليفاً له في العراق. الحقيقة أن السبب يعود إلى سياسة فرنسا التي كانت تريد أن تحكم سوريا حكماً مباشراً، بينما كانت سياسة بريطانيا أكثر مرونة وواقعية، فسارت على سياسة التفاهم وإلالتقاء مع العرب في منتصف الطريق.

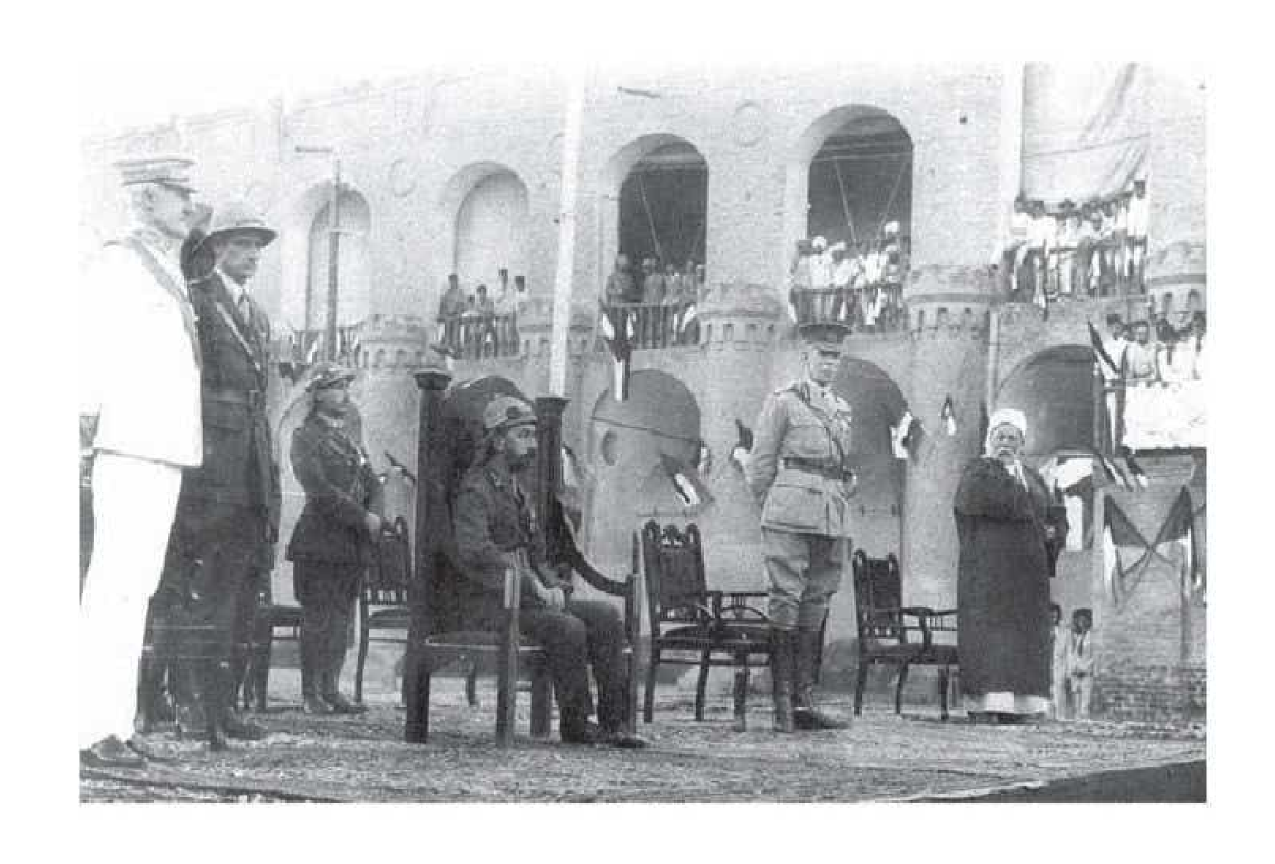
من المهم أن فيصل لم يدفع العرب للسير في دروب المغامرات والمزايدات (كما فعل عبد الناصر). كان يعرف حده فيقف عنده، ليس عن تخاذل بل عن واقعية وبعد نظر وعقلانية .

أشتهر فيصل بطول البال والمرونة. كان يكتم عواطفه في صدره. من هنا أصاب قلبه الإرهاق، وأخذ وهو في الخمسين من العمر يبدو وكأنه ابن سبعين، وهكذا رحل عن هذه الدنيا وهو في منتصف العمر، رحل وهو يقول : لقد قمت بواجبي وبذلت كل مافي الوسع من أجل بلادي.

اختتم هذه الكلمة بتكرار التنويه والإشادة بجهد صديقي الأستإذ العبادي، في تقديم هذا الكتاب للقراء، وفي اعتقادي أنه كتاب تحتاج إليه المكتبة العربية كل الحاجة .

سليمان الموسى

عمان في ١٥ نيسان ٢٠٠٢





مقدمة

الملك فيصل بن الحسين

ولد فيصل بن الحسين في مكة المكرمة في العشرين من آذار سنة (١٨٨٥ـ ١٢٤٣هـ) وجرياً على السنة الهاشمية في التربية والتنشئة، فقد أرسل إلى قرية رحاب التي كان يعيش فيها جده الشريف محمد بن عون حتى بلغ السابعة.

تخلق خلال هذه الفترة بالأخلاق العربية الأصيلة، وتعلم الفروسية وركوب الخيل، ثم عاد بعدها إلى مكة المكرمة ؛ لتلقي دروس في اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم .

وفي عام ١٨٩٣م سافر مع والده الشريف الحسين بن علي إلى استنبول، وفي أثناء إقامته مع والده، درس على أيدي معلمين خصوصيين أتقن على أيديهم التقاليد العربية والإسلامية والتحلي بالسلوك الهاشمي. وفي عام ١٩٠٨م عاد مع والده إلى مكة المكرمة بعد أن أمضى خمسة عشر عاماً في استنبول. وفي العام الذي يليه انتخب نائباً عن جده في مجلس المبعوثان العثماني، وانتخب الملك عبد الله الأخ الأكبر مندوباً عن مكة المكرمة، وعندما أعلن الشريف الحسين بن علي ثورته المشهورة عام ١٩١٦م قاد فيصل الجيش العربي الشمالي، الذي كان له شرف تحرير سوريا الكبرى "بلاد الشام" بعد معارك قدم خلالها العديد من التضحيات من أجل الاستقلال والتحرر وإخلاصاً لمبادىء الثورة العربية الكبرى في الحرية والوحدة والحياة الفضلى؛ فدخلت قواته دمشق في اليوم الأول من تشرين الأول ١٩١٨م. حيث استقبل فيصل استقبال الفاتحين المنتصرين وقوبل بالهتافات والأهازيج، وكان يوماً تاريخياً لم تشهد له عاصمةُ عربيةُ مثيلاً منذ قرون، وللمرة الأولى يتم رفع العلم العربي الذي لم يرفع من مئات السنين.

وفي الخامس من تشرين الأول عام ١٩١٨م شكل فيصل الحكومة العربية باسم الملك الحسين بن علي في دمشق، وعهد إلى رضا الركابي رئاستها، وإيماناً

من الأمير فيصل بالمشاركة السياسية وتحمل مسؤولية الحكم قام بتأسيس المؤتمر السوري، إذ تمت الانتخابات في مختلف البلاد السورية، وافتتح المؤتمر بتاريخ ٧ حزيران ١٩١٩م، إلا أن مساعي الأمير فيصل اصطدمت بأطماع الحلفاء، فحاول من خلال المؤتمر السوري الذي عقد في ٨آذار ١٩٢٠م إعلان وحدة سوريا الكبرى (سوريا، لبنان وفلسطين وشرقي الأردن) لكنه لم يكتب لهذه المحاولات النجاح، حيث كانت دول الحلفاء قد اتخذت قرارها المشؤوم بتقسيم المنطقة فيما عرف باتفاقية سايكس بيكو، كوثيقة سرية تضمنت سوريا الطبيعية من أجل مصالح الدولتين، وتم فرض الانتداب بالقوة، وفي ٢٤تموز ١٩٢٠م وقعت معركة ميسلون بين فرنسا والقوات العربية، واحتلت فرنسا دمشق، وأصرت على مغادرة الأمير فيصل دمشق، فغادرها إلى درعا ثم حيفا، ومن ثم بورسعيد، ومنها بحراً إلى إيطاليا، فمن هذا الحدث المفصلي بتاريخ المنطقة يبدأ موضوع هذه الوثائق التي قسمت إلى قسمين، القسم الأول ينشر لأول مرة، والقسم الثاني تم نشره بشكل محدود ولم يتسن إلى الكثيرين من الإطلاع عليها، لذا ارتأينا أن نضع هذا الكتاب بين يدي القراء كونه يميط اللثام عن فترة تاريخية هامة، مازال أثرها ماثلاً للعين، كما أنها تبين مسيرة الأمة مع قيادتها التاريخية، القيادة الهاشمية التي أثبتت قدرتها على التوحيد والالتزام لمبادئ أمتها وشرعيتها، وتعرف بمشاعر الود والفخار والإعجاب الذي تكنه هذه الأمة إلى هذه القيادة، ويتجلى في هذه الوثائق الخلق الهاشمي الرفيع والعبقرية والإخلاص والتفاني.

وتنبع أهمية هذه الوثائق من أنها تؤرخ لمرحلة مهمة من سيرة ومسيرة هذا القائد العربي الهاشمي خلال فترة وجوده في إيطاليا وانتقاله إلى لندن، ومن ثم القاهرة ولغاية مبايعتة ملكاً للعراق، والاتصالات السياسية عربياً ودولياً وما أفرزته من أحداث ووقائع تاريخية، كما أنها تبرز ردود الفعل عربياً ودولياً عند إعلان نبأ وفاته، والمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها كرمز من رموز الأمة في الميادين العسكرية والمحافل السياسية، بتوجيهات من والده شيخ الثوار الشريف الحسين بن علي وشقيقه الأكبر أحد أركان الثورة العربية الكبرى الملك عبد الله

بن الحسين مؤسس المملكة الأردنية الهاشمية .

كما يسعدني أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى المؤرخ الفاضل الأستاذ سليمان الموسى على الملاحظات العلمية القيمة التي استفدت منها كثيراً وعلى تفضله بتقديم هذا العمل سائلاً الله أن يجزية خيراً.

ويكفي فيصلاً أن اسمه ارتبط بالعراق ولقبه المؤرخون بمؤسس العراق الحديث، فرحم الله فيصلاً وأسكنه فسيح جناته.

"ونعم أجر العاملين" .





المذكرات

من١كانون ثاني١٩٢١م إلى شباط ١٩٢١م

إن التأثير الذي حصل عليَّ في خلال هذا الشهر أي جانفيه (كانون الثاني) على غير اضطرار، تارة سيئة وتارة جعل لي أملاً في النجاح، كان أول أسبوع محزن للغاية، تجاوز الوهابيين (علينا) يضعف الحجاز. سياسة وزارة الخارجية هنا، أحوال العمومية رغماً على التأمينات (التطمينات) الشفاهية التي وصلتني من وزارة الخارجية كانت سيئة خاصة عقب ما واجهت (كرزون) وحصل معه حديث مطول، المقيد في دوسيه حداد[1] كنت بيأس لحين ما حصل الإجتماع لدى اللورد وينتكن ووضحوا لي التبدل الذي سيحصل وقرار الحكومة في نزع السلطة على الشرق الأدنى والأوسط من وزارة الخارجية وما معنى ذلك في التفصيل جعلني أن أتعشم خيراً، خصوصاً اعتمادي على الأشخاص الذين خاطبوني والتي رأيت أن فكرتهم هي على مقربة من ملاحظاتي في مايختص في العراق وشرقي الأردن، ولقد تأيدت أقوالهم بالتبدل الفعلي وأخذ جرجل (تشرتشل) زمام الأمور. التبشير الحاصل في الصحف عن وجوب إخلاء إنكلترا العراق هذا كله يجعلني أن أؤمل خيراً، مع أني إلى اليوم لم آخذ بيدي شيئاً واضحاً استند عليه بأقوالي، ولكن المحيط الأفكار العمومية، أقوال الصحف، أقوال الرجال يجعلني أن أتأكد تماماً بتبديل السياسة الخرقاء التي كانت وزارة الخارجية (تسير عليها). إنني في انتظار تمام التشكيلات للوزارة الجديدة ودعوتهم إياي للمباحثة نعم إنني تباحثت مع الخارجية على دفعتين إحداهما مع السير جون تلي والأخرى مع مستر لنزي وكلا المحادثتين كانتا غير مرضية، كانت الأولى مباحثة تمهيدية والثانية دخلنا في البحث عن شروط المقاولة، وذلك رغماً على إرادتي

(١) السكرتير الخاص للمغفور له الملك فيصل الأول (جبرائيل حداد) .

لأني كنت كلفتهم بعدم الخوف في تدقيق نص المقاولة، ولكن ادعاء مستر لنزي الذي ليس له علم في جريان القاطعة والمواد المثبتة، وذلك بعدم قيام إنكلترا بوعودها وتعهداتها " راجع صورة المحادثة بدوسيه حداد" ومع ذلك وبأن المسألة ستفصل عن يد غير نظارة الخارجية تشردت عن تعميق المسألة الجديدة، وها إنني بين الرجاء، واليأس، ولكن للرجا أقرب.

ولقد زادني استغراباً ما سمعته من بعض المنتسبين للحكومة بأن الواجب عليها أن تلغي الإنتداب، وتعقد اتفاقية مع العرب، هذه الفكرة الحادثة جديداً بعد أنها غابت سنتين جعلتني أؤمل أكثر فأكثر في سبب إبدائهم هذه الفكرة وهل هي شخصية من من كلمني أم حقيقة يوجد هذا التصور للجهتين للعرب والإنكليز. في فكره رجال الحل والعقد أم لا ؟ استناداً على هذه الأحوال والآمال التي لم تتحقق إلى الآن ها أنني أماطل والدي في الرد عليه رغماً علىّ اصراري أماطله لأنني ما اخذت إلى الآن شيئاً حقيقياً وانني أخذت مسؤوليةً عظمى بعملي هذا تجاه والدي كما أنني (سرت)[1] عرضةً لأقوال من لاأخلاق لهم ممن يدعي بالوطنية، وهو بعيد عنها، أو ربما يوجد فيه حس الوطنية ولكن عدم اطلاعهم على السياسة العمومية يجعلهم ان (يروا) [2] الحقائق على غير شكلها يسوءني سماعي أقوال بعض السوريين خدشهم في شخصيتي قائلين بأن فيصل قد بقي في أوربا ليس للعمل بل للحظوظات(هكذا)[3] النفسانية هذه يقولونها في شخص رفعوه في أول أمرهم إلى أوج السماوات، وقالوا انهم عاقدين آمالهم فيه اليوم آراهم يخدشون فيه بدون أن ينظروا إلى الأمر نفسه وإلى نتيجة أقوالهم هذه ونفعها ، وضررها على أنفسهم وعلى بلادهم. أقول هذا ليس لأجل كوني تأثرت شخصياً من ما قالوه في نفس لكوني علام (عالم) على سرائي وضرائي ولا يهمني ما يقوله الغير، ولقد قيل في حق محمد والأولياء أكثر من ذلك بل قصدي

(١) لعلها صرت.

(٢) كذا بالأصل .

(٣) لعلها الفحوصات .

أشرح ضرر قولهم على المصلحة العامة نعم أنهم يقولون كذا وكذا لهذا أولاً : يبذرون الشقاق، والنفاق، ويدخلون الشكوك على الجهلاء، والبسطاء من أفراد الأمة ويجعلوهم يائسين من اجتماع كلمتهم نتيجة ذلك إلانخذال في الرأي العام. ثانياً : يسلمون في أيدي أعدائهم وأعداء بلادهم سلاحاً قاطعاً يحتجون به إذا رأوا لزوماً بقولهم ان كلمة الأمة تفرقت وها من كان ملتزماً فيصل، وينظر إلىّ بالنظر (الأعلى) قد انسلخ عنه، وهو ناقم عليهم حجة قاطعية بيد العدو! ولو كان بالبلاد من يجتمع عليه الكلمة لكانت هذه الحالة لاتهم، ولكن مع كل أسف في الوقت الحاضر ممن يرشح نفسه لرئاسة سورية أشخاص معلومين لا أرغب البحث عنهم.

والخلاصة أن بقائي هنا من الوجهتين المذكور أعلاه لضررها عظيم عليّ من الوجهة المادية، والأدبية ولكن أمل النجاح يجعلني أن اتحمل كلما يمكن أن يحدث عليّ مؤملاً أن النتائج عاجلاً أم آجلاً تبرئ ساحتي وتظهر لأحلافنا بأنني فكرت في نفس الأمر، وفي الوضعية الحاضرة واتخذت كافة السبل الموصلة إلى نجاح عملنا وتأسيس فكرتنا وقوميتنا، وأن الوقوعات ستكون لهم مثإلاً حسناً أو سيئاً يتدبرون على موجبه في أعمالهم في المستقبل، ولقد عملنا ما نتمكن من عمله لبث الدعوة وايضاح قضيتنا واقناع المجموع هنا بانكلترا بأننا محقين، وها أن كافة الصحف المهمة اليوم تحت ايدينا كل ما نرغب أن ننشره لا نجد أدنى معارضة بلى صحائفها مفتوحة لنا، وهذا عمل ليس بالقليل الذي يعلم أهمية الصحف، وقيمة اشتراء الجرائد، والمبالغ التي يلزم أن تصرف لبث الدعوة في الصحف يقدر أهمية الشغل الذي اشتغلناه، وإنني أقول بأن التاريخ سيحفظ إلى الجنرال جبرائيل حداد الذكر الجميل، واليد البيضاء في نشر الدعوة هذه بين المجموع إلانكليزي، واستجلاب الصحافيين بقضيتنا والله المعين.

من ١ شباط ١٩٢١م إلى ١آذار ١٩٢١م

كان بودي أن أحرر الوقوعات يوماً فيوماً لكي يتضح صور، وحقيقة الأعمال التي جيء بها في خلال الشهر، ولكن رأيت أن ذكرها افرادياً لايكون له قيمة توجب القيد. ورأيت ذكرها إجمإلاً (الخطر من) الأعمال في هذا الشهر كانت نتيجة اعمال الأشهر الماضية، وقد تتوجب ظاهرياً بالنجاح، وها قد سافر تشرشل ولورانس إلى الشرق لدرس المسألة، وتطبيقها ان البرنامج المستعمل خلاصته قد ذكر بتقديري لوالدي تاريخ...١٩٢١ولم أر لزاماً ومأهنا(هكذا) للتكرار لأنه مفيد. وهذا أعظم ما يمكن عمله في الظروف الحاضرة بل أقول ان عناية الباري هي التي أوصلتنا لهذه النتيجة. قد قنعت الأكثرية هنا في هذه البلاد بلزوم هذا العمل. وإنني أعجب من شدة تمادي المعارضة الفرنسية لسياستنا سواءً في صحفهم أو في مجالسهم أو على تشبثات رؤوس حكوماتهم لدى الحكومة البريطانية، وإذا إنني قلت لست بخائف من أنهم يعرقلون مساعينا، وذلك بالنسة لوجود من هو معلوم من أرباب الحل والعقد، ومن هو معارض لنا.

ها إنني اليوم في انتظار عمل المستر تشرشل وسيظهر في أواخر شهر ما رت (آذار) ١٩٢١م أهم الوقوعات والحوادث مسألة المؤتمر، ومعارضة الفرنسيين لنا، وقبول المؤتمر مندوب بإسمى ومعارضة بريبان والتزام لوويد جورج اياي. ولكن أهم ما بدا لي هو تمسك لوويد جورج بالصداقة هذه هي النقطة المهمة بصرف النظر عن كل شيء، ولقد رتبنا بياناً وسنقدمه إذا طلبنا (وأظن أن ذلك لايكون بالنسبة للأحوال الحاضرة وعدم وصول المؤتمر إلى حل الخلاف بين تركيا، واليونان، ومع ذلك نحن في انتظار) المنظمة الإلافرادية، وأنني خائف أنها تخرب مبتغاي، هذه الحركات التى كانت تعمل من قبل وقوعات دمشق، لكني مرتاح من أمر واحد وهو كوني عملت واجبي نحو الوطن فإذا كان من هم ورائي يعملوا شيئاً فالمسؤولية ليست بعلمي.

تواجهنا مع رجال الوفد التركي وتفاهمنا مبدئياً على أساسات صلح بالمستقبل بين العرب، والأتراك، وأكد لي الوفد أنه لايأتي بعمل مع الفرنسيين يكون نتيجة ايقاع ضرر على العرب، وأنهم سيضعوا أساس هدنتهم التخلي عن سورية للعرب، وأكدوا أنهم لايعترفوا بأي حق كان للفرنسيين في سورية كما أنهم طلبوا مني أن أعمل نفوذي لدى الأنكليز لكي يخففوا عنهم الوطئة، وها إنني مجتهد في ذلك .

ولا أعلم هل اتوافق أم لا ! ولكن الأحوال تدل على أن الجو عكر، ولايمكن الوصول إلى أي حل كان في مابين الأتراك واليونان إلا بالسيف، هذا إذا لم يكونوا إلاتراك مضمرين غير مايبدون أي إذا كان ليس لديهم شروط أخف من ما قالوا.

والذي يزيد الموقف تلبكاً مسألة المانيا، والأتراك اظنهم ينتظروا ليستفيدوا من فرصة اشتداد الأزمة بين المانيا والحلفاء. فإذا وقع خلاف ادى إلى انتصال السيف ثانياً: فهم يكونوا في موقف أقوى من موقفهم الحالي، كما أننا نحن العرب كذلك. (وعليه فتطور سياستنا سيكون أيضاً تابع لسياسة أوروبا... انتهاز الفرص والتربص. الفرنسيون يتقربون من الأتراك وكل منهم ينظر إلى مصلحة إلانكليز محتارين في موقفهم هم الذين ورطوا اليونان، ويصعب عليهم الرجوع، ولايتمكنوا إعانة اليونان عملياً نحن ننتظر مجيء تشرشل. الأتراك يقولون أنهم إذا ضيق عليهم فهم سيلتجؤون تماماً للبولشفيك الفرنسيين يريدوا الصلح معهم لسحب عساكرهم، ويريدون مهاجمة المانيا.

إلانكليز ما ابدوا أي فكر قطعي لعموم المسائل، والحاصل أننا في هذا الشهر الماضي، والحالي نعبر أياماً ذات أهمية عظمى بالنسبة لمستقبلنا نحن العرب، ومستقبل العالم بأجمعه. وربما تتضح الحالة، وتسفر في خلال الشهر الحالي بأمور ليست بالحسبان.

والخلاصة أن شهر شباط كان شهراً هاماً تقرر فيه مستقبل العرب، وقبل تشرتشل المسؤول بالمبادىء التي وضعتها له، وذلك بفضل، ومعاونة اصحابنا

المعلومين، وإلاجتهاد الجدي سواء في الصحف أو في المنتديات أو في إلاجتماعات الخصوصية. وأنني أكاد أقول بأن الأمر قد انتهى وعلى الله إلاتكال.

كان هذا الشهر شهر انتظار، وقد كنت في خلاله إلى ٢٤منه في بطالة منتظر ما يصلني من لورانس، ونتيجة مقررات مؤتمر مصر، وعلاقات اخي عبد الله مع جرجل(تشرشل) يوم اربعة وعشرون وصلتني برقية لورانس في مصر يقول بها ما مآله المسألة تمت حسب المرغوب توجه بسرعة، وفعلاً من ذلك اليوم أخذت في أسباب الحركة، ويوم المسألة توجهت إلى لندن رأساً على الباخرة (مالوا) قاصداً مصر، وقد ظهر لي هناك كما أبلغني مستشار الخارجية مستر لتري أن المسألة قد تمت بنجاح، وتوجهت، وكان، وصولي مصر ١٢من نيسان.

ها إنني ولله الحمد بعد أن مكثت أربعة أشهر في لندن علاوة على الأربعة التي قضيتها في أيطاليا أبحرت من مرفأ لندن آخذاً طريق البحر بالباخرة " (مالوا)" قاصداً بورسعيد لمقابلة لورانس ثم إلى جدة، ومكة لأخبر والدي نتيجة قرار الحكومة البريطانية، وهذه ثالث مرة أتحمل مسؤوليةً سياسيةً ثم أعود وأنا موفق ولله الحمد ،لا أعلم مإذا سأصادف أمامي هذه المرة أيضاً من الصعوبات لاسمح الله. فإن حصل عدم موفقية في تطبيق المقررات كما سبق فستكون آخر ضربة لأمانينا القومية.

ثم أن أول سياحة أجريتها عقب الحرب رجعت بنتيجة عظمى، وهو أخذ رغبات الشعب بقرار المؤتمر، ولكن انسحاب امريكا أخمد مسعاي. ثم في السنة الماضية رجعت بعد أن عقدت مع فرانسه ما يمكن عقده، ولكن مخالفة الشعب أحبط عملي. ثم في هذه المرة رجعت بعد أن استحصلت على أعظم نتيجة للعالم العربي، وهو تشكيل العراق وشرقي الأردن ومعاونة بريطانيا للحجاز، وترك مسألة سوريا هدف، ومرمى آمال العرب.

فإن لاسمح الله في هذه المرة رأيت معارضة فلا يبقى بعد ذلك أي أمل كان ويجب عليَ، أما أن أنسحب أو أقف موقف المعارض للأمة بأجمعها، وما في هذا من الضرر لا يخفي ولكن الواجب الوقوف على المبدأ. في اعتقادي انني عملت

أعظم ما يمكن عمله بالنسبة للظروف الحاضرة، وانكلترا أيضاً عملت ذلك فإن كانت العرب، أعني"والدي وأسرتي" لاتقبل صورة هذا الحل مإذا سيكون ؟ فالتفسير:

١ـ تنقطع معاونة انكلترا للحجاز ـ بهذه الصورة الوهابية ـ يستلمون الحجاز.

٢ـ يلتحق شرقي الأردن بفلسطين .

٣ـ فرنسا تأخذ سورية .

٤ـ العراق إما يلتحق بالأتراك أو تشكل به الحكومة الأسمية.

هذه هي النتيجة ! لايوجد لدى والدي إذا عارض هذه الفكرة إلا إلانسحاب وتسليم البلاد للوهابية والخروج هو وعائلته وذويه من أرض اجداده، والهجرة إلى مصر " إذا تمكن لأنه لايمكنه أن يجوز المقام الذي هو في بلاده".

هذه هي النتيجة التي ستحصل إذا لم يقبل والدي المبدأ الذي وضعته وسيكون بعمله قد ضرب الضربة القاضية على العرب خصوصاً، وعلى الإسلامية عموماً، وعليه وبناءً على مإذكر أعلاه فإنني أرى امتناع والدي من قبول هذه المبادىء غير منقوصة وغير وارد، بل أنه مستحيل اللهم إذا كان لديه ولو ذرة من العقل.

ومع ذلك فإنني خائف من اظهار ما أظهره قبلاً من التردد في قبول كل فكرة صائبة اتيت بها إليه، وكما قيل ستبدي لك الأيام ماكان خافياً. لا أرغب أن أقول شيئاً حتى أرى لورانس بالنتيجة وبتفصيل قرار المؤتمر ثم يخبرني عن ما رآه لدى عبد الله في شرقي الأردن، وعليه يمكنني أن أحكم على المسألة والتطور الذي يمكن أن يحل فيها. أو ما يترتب على ذلك إما من الثبات في رأيي السابق، أو تعديله، أو العدول عنه.

(٩إبريل ١٩٣٢مـ)

وعليه تراني اليوم في ارتباك زائد وعدم قرار. خائف أيضاً من معارضة أخي عبد الله لهذا المبدأ بالنسبة للعراق ثم خائف أيضاً استسلام المشار إليه لآراء سخفاء العقول من السوريين، والحاصل أنني خائف من كل شيء بالنسبة

لجهل الأمة، وقادتها، وتشتت آرائهم، وحبهم للرئاسة، واستئثارهم مصالحهم الشخصية المؤقتة على صيانة البلاد، وجهلهم السياسة العمومية في العالم والحاصل عسى الله يساعدني ويجعل لي فرجاً، ومخرجاً.

(١٢إبريل ١٩٢٢مـ)

وصلت مصر اليوم، وواجهت لورانس في المعادي بصورة خفية، وأبلغني ما تقرر كما أخبرني أيضاً بما حصل بينه، وبين أخي عبدالله، وقبوله البقاء في شرقي الأردن لمدة ستة أشهر ثم أخبرني عن التشبثات التي يجب اجراؤها في العراق، والبرقيات، وأعطاني صورها التي ستسحب من العراقيين لوالدي والأجوبة عليها وأخبرني أن برسي كوكس يطلب حضورك إلى البصرة قبل عيد رمضان والحاصل جميع المواد التي طلبناها قبلت تماماً، ثم شكرته لعمله، وفارقته على أننا نتواجه يوم عشرين (ابريل) في السويس، وكنت ممنون من النتيجة.

(١٥إبريل ١٩٢٢مـ)

وصلني زيد من مكة، وأخبرني بارتياح جلالة والدي عن صورة الحل، سنقيم في مصر إلى عشرين في الشهر، أرسلت عوني عبد الهادي بكتاب لسيدي عبدالله أتعذر فيه، وردتني منه برقية بعد تمكنه من الحضور لمقابلتي.

(١٤إبريل ١٩٢٢مـ)

أتاني اليوم عوني عبدالهادي وأخبرته بالمخاطبات التي جرت مع جده، وسيدي - عبدالله وسلمني تحرير من المشار إليه واستتمت (كذا) عن ذلك الكتاب، ونوع اعذار، وقررت أن أرجع عوني ثانياً واجهت اللنبي، وسلطان مصر بصورة رسمية.

القضية السورية

قصر ايشتي: ايطاليا
١١أيلول سنة ١٩٢٠م

لحضرة المستر لويد جورج رئيس الوزراء الإنكليزية المحترم:

أرفع إليكم طيه المذكرة التي وضعتها عن القضية العربية ثم أتشرف بأن أقول لكم : " عندما غادرت سورية كنت أرغب في السفر إلى سويسرا تواً لأتمكن من مخابرتكم عن الوقت الذي تجدونه مناسباً لمقابلتي في انكلترا على أنني عندما وصلت إلى هنا (ايطاليا) علمت انكم في " لوسران" فرأيت من الأنسب ألا أذهب إليكم مخافة إلا تكون الفرصة سانحة عندكم لمقابلتي .

والآن وقد عدتم إلى بريطانيا فإنني أقدم إليكم مذكراتي بواسطة الجنرال حداد باشا وهو موضع ثقتي، وثقة والدي، وإني لآمل أن تطلعوه بسرعة على رغبتكم في مقابلتي شخصياً في انكلترا لأن لدي تصريحات شفوية عظيمة الأهمية تتعلق بالموقف الجديد أرغب في إطلاعكم عليها.

وفوق هذا أريد أن أضيف إلى ذلك أن والدي ملك الحجاز، عهد إليّ مرة أخرى بمهمة تمثيلة في أبحاث القضية العربية بصفة عامة، وكلفني أن اترأس الوفد الذي اختاره لتقديم تشكراته للملك جورج على الهدايا التي تفضل بإرسالها كما أبرق اليكم بذلك من بور سعيد.

قصر ايشتي
١٣أيلول سنة ١٩٢٠م
عزيزي مستر لويد جورج،،

بالرغم من الألم الذي أثارته في نفسي حوادث سورية منذ بضعة شهور وما جلبته عليّ من اضطراب الفكر، أو انشغاله فقد كنت أتابع قضية العراق بكثير من اليقظة والإهتمام. وإنك تستطيع أن تتأكد أني شعرت بحزن عميق لتبدل العلائق الودية السابقة بين العرب والإنكليز هناك.

ولقد أثرت اضطرابات الشمال في نفسي عندما عقد الفرنسيون اتفاقية الهدنة مع مصطفى كمال، وآلمني الجلاء عن جرابلس (طرابلس) وفتح الباب على مصراعيه للمؤامرات، والدعايات التركية في سورية، والعراق.

وقد اقترحت على اللورد اللنبي في ذلك الحين أن ترابط جيوشي العربية على الحدود للمحافظة عليها ولكنه لم يجبني في كتابي.

لقد اطلع والدي على رغائب انكلترا كما أن رغائب والدي قد أبلغت إليكم شخصياً وكانت كل منها تؤيد الأخرى فكيف يمكن أن لاتتفق سياسة الشعبين الإنكليزي والعربي؟

إذا نفذت العهود المقطوعة للعرب بواسطة الملك حسين فأنا على ثقة بأن كل شيء سيحل على أهون سبيل.

وأملي العظيم ـ كماهو أمل كل عربي - أن تنفذ هذه الوعود بسرعة. لأن تنفيذها يؤمن مستقبل أبناء جنسي، ويثبت شرف وصداقه بريطانيا العظمى. ولاتلبث أن تعود العلائق الودية التي كانت تربط الشعبين الإنكليزي والعربي خلال الحرب إلى سابق عهدها.

المخلص/ فيصل

أرسل الملك فيصل إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة الإنكليزية المذكرة التالية:

إن الأعمال غير المشروعة التي قامت بها فرنسا في سورية اضطرتني للسفر إلى أوربا موفداً من قبل والدي الملك حسين لأعرض القضية العربية مرة أخرى على حكومة صاحب الجلالة.

فالأعمال التي قامت بها فرنسا في سورية لايمكن تطبيقها على اعترافات فرنسا السابقة وعهودها فيما يتعلق بأغراضها وغاياتها في الحرب وأعتقد من ناحيتي أن هذه الأعمال خرقاً لمعاهدة فرسايل (فرساي) التي يصر الفرنسيون على تطبيقها بحذافيرها.

لقد احتلت فرنسا منطقة عربية لها قيمتها، وعلاقتها بالبلاد جعلت موقف عائلتنا أمام العالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة موقفاً حرجاً لايمكن لأية عائلة احتماله.

إن عائلتي هي العائلة الحاكمة أو القائد في جزيرة العرب ولما كان والدي هو زعيم هذه العائلة، فقد اعترف به زعيماً للحركة العربية وعقد العرب آمالهم عليه للفوز بالحرية والاستقلال وحملوا سلاحهم لمحاربة الأتراك اعتماداً على بعض العهود التي قطعها لهم.

وستطلعون في هذه المذكرة على الحوادث التي أدت إلى احتلال الجيوش الفرنسية دمشق وأظن أن تفاصيل هذه الحوادث لابد أن تعطيكم فكرة صريحة واضحة عن الغايات التي كانت ترافق أفكار الجنرال غورو منذ مغادرتي باريز (باريس) عائداً إلى سورية وهذه الغايات هي حديث البلاد العربية اليوم.

إن كل عربي أصبح يدرك اليوم أن غايات الجنرال غورو منحصرة في احتلال المنطقة التي تعهدت بريطانيا بتأسيس حكومة عربية مستقلة فيها احتلالاً عسكرياً بأية حجة من الحجج!!

وبما أن فرنسا قد أدركت أن عائلة الشريف هي زعيمة الحركة العربية وأنها تدير الحرب اعتماداً على التعهدات التي قطعتها بريطانيا لها قررت ضرب هذه

العائلة ضربة قاسية والتخلص من العثرة التي وجدتها أمامها ـ وهي أنا ـ وقامت تنشر النفوذ الفرنسي في البلاد وتقضي على النفوذ الإنكليزي في الشرق الأدنى في آن واحد .

ففي اليوم الذي وقعت فيه حوادث دمشق قامت الصحف الفرنسية تهاجم عائلتنا مهاجمة متتابعة.

وبعد أن اعترُف بوالدي وبعض أفراد العائلة كزعماء للقضية العربية ومناضلين في سبيلَ الحرية والاستقلال عمدت الصحف الفرنسية إلى السباب والشتيمة وقالت إحداها أن العائلة الهاشمية وصلت إلى استلام الحكم في دمشق بفضل الإنكليز وأن العرش السوري هو " اختراع انكليزي" ؟!.

وعلى هذا فإن أغراض الحكومة الفرنسية والأهداف التي ترمي إليها قد تحققت أخيراً فاحتل الجنرال غورو دمشق وثلاث مدن أخرى، وأصبح العالم أمام " الأمر الواقع"؟!!!.

ولست أتكلم أنا الآن بدوافع أسباب شخصية، فأنا ليس لي مطامع خاصة، واعتقد أن كل إهانة، وظلم، وسباب يصيبني إنما يضاف إلى مفاخر العرب الوطنية التي اظهروها خلال الحرب، وإنني اعتقد من كل وجهة من وجهات النظر أن احتلال دمشق لم يكن مشروعاً.

لقد أيد مؤتمر الصلح في اجتماعاته الأولى تكليفي بإدارة المنطقة الشرقية وهي الإدارة التي كنت استلمت زمامها منذ الهدنة تحت سلطة الجنرال اللنبي كما اعترف بذلك ضمناً في ١٥أيلول سنة ١٩١٩في المذكرة التي ارسلها مستر لويد جورج ومسيو كليمنصو وممثلو الدول العظمى وإليّ شخصياً.

إذن فليس لأي قائد فرنسي الحق في أن يسلبني هذا المركز وأن يخرق حرمة استقلال سورية.

ثم أن هذا المركز الذي توليته وفق رغائب الشعب وقد اعترفت به بريطانيا العظمى على أثر القرار الذي اتخذه مجلس الصلح في سان ريمو.

فإذا نفذت معاهدة فرساي وما تضمنته من مبادىء (الحق فوق القوة) والعدول عن الاحتلالات العسكرية والاعتراف بحق الشعوب في الاستقلال والحرية وكان قرار عصبة الأمم ليس إلا قراراً فارغاً لاقيمة له، إذن يجب أن يعتبر عمل فرنسا تدبيراً جائراً لامبرر له.

يدعي الجنرال غورو أنه ينفذ الانتداب في التدابير العسكرية التي قام بها في سورية فما هو هذا الانتداب؟هل صادقت عليه عصبة الأمم والمجلس الأعلى؟

إن الشروط التي وصلتني من الجنرال غورو من جهة والتصرفات التي بدت من الجانب الفرنسي من جهة أخرى إنما هي شروط وتصرفات محتل يريد فرض شروطه بقوة السلاح.

وهذه التدابير التي اتخذتها فرنسا تناقض المبادىء التي حاربت الدول المتحالفة في سبيلها كما تناقض معاهدة السلام(المادة ٢٢ الفقرة الرابعة من قرار عصبة الأمم) التي تنص على وجوب اعتبار رغائب الشعوب وهو الأمر الذي لم يطبق في سورية مع كل أسف.

إن الجهد الوحيد الذي بذل في هذا السبيل كان من جانب الولايات المتحدة إذ أرسلت عام ١٩١٩ لجنة برئاسة المستر كراين للاطلاع على رغائب ومطالب الشعب السوري.

وقد أعلن اللورد اللنبي ذلك الحين أن هذه اللجنة الوحيدة التي ترسل إلى سورية وأن مؤتمر الصلح سيعتمد على تقريرها عندما يدور البحث حول تقرير مصير هذه البلاد والعدل والانصاف يقضيان بإذاعة ونشر هذا التقرير الذي بقي سراً مكتوماً حتى الآن.

إن ما يفهمه الجنرال غورو من الانتداب ـ الذي يفرضه ألفٌ من الجنود الذين يحملون أحدث انواع القتل والتدمير ـ لايتفق قط والتصريحات الانكليزية - الفرنسية في ١١تشرين ثاني عام ١٩١٩، التي تنص على رغبة الدولتين في المساعدة على تشكيل الحكومات الوطنية المحلية في البلاد العربية، وعدم رغبتهما في فرض الأنظمة في هذه البلاد، كما تنص على أن رغبة الدولتين

تنحصر في " مساعدة الحكومة العربية على تحقيق مشاريعها، وأعمالها، وتنفيذ الأنظمة التي تقررها بحرية تامة".

واعتقد انني لست في حاجة لتأكيد التناقض الواضح بين تصريحات وتعهدات الحكومة الفرنسية عام١٩١٨وتدابير الجنرال غورو في سورية عام ١٩٢٠.

وعلى كل حال لم يكن من المنتظر، ولم يكن من العدل أن يطبق الإنتداب على دمشق، والمدن الأربع، بعد العهود والوعود المقطوعة للعرب.

لقد أشرت في حديثي إلى المسائل المتعلقة بمؤتمر الصلح، والإنتداب، وقرار عصبة الأمم، وتصريحات انكلترا وفرنسا، لأبرهن على أن تدابير فرنسا في سورية لم تكن مشروعة في وجه من الوجوه.

على أن القضية العربية، ليست متعلقة بأي قرار من قرارات مؤتمر الصلح، أو قرار أية دولة من الدول خلا انكلترا !!.

فنحن تفاوضنا مع انكلترا لاسواها. والعهود التي قطعت لنا. هي عهود قطعتها انكلترا، وقد قال والدي في كتاب بعث به في تشرين الأول عام ١٩١٨، إلى المندوب السامي في القاهرة ما يلي :" ... أما ما يتعلق بقضيتنا والبحث فيها في مؤتمر الصلح. فإنني أقول منذ الآن أنه لا علاقة لي بأي مؤتمر، أو أية سلطة أخرى غير انكلترا. واعتقد أنه من الأصلح ألاّ تبلغوني قرارات هذا المؤتمر. لأنني أكون ناكراً لرحمة الله إذا قبلتها !

وإذا حضرت مؤتمر الصلح (رغم أنني أقدر الشرف الذي أولاني إياه صاحب الجلالة البريطانية) فإنني فعلت ذلك تنفيذاً لرغبة بريطانيا.

ثم إذا سافرت أنا إلى باريس في تشرين أول السابق، وسعيت للمفاوضات مع الحكومة الفرنسية، وعدت إلى سورية أحمل أحسن الأماني، والرغائب للتفاهم مع الجانب الفرنسي، وسعيت لإقناع الشعب السوري، بالتزام الهدوء والسكينة، وحلت بينه وبين مهاجمة الفرنسيين، وهم ضعفاء ليس لديهم أكثر من حامية صغيرة تتألف من ألف رجل فإنما فعلت ذلك لأقول ذات يوم إلى الدولة التي أعطتني كلمتها بأنني نفذت جميع تعهداتي بدقة وإخلاص.

لقد كانت الكتب الرسمية التي تصلني من اللورد اللنبي تصرُّ عليّ بكثير من الإلحاح بأن لا أتخذ موقفاً عدائياً من الفرنسيين، وتلقيت رسالة من اللورد كرزون ألاّ أتخذ أي موقف عدائي مها كانت الظروف والأوضاع.

ولهذا كله لم أفكر قَط في محاربة الفرنسيين ولو أردت ذلك لكان موقفهم في سورية في غاية الخطورة .

وفوق ذلك، كنت احاول أن أقبل شروط الفرنسيين، -رغم صعوبتها واستحالة تنفيذها - وكلي أمل بأن أسافر إلى أوربا فيما بعد، وأتمكن من تسوية المصاعب بالطرق الدبلوماسية. وأظن أن الكتب التي ارسلتها إلى الحكومة الإنكليزية من باريز (باريس) تدل على هذه الرغبة. كما تدل على حرصي الخاص بألاّ أقوم بأي عمل، قبل التشاور، والمفاوضة مع انكلترا.

وأنني لفخور بأن اصرح هنا أنني كنت مخلصاً للمبادىء التي وضعها والدي، ولم أحد يوماً ما عن هذه المبادىء، وهي أن افاوض حكومة واحدة هي حكومة بريطانيا.

والآن وقد اقدمت فرنسا على تدابير عسكرية، جعلت كل أمل في التفاهم والإتفاق مستحيلاً، جئت باسم والدي اطلب من انكلترا تحقيق وعودها.

إن الحركة العربية ليست حركة جديدة اوجدتها الحرب العامة، بل هي حركة قديمة نشأت قبل الحرب بزمن غير قصير.

لقد وضع العرب نصب أعينهم، منذ القديم استعادة استقلالهم وتجديد عظمة المملكة العربية، والخلافة الإسلامية السابقة، ولم يترددوا يوماً ما في السعي إلى تحقيق هذه الفكرة.

فاعتقاد البعض بأن الحركة العربية نشأت عام ١٩١٥م إنما هو اعتقاد خاطىء .

وكل ما في الأمر أن زعماء العرب وجدوا في نشوب الحرب وتطاحن الدول فرصة مناسبة لتحقيق أمانيهم، فقاموا بحركتهم وأخلصوا في موقفهم كل الإخلاص.

لقد شجع الألمان السلطان ـ خليفة المسلمين ـ على إعلان الحرب المقدسة مؤملين من وراء ذلك، توحيد جهود العالم الإسلامي، وتأييده لهم، وكانت انكلترا ـ بلا ريب ـ العدوة الإساسية في هذا الموضوع.

ولكن هذه الدولة - وأعني انكلترا - أدركت ما يمكن أن يصيب المسلمين من اخطار هذه الحروب وادركت أن هناك فتوراً بين العرب والأتراك فسعت لمفاوضة والدي الملك حسين، على أساس الإعتراف باستقلال العرب، والحول دون أي تدخل أجنبي في البلاد العربية ثقةً منها بأن اشتراك الشعب العربي في الحرب هو " اعظم عمل سياسي وحربي تستيطع الدول المتحالفة الإستفادة منه في العالم الإسلامي".

ونجحت عائلتي في إقناع العرب بهذه النظرية - وذلك بمساعدة بريطانيا - وأسست سياستها مع البلاد العربية على أساس الوعود المقطوعة لوالدي وبهذه الوسيلة وعلى اساس هذه الوعود، حمل العرب سلاحهم تحت علم خليفة النبي، رغم أنه كان من واجبهم آنذاك، محاربة المعتدين تحت علم السلطان خليفتهم في ذلك الحين.

وقد رافق العرب النجاح في ثورتهم فسقطت مكة بين أيديهم وفشلت خطة ألمانيا في البلاد الإسلامية فشلاً مريعاً.

وهكذا فقد قام والدي، وعائلته، وأتباعه وأكثرية الشعب العربي، بالقسم الذي يتعلق بهم في الإتفاق، وقدموا كل مساعدة ممكنة لجيوش الجنرال اللنبي، وكان عاملاً هاماً في نجاح الحلفاء في معركة البلاد العربية، وجئت الآن - باسم والدي ـ اسأل بريطانيا أن تقوم بتنفيذ القسم الذي يتعلق بها في هذا الإتفاق.

وأنني لأأود هنا أن اعود إلى الإقتراح الذي عرضته بريطانيا على والدي في أول الأمر، بأن يظل حيادياً في الحرب .. فنحن لو بقينا حياديين، لفزنا من انكلترا بنفس العهود التي قطعتها لنا بتحقيق استقلالية البلاد العربية.

وعلى الرغم من هذا أعلنا الحرب، وخضنا معارك القتال وخسرنا عدداً كبيراً من رجالنا، وعرّضنا أنفسنا لخطر مهاجمة ابن سعود - وكان إذ ذاك أشد

قوة منا - ثم كانت النتيجة أن علاقتنا قطعت مع البلاد العربية، واضحت حالتنا اسوأ مما إذا كنا لم نشترك في لحرب، وظللنا "حياديين" كما اقترحت علينا انكلترا ذلك في أول الأمر لقاء إلاعتراف باستقلال المملكة العربية.

لقد كنا نعتقد في ذلك الحين، أن حملنا السلاح إلى جانب انكلترا، سيكون أكثر فائدة للقضية العربية، من بقائنا "حيادين" وكنا نؤمل أن تكون النتائج أكثر تحقيقاً للعهود والوعود المقطوعة.

إن العهود التي قطعتها انكلترا لوالدي هي عهود صريحة واضحة لالبس فيها ولا غموض .

لقد طلب والدي في كتاب أرسله في ٢٤تموز عام ١٩١٥ما يلي :

أولاً: يجب أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية، التي يحدها شمإلاً مرسين وأظنة، حتى الدرجة ٣٧من خطوط العرض وهي الدرجة التي تمر على بحيرة جيك، وماردين، حتى حدود العجم شرقاً الخليج الفارسي، وجنوباً المحيط الهندي - خلا عدن - وغرباً البحر الأحمر، حتى مرسين، وعلى انكلترا فوق ذلك أن توافق على إعلان خليفة عربي للمسلمين.

ثانيا: على دولة الشريف العربية أن تعتبر انكلترا الدولة المفضلة في جميع المشاريع إلاقتصادية الخ.. الخ..

وفي ٣٠آب عام ١٩١٥، أرسل المندوب السامي في القاهرة إلى والدي كتاباً يعبر له فيه عن مبالغ السرور الذي شعر به، عندما رأى العرب يجدون مصالحهم مرتبطة ومصالح بريطانيا، ويؤكد له بأن حكومته ترحب كل الترحيب بأن يستعيد الخلافة الإسلامية رجل عربي من العرب العريقين المنسوبين.

أما فيما يتعلق بالحدود، فقد ذكر المندوب السامي في كتابه بأن البحث في مثل هذه التفاصيل، إنما هو بحث سابق لأوانه.

وفي ١٩أيلول عام ١٩١٥م أجاب والدي على هذا الكتاب، بكتاب طويل، نفذت فيه - باستغراب - غموض المندوب ولهجته الباردة، المترددة في قضية الحدود، وقال " بأن مصالح أتباع ديانتنا تتطلب تصريحاً واضحاً في هذا الموضوع، وهي

قانعة كل القناعة بأن حياة المملكة العربية العتيدة متوقفة على إقرار الحدود المذكورة.

وفي ٢٤ تشرين الثاني عام ١٩١٥أجاب المندوب السامي السير هنري مكماهون على والدي قائلاً " أن منطقتي مرسين، واسكندرون والمناطق الواقعة غربي دمشق، وحمص وحماة وحلب، لايمكن أن يقال بأنها عربية صرف، وأنه من الواجب استثنائها من الحدود المذكورة".

أما ما يتعلق بالأراضي التي تستطيع انكلترا العمل بها بكل حرية، دون استشارة حليفتها فرنسا، فقد أضاف السير هنري مكماهون يقول :إن لي السلطة بإسم بريطانيا أن اقطع العهود التالية : -

" إن بريطانيا على استعداد لأن تعترف وتؤيد استقلال البلاد العربية في البلاد المحدودة في اقتراح الشريف.

أما ولايتا بغداد، والبصرة، فإن العرب يعترفون بمركز ومصلحة بريطانيا الخاصة فيهما، ويوافقون على أن يكون لها حق في اتخإذ التدابيرالإدارية، والعسكرية اللازمة للمحافظة عليها من أي اعتداء خارجي".

وفي كتاب آخر مؤرخ في ٢٥تشرين أول عام١٩١٥، أضاف المندوب السامي إلى تصريحاته السابقة ما يلي : " من الواضح أن العرب وافقوا على اختيار بريطانيا وحدها في مهمة إلاستشارة والإرشاد، كما وافقوا على استخدام إلانكليز وحدهم إذا احتاجوا إلى مستشارين فنيين لتنظيم شؤون المملكة.

وفي ٥تشرين الثاني عام ١٩١٥، أجاب والدي على هذا الكتاب قائلاً أنه :

"...رغبة في تسهيل المفاوضات والوصول إلى اتفاق نهائي وخدمة للمسلمين، واعترافاً بموقف انكلترا، والمزايا التي تتمتع بها. يتنازل عن إصراره، على ضم ولايتي مرسين، وادانه (اضنه) إلى المملكة العربية، ويصر على أن حلب وبيروت ومرفأها، إنما هي بلاد عربية محضة ".

" أما ما يتعلق بالعراق، فإن ليس من الضروري أن أؤكد بأن هذا القطر إنما هو قطر عربي صرف، وإنه كان مركزاً لأكثر الخلفاء في العصور السابقة، وأعلن

لكم هنا بأن العرب يعلقون على هذا القطر آمالهم، ويهتمون به اهتماماً خاصاً، ولا يمكنهم ـ في أي حال من الأحوال ـ أن ينسوا تقاليدهم، ويتخلوا عن البلد الذي كان مركزاً لأكثر خلفائهم".

" وعلى هذا يجب أن تثقوا كل الثقة أنه ليس في وسعي إرضاء الشعب العربي، واقناعه بالتنازل عن العراق، بأي حال من الأحوال. على أنني، رغبة في إزالة المصاعب، وتسهيل الإتفاق أستطيع أن اوافق على ترك العراق تحت الادارة الإنكليزية - وخاصة وان الجيوش الإنكليزية تحتله الآن - وذلك لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض بالنظر لما يتطلبه تأسيس مملكة جديدة من أموال"!

هذا ماذكره والدي في كتابه إلى المندوب، أما ما يتعلق بالإدارة، والمستشارين والموظفين فقد اشار والدي إلى ماذكره في رسالة سابقة، وقال أنه لا يعارض في ذلك، وخاصةً بعد أن أكد المندوب بأن هؤلاء المستشارين لن يكون لهم أي تدخل في الشؤون الداخلية.

في ١٤كانون

أول ١٩١٥م.

استطاعت الزميلة الحرة (النهار) أن تحصل بحيلة صحفية على مذكرة خطيرة تحتوي على كتابين من فقيد البلاد العربية المغفور له الملك فيصل كتبهما إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة الإنكليزية مع ملاحق عديدة تؤيد وجهة نظر جلالته في الموضوع .

وقد وضع جلالته هذه المذكرة في ايطاليا، بعد خروجه من دمشق على أثر معركة ميسلون، واستقصينا رأي أحد وزراء العهد الفيصلي السابقين في دمشق في هذه المذكرات فأكد لنا صحتها وأشار علينا بوجوب نشرها بالنظر لأهميتها، ولأنها تشتمل على دقائق الحالة في سورية أيام الحكم العربي ودسائس السياسات الأجنبية .

وها نحن ندرج في هذا الجزء بعض ما استطعنا الحصول عليه من المذكرات .

على أثر احتلال الجيوش الفرنسوية دمشق وخروج الفقيد العظيم منها، سافر من حيفا ثم إلى إيطاليا. ومن هناك أرسل إلى المستر لويد جورج الكتابين التاليين:

قصر " ايشتي" إيطاليا ١١أيلول عام ١٩٢٠م

لحضرة المستر لويد جورج رئيس الوزارة الإنكليزية المحترم،

أرفع إليكم طيه المذكرة التي وضعتها عن القضية العربية ثم أقول:

عندما غادرت سوريا، كنت أرغب أن أذهب إلى سويسرا، لمخابرتكم منها عن الوقت الذي تجدونه مناسباً لمقابلتي في إنكلترا.

على إنني عندما وصلت إلى هنا(إيطاليا) علمت أنكم في " لوسرن" فرأيت أن لا أذهب إليكم مخافة أن لاتكون الفرصة سانحة عندكم لمقابلتي .

والآن، وقد عدتم إلى بريطانيا، فإني أقدم إليكم مذكرتي بواسطة الجنرال حداد باشا، الذي أضع أنا ووالدي كل ثقتنا به.

وإني لآمل أن تطلعوه بسرعة على رغبتكم في مقابلتي شخصياً في إنكلترا، لأن لدي تصريحات شفوية عظيمة الأهمية - وخاصة فيما يتعلق بالموقف الجديد - أرغب في اطلاعكم عليها.

وفوق هذا أريد أن أضيف إلى ذلك أن والدي ملك الحجاز، قد عهد إليّ مرة أخرى بمهمة تمثيله في القضية العربية عامة، وكلفني ترؤس الوفد الذي عينه لتقديم تشكراته للملك جورج، لتفضله بإرسال الهدايا له، كما أبرق لكم بذلك من بورسعيد.

قصر " ايشتي" إيطاليا

١١أيلول عام ١٩٢٠م

عزيزي مستر لويد جورج"

بالرغم من الألم الذي أثارته في نفسي حوادث سوريا منذ بضعة شهور، وما جلبته عليّ من اضطراب الفكر وانشغاله، فقد كنت أتابع قضية العراق بكثير من اليقظة وإلاهتمام، وإنك تستطيع أن تتأكد أني شعرت بحزن عظيم لتبدل العلائق الودية السابقة بين العرب والإنكليز هناك.

ولقد أثرت إلاضطراب في الشمال، عندما عقد الفرنسيون اتفاقية الهدنة مع مصطفى كمال ثم الجلاء عن طرابلس، وفتح الباب على مصراعيه للمؤتمرات والدعايات التركية، في سورية والعراق وقد اقترحت على اللورد اللنبي، في ذلك الوقت، أن ترابط جيوش العربية على الحدود وتحافظ عليها، ولكنه لم يجبني على كتابي.

والذي اعتقده أن هذا الفتور الذي بدأ على تلك العلائق - وهو نتيجة سوء تفاهم وقع بين الشعبين الإنكليزي والعربي - ليس صعب الحل والمعالجة مادامت غايات الشعبين واحدة!

أما غايات انكلترا فقد اطلع والَدي الملك حسين عليها، كما أن غايات والدي قد اطلعتم انتم انفسكم عليها فكانت كل منها تؤيد الأخرى. فكيف يمكن أن لاتتفق سياستهما؟

إذا نفذت العهود المقطوعة للعرب بواسطة الملك حسين، فأنا على ثقة بأن كل شيء سيحل على أهون سبيل.

وأملي العظيم -كماهو كل عربي - أن تنفذ هذه الوعود بسرعة. لأن في تنفيذها ما يؤمن مستقبل أبناء جنسي، ويثبت شرف وصداقة بريطانيا العظمى.

ولاتلبث أن تعود العلائق الودية التي كانت تربط الشعبين الإنكليزي والعربي خلال الحرب إلى سابق عهدها.

المخلص فيصل

فيما يلي المذكرة التي رفعها الملك فيصل لحكومة صاحب الجلالة البريطانية وهذا نصها:

إن الأعمال غير الشرعية التي قامت بها فرنسا في سوريا، قد اضطرتني للسفر إلى أوربا موفداً من قبل والدي الملك حسين لأعرض القضية العربية مرة أخرى أمام حكومة صاحب الجلالة.

فالأعمال التي قامت بها فرنسا في سوريا، لايمكن تطبيقها على اعترافات فرنسا السابقة فيما يتعلق بأغراضها وغاياتها في الحرب. واعتقد من جهتي أن في هذه الأعمال خرقاً لمعاهدة فرساي التي أصر الفرنسيون على تطبيقها بحذافيرها.

فقد أخذت فرنسا من العرب المنطقة الوحيدة التي تضم المدن العربية ـ خلا الجزيرة العربية ـ وجعلت موقف عائلتنا أمام العالم الإسلامي عامة، والعالم العربي خاصة، موقفاً لايمكن لعائلة احتماله. فعائلتي هي العائلة والقائدة في جزيرة العرب.

ولمّا كان والدي هو زعيم هذه العائلة فقد اعترِف به زعيماً للحركة العربية الرامية للفوز بالاستقلال.

وقد حمل العرب أسلحتهم ضد الأتراك اعتماداً على بعض العهود التي قطعها الملك حسين لهم.

وهذه العهود التي قطعها والدي كانت مؤسسة على العهود التي قطعتها بريطانيا العظمى.

وستطلعون في هذه المذكرة على الحوادث التي أدت إلى احتلال دمشق بالجيوش الفرنسوية وأظن أن تفاصيل هذه الحوادث لابد أن تعطيكم فكرة صريحةً واضحةً عن الغايات التي كانت ترافق أفكار الجنرال غورو منذ مغادرته باريس قادماً إلى سوريا.

يدرك كل عربي اليوم غايات الجنرال غورو منحصرة في احتلال المنطقة التي تعهدت بريطانيا بتأسيس حكومة عربية مستقلة فيها احتلالاً عسكرياً، بأية حجة من الحجج!

وبما أن فرنسا قد أدركت أن عائلة الشريف هي زعيمة الحركة العربية، وأنها تعمل بموجب التعهدات التي قطعتها بريطانيا لها فقد قررت أن تضرب هذه العائلة ضربةً قاسيةً وأن تتخلص من العثرة التي وجدتها أمامها ـ وهي أنا ـ فقامت تنشر النفوذ الفرنسي وتعلو به، وتقضي على النفوذ الإنكليزي في الشرق الأدنى في آن واحد.

ففي اليوم الذي وقعت فيه الحوادث في دمشق، قامت الصحف الباريزية (الباريسيه) تهاجم عائلتنا مهاجمة متتابعة.

فبعد أن أعُترف بوالدي، وبعض أفراد العائلة، زعماء العرب الأبطال المناظلين في سبيل الحرية، قامت تلك الصحف الفرنسية تعمد إلى عبارات السب والإهانة، حتى أن احدى الصحف نشرت مقالاً قالت فيه".. العائلة الهاشمية التي كانت وصولها إلى الملك في دمشق من اختراع الإنكليز"!..

وعلى هذا فإن أغراض الحكومة الفرنسية، والأهداف التي ترمي إليها، قد تحققت أخيراً .

فقد احتل الجنرال غورو دمشق، وثلاث مدن أخرى، وأصبح العالم أمام "الأمر الواقع".

ولست أتكلم أنا الآن لدوافع وأسباب شخصية. فأنا ليس لي مطامع خاصة.

وأعتقد أن كل إهانة، وظلم، وسباب يصيبني انما يضيف إلى مفاخر العرب الوطنية التي اظهروها خلال الحرب.

أنا أعتقد - من كل وجهة من وجهات النظر- إن احتلال دمشق كان غير شرعي.

فقد أيد مؤتمر الصلح في اجتماعاته الأولى إيكال أمر إدارة المنطقة الشرقية إلي، وهي الإدارة التي كنت استلمت زمامها منذ الهدنة تحت سلطة الجنرال اللنبي، كما اعترف بذلك ضمناً في ١٥أيلول عام ١٩١٩م في المذكرة التي أرسلها مستر لويد للمسيو كلمنصو، ولممثلي الدول العظمى، وإليّ شخصياً. إذن فليس لأي قائد فرنسي الحق أن يسلبني هذا المركز. وأن يخرق حرمة استقلال

سوريا. ثم أن مركزي بصفتي رأس حكومة سوريا، قد أُعلن وفق رغائب الشعب، واعترفت به بريطانيا العظمى، على أثر القرار الذي اتخذه مجلس مؤتمر الصلح في سان ريمو.

فإذا روعيت معاهدة فرسايل وما تضمنته من مبادىء"الحق فوق القوة" والعدول عن التدابير العسكرية، والحق القومي في الاستقلال والحرية، وكان قرار عصبة الأمم ليس إلا قراراً فارغاً لاقيمة له، إذن يجب أن يعتبر عمل فرنسا تدبيراً جائراً لامبرر له.

يدعي الجنرال غورو إنه إنما ينفذ إلانتداب في الأعمال التي قام بها، فما هو إلانتداب؟

هل صادقت عليه عصبة الأمم والمجلس الأعلى؟

إن الشروط التي أرسلها الجنرال إليّ من جهة، والتصرفات التي تبدو من الجانب الفرنسي من جهة أخرى إنما هي شروط وتصرفات محتل يريد فرض شروطه بقوة السلاح وهذا يناقض المبادىء التي كانت الدول المتحالفة تحارب من أجلها، كما تناقض معاهدة السلام " المادة ٢٢، الفقرة الرابعة من قرار عصبة الأمم التي تنص على وجوب اعتبار رغائب الشعوب في قضية إلانتداب. وهذا ما لم يطبق في سوريا.

والجهد الوحيد الذي بذل في هذا السبيل في سوريا كان من جانب حكومة الولايات المتحدة التي أرسلت لجنة عام ١٩١٩، لتتعرف إلى مطالب الشعب في هذا الصدد.

وقد أعلن اللورد اللنبي آنذاك أن هذه اللجنة هي الوحيدة التي توفد إلى سوريا وأن مؤتمر الصلح سيعتمد على تقريرها عندما يبحث في تقرير مصير البلاد.

والعدل وإلانصاف يقضيان بإذاعة ونشر هذا التقرير الذي بقي سراً مكتوماً حتى الآن.

إن ما يفهمة الجنرال غورو من إلانتداب - إلانتداب الذي يفرضه بثمانين

ألفاً من الجند يحملون أحدث أنواع القتل والتدمير- لا يتفق قط والتصريحات الإنكليزية ـ الفرنسية في ١١تشرين ثاني عام ١٩١٩م، التي تنص على رغبة هاتين الحكومتين في مدريد المساعدة لتشكيل الحكومات الوطنية المحلية، في البلاد العربية، وعدم رغبتهما في فرض الأنظمة الخاصة في هذه البلاد .. كما تنص على أن رغبة هاتين الدولتين الوحيدة هي السعي والمساعدة في تأمين أعمال الحكومة العربية، وتنفيذ الأنظمة التي تقررها بنفسها بحرية.

واعتقد أنني لست في حاجة لأن أوكد وجود التناقضات بين كلمات الحكومة الفرنسية عام ١٩١٨، وأعمال الجنرال غورو عام ١٩٢٠.

وعلى كل حال لم يكن من المنتظر، ولم يكن من العدل أن يطبق إلانتداب على دمشق والمدن الأربع، لأن في هذا التدبير ما يناقض العهود التي قطعتها بريطانيا للعرب تناقضاً صريحاً.

مسؤولية بريطانية

لقد أشرت في حديثي إلى المسائل المتعلقة بمؤتمر الصلح، وإلانتداب، وإلى قرار عصبة الأمم وتصريحات انكلترا وفرنسا عام ١٩١٨م، لأبين أن عمل فرنسا لم يكن مشروعاً في أي وجه من الوجوه.

غير أن قضية العرب ليست متعلقة بأي قرار من قرارات مؤتمر الصلح، أو قرار أية دولة من الدول، خلا إنكلترا.

فنحن قد تفاوضنا مع أنكلترا لاسواها والعهود التي قطعت لنا إنما هي عهود قطعتها لنا انكلترا، وقد قال والدي في كتاب بعث به في تشرين أول عام ١٩١٧إلى المفوض السامي في القاهرة مايلي:

" أما ما يتعلق بقضيتنا، والبحث في مؤتمر الصلح. فإنني أقرر واقول منذ الآن إنه ليس لي علاقة بالمؤتمر، أو أية سلطة أخرى. واعتقد أنه من الأصلح أن لاتبلغ إلينا مقررات المؤتمر بواسطة المؤتمر. لإنني أكون ناكراً لرحمة الله إذا قبلتها".

وقد أراد صاحب الجلالة والدي أن يقول أن انكلترا هي التي قطعت العهود

لا سواها، وإن انكلترا نفسها بأن ترى عهودها منفذة.

وإذا حضرت مؤتمر الصلح - رغم أني أقدر الشرف الذي أولاني اياه صاحب الجلالة البريطانية - فإنما فعلت لك، لأن السلطات البريطانية هي التي طلبت إليّ أن افعل ذلك .

ثم إذا سافرت أنا إلى باريز(باريس) في شهر تشرين أول السابق ،وسعيت للمفاوضة مع الحكومة الفرنسية وعدت لسورية أحمل أحسن الرغائب للتفاهم مع الفرنسيين، ثم أنا إذا سعيت أن أجعل الشعب هادئاً وأحول بينه وبين مهاجمة الفرنسيين عندما كانوا ضعفاء في سورية وكانت المصاعب في ملكي تكتنفهم من كل حدب وصوب ولم يكن لديهم في سوريا سوى حامية كانت تتألف بعض الأحيان من ألف رجل ـ إذا أنا فعلت هذا كله فإنما فعلته كي أستطيع أن أقول ذات يوم للدولة التي اعطتني كلمتهما أني نفذت التعليمات التي تلقيتها منها بكل دقة وكل إخلاص.

فقد كانت الكتب الرسمية التي تصلني من اللورد اللنبي تصر علىّ ملحةً أن لا أتخذ موقفاً عدائياً من الفرنسيين. حتى انني قد تلقيت برقية من اللورد كرزون، قبل احتلال دمشق بثلاثة أيام، يطلب الي فيه بإلحاح أن لاأتخذ أي موقف عدائي.

ولهذا لم أفكر قط محاربة الفرنسيين ومقاومتهم، الأمر الذي كان يجعل موقف الفرنسيين في سوريا صعباً للغاية لو أقدمت عليه.

وفوق هذا، فقد كنت أقبل دوماً شروط الفرنسيين ـ رغم أنها مستحيلة ـ أملاً أن أسافر فيما بعد إلى أوربا، وأسوي المسألة فيها.

وإني لفخور أن أقول كنت مخلصاً للمبادىء التي وضعها والدي. وهو أن أفاوض حكومة واحدة، وهذه الحكومة هي بريطانيا.

والآن وقد خطت فرنسا خطوة جعلت كل أمل في التفاهم والصلح مستحيلاً، فقد جئت باسم والدي أطلب من إنكلترا أن تقوم بوعودها.

لقد كانت الحركة العربية موجودة قبل الحرب. فقد وضع العرب نصب

أعينهم دوماً استعادة استقلالهم، وتجديد عظمة المملكة العربية والخلافة الإسلامية السابقة. فالظن إذن بأن الحركة العربية قد نشأت عام ١٩١٥، ظن خاطيء.

وكل مافي الأمر أن زعماء العرب وجدوا في نشوب الحرب فرصة لتحقيق أمانيهم، فقاموا بحركتهم.

فقد حث الألمان السلطان - خليفة الأسلام - على إعلان الحرب المقدسة متأملين من وراء ذلك أن يتحد العالم الإسلامي معهم. وكانت انكلترا - بلا ريب - هي العدوة الأساسية .

وقد أدركت بريطانيا مايمكن أن يصيب المسلمين من أخطار هذه الحرب وعرفت أن هناك فتوراً في قلوب العرب من الأتراك، فدخلت في المفاوضات مع والدي الملك حسين.

وأعترف قبل أي شيء أن أساس إلاتفاق مع والدي شريف مكة، هو إلاعتراف باستقلاله، لإنه رفع السيف في وجه الأتراك، ولأن هذا العمل هو أعظم عمل سياسي تستفيد منه الدول المحالفة في العالم الإسلامي.

وقد أعلن والدي على أثر هذه العهود بأن الجهاد ضد الأتراك ليس من الأعمال غير المشروعة، لأن الأتراك يقومون بأعمال تناقض مصالح الإسلام الحقيقية.

وقد نجحت عائلتي في إقناع العرب بهذه النظرية، بمساعدة بريطانيا. وأسست سياستها مع العرب على أساس الوعود التي قطعتها إنكلترا لوالدي.

وبهذه الوسيلة، حمل العرب سلاحهم تحت علم خليفة النبي، رغم أنه كان المطلوب منهم محاربة السلطان الذي كان إلى ذلك الحين خليفتهم.

وقد رافقهم النجاح في ثورتهم، فسقطت مكة دفعة واحدة بين أيديهم. وذاعت الأنباء بين جميع الأقطار الإسلامية، وأتباعه وأكثرية الشعب العربي بالقسم الذي يتعلق بهم في إلاتفاق. فقد قدموا كل المساعدة لجيوش الجنرال اللنبي وكانوا عاملاً هاماً في نجاح خلفاء المعركة.

وقد جئت الآن باسم والدي اسأل بريطانيا أن تقوم بتنفيذ القسم الذي يتعلق بها في الإتفاق.

أنا لا أود أن أعود إلى ذكر إلاقتراح الذي عرضه على والدي من أول الأمر.. وهو أن يظل شريف مكة " حيادياً" فنحن لو ظللنا حياديين كنا نفوز من إنكلترا بنفس العهود في منح الجزيرة العربية استقلالها.

.... ومع هذا فقد خرجنا للحرب فقاتلنا وخسرنا عدداً كبيراً من رجالنا المقاتلين وعرضنا أنفسنا لخطر مهاجمة ابن السعود الذي كان يستطيع أن يهاجمنا بالنظر لضعفنا وبفضل الأسلحة التي فاز بها من إنكلترا.

لقد فعلنا هذا كله ... ومع هذا فقد قطعت علائقنا اليوم مع البلاد العربية وأصبحت حالتنا أسوأ مما إذا كنا لم نذهب للحرب وظللنا " حياديين" كما اقترحت علينا إنكلترا في أول الأمر لقاء الأعتراف باستقلال المملكة العربية .

لقد كنا نعتقد في ذلك الحين، أن حملنا السلاح إلى جانب انكلترا ومحاربتنا معها بدلاً من البقاء حياديين سيفيد أكثر من فائدتها، وسيجعل إنكلترا تؤكد تنفيذ عهودها كل التأكيد.

والعهود التي قطعتها إنكلترا لوالدي هي عهود صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

فقد طلب والدي في كتاب أرسله في ٢٤تموز عام ١٩١٥مايلي:

أولاً : يجب أن تعترف إنكلترا باستقلال البلاد العربية التي يحدها شمالاً مرسين أضنه حتى الدرجة ٣٧من خط العرض، الذي يمر على بيره جك، وماردين حتى الحدود العجم، وشرقاً الخليج الفارسي، وجنوباً المحيط الهندي خلا عدن وغرباً البحر الأحمر، والبحر المتوسط حتى مرسين. على إنكلترا أن توافق على إعلان خليفة عربي للمسلمين.

ثانياً: على دولة الشريف العربية أن تعترف بأن انكلترا هي الدولة المفضلة في جميع المشاريع إلاقتصادية الخ.. الخ..

وفي ٣٠آب عام ١٩١٥، أجاب والدي على هذا الكتاب، بكتاب طويل ينقض

غموض جواب المفوض السامي ولهجته الباردة المترددة فيما يتعلق بنقطة الحدود الهامة.

وقد أشار والدي في كتابه إلى أن مصالح اتباع ديانتنا تتطلب تصريحاً واضحاً في هذا الموضوع لأن حياة المملكة العربية العتيدة متعلقة بهذه الحدود المذكورة.

وفي ٢٤تشرين ثاني عام ١٩١٥أجاب المفوض السامي والدي قائلاً أن منطقتي مرسين واسكندرون، والمناطق الواقعة في غرب دمشق وحمص وحماه وحلب، لايقال ولايمكن أن يقال أنها عربية صرفة وأنه من الواجب استثناؤها من الحدود المذكورة.

أما فيما يتعلق بالأراضي التي تستطيع إنكلترا أن تعمل فيها بحرية ماتريده دون استشارة فرنسا حليفتها فقد أضاف السير هنري مكماهون يقول :

إن لي السلطة باسم بريطانيا العظمى أن أعطي العهود والتأكيدات التالية:

" إن بريطانيا العظمى على استعداد للإعتراف وتأييد استقلال العرب في البلاد المحدودة في اقتراح الشريف.

أما فيما يتعلق بولايتي بغداد والبصرة فإن العرب سيعترفون بمركز ومصالح بريطانيا فيهما على أن يكون لها الحق في أن تتخذ فيهما التدابير الإدارية لحفظهما من الإعتداء الخارجي" .

وفي كتاب آخر مؤرخ في ٢٥تشرين أول عام ١٩١٥أضاف المفوض السامي إلى سابق تصريحاته أنه " من المفهوم أن العرب قد وافقوا على اختيار بريطانيا وحدها في مهمة الإستشارة والإرشاد واستخدام الإنكليز وحدهم إذا احتاجوا إلى مستشارين فنيين لتنظيم شؤون المملكة".

فأجابه والدي بكتاب مؤرخ في ٥تشرين ثاني عام ١٩١٥، يقول له فيه: "إن رغبة في تسهيل الإتفاق وخدمة المسلمين واعترافاً بموقف انكلترا ومزاياها يتنازل عن إصراره في ضم ولايتي مرسين وأضنه إلى المملكة العربية ولكنه يقول أن حلب وبيروت ومرفأ بيروت إنما هي عربية محضة".

أما ما يتعلق بالعراق فقد قال والدي أنه قسم من المملكة العربية و إنه كان مركز الخلافة في العصور السابقة، وأن العرب بأجمعهم يعلقون عليه اهتماماً خاصاً ولايمكن أن ينسوا تقاليدهم وينسوا البلد الذي كان مركزاً لأكثر خلفائهم .

ثم أضاف إلى ذلك قائلاً : " وعلى هذا لايمكننا ارضاء الشعب العربي وإرغامه على التنازل عن العراق بأي حال من الأحوال".

على أنه رغبة منا في تسهيل الإتفاق نستطيع أن نوافق على ترك العراق تحت الإدارة الإنكليزية " وهي محتلة بالجيوش الإنكليزية " وذلك لقاء مبلغ من المال يدفع كتعويض بالنظر لما يتطلبه تأسيس كل مملكة جديدة من مال.

أما ما يتعلق بالادارة والمستشارين والموظفين فقد أشار والدي إلى ماكان قاله في رسالة سابقة وهو أنه لايعارض في ذلك وخاصة أن المفوض السامي قد صرح أن كل هؤلاء لايكون لهم دخل في الشؤون الداخلية.

وفي ١٤كانون أول عام ١٩١٥أجاب المفوض السامي بكتاب قال فيه " أما ما يتعلق ببيروت وحلب فإنه سيتخابر بشأنهما مع والدي في وقت أخر، وصرح أن الحكومة الإنكليزية مستعدة أن تعطي كل ضمانات المساعدة والتأييد للمملكة العربية ولكن مصالحها تحتاج إلى سرعة لاتسمح الظروف الحاضرة في المفاوضة بشأنها".

وفي كانون ثاني عام ١٩١٦ كتب والدي إلى المفوض السامي يقول : " أما ما يتعلق بالعراق والتعويض الذي أشرنا إليه لقاء فترة الإحتلال فإننا نترك تقدير الحكومة البريطانية وعدلها وتقوية لثقتنا ببريطانيا وإخلاصنا في مفاوضة حكومتها "أما ما يختص في الأقسام الغربية ومرفئها فإن الشعور السابق يجعلني اتجنب ما يمكن أن يسيء إلى تحالف بريطانيا وفرنسا.

ومتى انتهت الحرب، فأننا سنسألكم في أول فرصة "عن تلك الأقسام التي غضضنا النظر عنها، والآن تركناها لفرنسا حليفتكم ".

ويتحدث والدي بعد هذا عن وجود فرنسا، ويقول أن وجودها في أي مكان كان ليس من الحكمة في شيء.

ثم يضيف إلى ذلك قائلاً :

"إن الشعب البيروتي لن يرضى حتماً بمثل هذا الإنفراد، ولابد أن يضطرنا لاتخاذ تدابير جديدة قد تجعل انكلترا إزاء اضطرابات ومشاغل لاتقل عن اضطرابات ومشاغل اليوم "..

ثم شرح بإسهاب لمإذا يعتقد باستحالة السماح لفرنسا دولة سواها؛ بقطعة واحدة من تلك المنطقة.

وفي ٢٥تشرين أول عام ١٩١٦كتب المفوض السامي، مقدراً الدوافع التي دفعت والدي لبحث هذا الموضوع باهتمام، وقال أنه كتب الملاحظات الكافية على ملاحظاته المتعلقة ببغداد، الأمر الذي سينظر فيه باهتمام تام عندما تغلب الجيوش التركية على أمرها، ويعود السلام إلى نصابه.

أما ما يتعلق بالأراضي الشمالية؛ فقد شكر المفوض السامي والدي على رغبته في تجنب كل مامن شأنه أن يضر التحالف الإنكليزي والفرنسي.

وبعد هذا أود أن أعود لذكر الشروط التي أتفق عليها بين والدي والمفوض السامي وهذه هي :

١ـ تأسيس مملكة عربية تمتد من الخليج الفارسي إلى حدود كيلكيا - بما فيها حلب وحمص وحماه - حتى حدود مصر، على أن تكون هناك"ادارة خاصة" في ولايتي بغداد والبصرة بإلاتفاق مع الشريف في نهاية الحرب.

لبنان المنفذ البحري

٢ـ رغبة من والدي في أن لايخلق شيئاً من المشاكل بين الحلفاء خلال الحرب فإنه " يغض النظر"عن لبنان وبيروت ومرفأها " ويتركها على أن يعاد البحث في أمرها بعد الحرب.

٣ـ تتعهد إنكلترا بتأييد المملكة العربية ومساعدتها بالاستشارة والمحافظة عليها من الهجمات الخارجية على أن لا تستخدم المملكة مستشاريها وموظفيها من أية دولة من غير إنكلترا.

معاهدة سايكس بيكو

ولما كان من المنتظر أن تطلب الحكومة البريطانية من العرب أن يعذروها في عدم قيامها بتلك العهود بحجة أنها لاتتفق ومعاهدة سايكس -بيكو وأجاب والدي على ذلك بهذه الملاحظات :

١ـ إن العهود التي قطعتها الحكومة البريطانية على نفسها هي سابقة لهذه المعاهدة ولذلك فإن ماجاء في معاهدة سايكس بيكو مناقضاً لتلك العهود، ويجب أن يعتبر باطلاً.

٢ـ وعندما لفت والدي النظر إلى هذه المعاهدة السرية التي اطلع عليها بواسطة جمال باشا - الذي أطلع عليها من الأرمن - أجابه المفوض السامي بهذا الكتاب :

" لقد اطلع البلاشفة في وزارة الخارجية في بتروغراد على سير المفاوضات والمحادثات الإحتياطية "لا المعاهدة" بين انكلترا وفرنسا وروسيا التي جرت في خلال الحرب، لتجنب المصاعب بين الدول التي تحارب تركيا.

وقد شوه جمال الغرض الأساسي من هذه المفاوضات والمحادثات ـ إما عن جهل وإما عن خبث ـ فلم يذكر الشروط المتعلقة بالموافقة على تأسيس الحكومات الوطنية المستقلة والمحافظة على مصالحها، وجهل أن نجاح الثورة العربية وإلانسحاب من روسيا قد أحدثا موقفاً مختلفاً ".

وعندما تلقى والدي هذا التصريح الواضح طلب أن لايكون في معاهدة سايكس بيكوَ ما يقف معارضاً للعهود المقطوعة للعرب.

لقد زرت أوربا مرتين ولكنني لم أسأل قط عما تم في فلسطين والعراق فقد كنت أعمل مع والدي حسب مانعتقد أنه حسن تجاه انكترا ـ على الخطيئات التي ارتكبت للفت نظركم إليها.

وقد كان من نتيجة هذه الأخطاء أننا أخرجنا من سوريا والعراق، وهما بين ألسنة اللهيب.

أما فيما يتعلق بفلسطين فقد تركت التعليمات مع مندوبي للاطلاع على وجهة نظر الحكومة البريطانية بهذا الشأن التي اعتقد أنها ستكون موافقة على جميع الأعمال.

وأنا آت الآن للمرة الثالثة للحكومة البريطانية باسم والدي وأنا على ثقة بأن تلك التعهدات ستكون موضع نظر وعناية واهتمام الحكومة.

فالعرب يعتقدون أن " الإنكليزي " يحافظ على تنفيذ كلمته ويعلقون أملهم على " كلمة الإنكليزي" أنه ليس في التقاليد الإنكليزية ما يعتبر المعاهدات كأوراق مهملة لا قيمة لها.

وأنا لا أطلب من الحكومة الإنكليزية ماليست مستعدة للقيام به، فقد قال مستر لويد جورج في اجتماع حضرته في (الدونتج ستريت): " لقد قامت القوى العربية بالعهود التي قطعتها إلى بريطانيا ويجب علينا نحن أن نقوم بعهودنا " .

وأخيراً فإني أسأل الحكومة الإنكليزية إذا كان من العدل أن يعامل رجل حالف إنكلترا وعمل تحت لوائها وقاد الثورة نحو النجاح، وكان رأيه الوحيد أن يظل مخلصاً لبريطانيا وحليفاتها، وأن يعامل بمثل هذه المعاملة، لأنه كان مخلصاً نحو بلده، أميناً لإنكلترا.

* ـ انتهى القسم الأول من المذكرة وهذا هو القسم الثاني وهو يتعلق بالحوادث التي وقعت منذ جلاء الجيوش الإنكليزية عن سوريا في نهاية تشرين ثاني عام ١٩٢٠ حتى احتلال دمشق في ٢٤تموز عام ١٩٢٠.

في شهر تشرين الأول ؛ عندما تخلى الفيكونت اللنبي عن مسؤولية الحكم في سوريا، كانت البلاد ـ بصفة عامة ـ هادئة ساكنة، خلا بضعة حوادث وقعت في المنطقة الغربية .

وقد وقعت هذه الحوادث من جراء الشدة والضغط اللذين عمد إليهما الموظفون الفرنسيون ليحولوا بين الشعب، وبين إبداء رأيه الصريح في تشكيل

حكومة عربية، وقد طلعت اللجنة الامريكية على هذا كله في ربيع وصيف عام ١٩١٩.

وفوق هذا كله كان الإستياء عاماً من الإدارة الفرنسية. وكثيراً ما اضطر اللنبي أن يتدخل ليحل المشاكل التي كانت تنشأ بين الفرنسيين والشعب.

لم تكد الحاميات الإنكليزية تنسحب وتحل محلها الجيوش الفرنسية، حتى بدأ الفرنسيون يفكرون في احتلال المنطقة الشرقية احتلالاً عسكرياً.

وقد كانت الحركة الأولى من حركاتهم أنهم اخذوا يجمعون جيوشهم في زحلة وطفقوا يفتحون طريقاً بين جديدة ومرجعيون، وحدود حاصبيا، لايفيد أحداً إلا هم.

وقد أدى هذا إلى إثارة المنطقة الشرقية ووقعت الحادثة الأولى بين السوريين والفرنسيين.

فقد أرسلت فرقة فرنسية بدون أية إشارة إلى المنطقة الشرقية، وأخذ الفرنسيون ينزعون السلاح من المنطقة الشرقية، وكانت هذه الفرقة بقيادة الحاكم العسكري في زحلة.

ولم يكد سكان المنطقة الشرقية يسمعون بهذا كله حتى تجمعوا وقرروا مهاجمة الفرنسيين فأسرع شقيقي الأمير زيد وقد كان نائباً عني خلال غيابي في أوربا لتسوية الأمور وتهدئة الافكار.

والغريب أنه بالرغم من اعتراف الفرنسيين بأن هذه الحوادث قد نكثت عهد السلام، فقد رفضوا معاقبة المعتدين والمجرمين... وأجابوا على هذا الطلب بعد قليل بان أرسلوا قوة بقيادة الجنرال دولامو - لأسباب - فاحتلوا بعلبك، وقتلوا رجلين وقطعوا المواصلات التليفونية بين حمص ودمشق.

وفي هذه الأثناء، وبعد كثير من المفاوضات التي قمت بها في باريز (باريس) بمساعدة وزارة الخارجية الإنكليزية، اتفقت مع مسيو كلمنصو في ٢٧تشرين ثاني ١٩١٩ وأبرقت لشقيقي الأمير زيد بشروط الاتفاقية وهذه هي :

١ـ ان لاتحتل الجيوش الفرنسية البقاع على أن ننسحب نحن منها أيضاً.

٢ـ أن تتألف لجنة من الفرنسيين والإنكليز والعرب للإشراف على رجال الدرك في هذه المنطقة .

قد أرسل مسيو بيشون - وزير الخارجية - نص هذا الأتفاق إلى شقيقي الأمير زيد بواسطة الكولونيل كوس، والموظف السياسي الفرنسي في دمشق.

وقد جاء في برقية المسيو بيشون أن نص هذا الإتفاق قد أرسل للجنرال غورو ليسير بموجبه.

وإذ ذاك طلب شقيقي الأمير زيد من الجنرال غورو أن يسحب جيوشه من البقاع - بموجب إلاتفاق - فكان الجنرال غورو يجيب خلال بضعة أسابيع أنه لم يتلق من حكومته إشعاراً بذلك، واستمر في احتلال مواقع جديدة في البقاع لم يجل عنه الفرنسيون قط .

وفوق هذا فقد كانت السلطات الفرنسية تضبط البرقيات التي كنت أبرقها للأمير زيد من باريز (باريس)، وتقطع مخابرة بيني وبين حكومتي في دمشق، وأصبح البقاع - بنتيجة هذه التصرفات - ميداناً للاضطرابات الدائمة، وأخذ النفور من الفرنسيين يزداد يوماً بعد يوم في مختلف الجهات.

عند وصولي إلى بيروت في ١٤كانون أول سنة ١٩٢٠، كانت الحالة العامة بالرغم من هذا كله مرضية.

فقد استقبلني في المرفأ قسم كبير من الوجوه وأكدت لهؤلاء حسن نوايا الحكومة الفرنسية، وحسن نية ممثلهم الجنرال غورو.

على أن هناك من أكد لي - من ناحية أخرى - أن ما من واحد في سوريا يعرف مقاصد فرنسا في أعمالها، وأن سياستها ترمي إلى إثارة إلاضطرابات في البلاد، لتجعل موقفي في المنطقة الشرقية صعباً، ولتتمكن من التدخل العسكري وفرض سلطتها بقوة السلاح على الشعب كله.

وقد فهّمت ذلك لوالدي أن إدارة الضباط الفرنسيين في منطقتهم - ومعظمهم قادم من إفريقيا الشمالية - كانت تسبب لهم كثيراً من المتاعب.

وكانت الحوادث المخيفة التي تقع بين الجند والشعب في جبل لبنان، ومرجعيون، وتل كلخ، واللإذقية، واسكندورن وجارم وجسر الشغور، لاتعد ولا تحصى.

ولم يكد نبأ هذه إلاضطرابات يصل إلى مسامعي، حتى أرسلت على الفور رسلاً إلى تلك إلانحاء " لتهدئة الشعب "، وإقناعه بأن يكون صديق الفرنسيين. وقد حدث آنذاك أن الأتراك والأكراد أفلحوا في إقناع أحد زعماء العشائر البدوية بمشاركتهم العمل في اخراج الفرنسيين من اورفة. فجاء هذا الزعيم يستشيرني فنصحته بأن لايفعل، فسار على نصيحتي.

وقد عرضت نفسي بهذا العمل لانتقاد شعبي، وقد عرف الفرنسيون أنفسهم من سياستي. فأرسل آنذاك رئيس دائرة الجنرال غورو الساسية، مذكرة إلى الجنرال قال له فيها: "إن لجنة الدفاع الوطني التي كانت قبل وصول الأمير فيصل تدير شؤون الحكومة، وما زالت حتى الآن تنشر في البلاد أفكار "الاستقلال التام"! قد قررت هذه اللجنة محاربة الأمير فيصل إذا كان هذا قد وقع معاهدة مع فرنسا.

وقد كانت إلاستقبإلات في دمشق هذهه في أي وقت آخر ، وذلك لأن الجمهور يتنبأ او يشعر أن الأمير فيصل قد باع سوريا إلى فرنسا ." وهذه اللجنة لا تزال مستمرة في المعارضة، ويظهر أنها لاترغب في مشاركة الأمير في غاياته ومراميه - الزائدة أو الناقصة في إلاخلاص، للتقرب منا".

هذا ... واعتقد أن كل من يعرف طبيعة المنطقة الشرقية وصعوبة المواصلات، وطبيعة العشائر المشاغبة، يدرك صعوبة العمل في تهدئة الخواطر الثائرة، والحيلولة دون رغبة هؤلاء في مهاجمة الفرنسيين في المنطقة الغربية .

ومما يجب ذكره هنا أنه عندما كانت حامية الفرنسيين في أقصى مراتب الضعف وكان عدد رجالها لايزيد عن الألف، في ذلك الحين، زرت حلب زيارة شخصية لأوقف العصابات الذاهبة لمشاركة الأتراك الوطنيين في محاربة الفرنسيين في كليكيا.

ازداد استياء الشعب في كل مكان، ورأى الناس أنه انقضى ثمانية عشر شهراً على إعلان الهدنة ولم يظهر شيء حتى الآن، على أن هناك رغبة في العمل على إجابة رغائبهم .. وكان الشعب من ناحية أخرى يرى الفرنسيين يطبقون سياسة استعمارية محضة. كما كان الأتراك يرسلون دعاتهم إلى المدينة ويحرضون الرأي العام ضد الحلفاء الذين يقومون ويطبقون مثل هذه السياسة بالرغم من محاربتهم إلى جانبهم، ويقولون أن سوريا والعراق سيقسمان إلى قسمين، وإنه من الأفضل لهم ولمصلحتهم أن يسيروا إلى جانب الأتراك لمعارضة أنانية السياسة الأوروبية بقوة السلاح.

وكل ما كنت أستطيع عمله في هذه الظروف هو أن أقنع كل واحد بأنهم إذا صبروا وانتظروا فإنهم واصلون إلى مايرضيهم .

في ٨ آذار عام ١٩٢٠ أعلن شعبي بواسطة مندوبيه الذين اجتمعوا في دمشق استقلال سوريا، وانتخابي ملكاً عليها. وقد قال هؤلاء المندوبون في أنفسهم أنه إذا كان الحلفاء مخلصين في أعمالهم ووعودهم، فإنهم يعترفون بهذا القرار الناشيء عن رغبة الشعب العامة، والذي يضع وعود الحلفاء موضع التنفيذ، ويبرهنون بذلك على كذب الأتراك في ادعاءاتهم.

أما إذا كان الأمر على النقيض من هذا. ولم يؤيد الحلفاء عمل الشعب السوري وقرار مندوبيه، يظهر صدق الأتراك في كل ادعاءاتهم وأقوالهم وتحذيراتهم.

لقد قيل عن المؤتمر السوري، الذي مثّل الشعب السوري حق التمثيل أنه مؤتمر غير قانوني. مع إن هذا المؤتمر قد انتخب بأفضل الوسائل المشروعة، وكان - حسب أوامري وطلبي - يمثل الشعب السوري بكامله كل التمثيل.

فقد جرت إلانتخابات على الدرجة الثانية وحسب القوانين التركية القديمة. فانتخب ٨٥ مندوباً من مختلف الجهات، أضفنا إليهم ٣٥مندوباً عن زعماء القبائل ورؤساء الأديان.

وقد جاء الأعضاء من المنطقتين الشرقية والغربية، وكان هؤلاء يمثلون مختلف المذاهب والديانات. وأرسل لبنان ثلاثة مندوبين، كان انتخبهم لاطلاع اللجنة الأمريكية على رغائب اللبنانيين وأمانيهم .

وبعد أن نزلت عن قرار المؤتمر، وقبلت العرش، أعلنت السياسة التي يجب أن تسير علها الحكومة الجديدة، وعنيت عناية خاصة أن لا ألعب بعواطف الشعب الوطنية وأن لا أخدعه، مع أنه كان في وسعي إذ ذاك - إذا أردت - أن أكون محبوباً من الشعب إلى أقصى حد.

وقد أسرعت بعد هذا إلى الشروع في تنظيم الإدارة والحكم بشكل يتفق وطبيعة البلاد. فألفت حكومة، كان للمسيحيين من يمثلهم فيها وكان موقف الوزارة في العمل موقفاً صعباً إلى حد كبير.

وذلك لأن الفرنسيين كانوا مسيطرين على الشاطىء، وكانوا يتقاضون الرسوم الجمركية التي كانت المورد الأساسي في الخزينة، ولايدفعون حصتنا إلا بصورة منقطعة، كما أنهم لايدفعون إلينا سوى قسم ضئيل من هذه الحصة وهذا ما جعل حكومتي تواجه صعوبات جمة منذ تأليفها، وتقع في حيرة شديدة لشدة حاجتها للمال.

ثم ازداد سوء الحال بعد ذلك وأخذ الفرنسيون يطبقون سياسة جائرة في الشؤون الجمركية، فأضروا التجارة وأوقعوا أضراراً لاحد لها بأسواق دمشق، هذا ماكانوا يرمون إليه من وراء سياستهم هذه ...

وهكذا بدأت المملكة الجديدة حياتها تحت هذا الكابوس، فأخبرت وزارة الخارجية الإنكليزية بواسطة الجنرال حداد باشا عن الأسباب التي أدت للقيام بهذا العمل، وإعلان الاستقلال والملكية، فأجابتني الوزارة المذكورة بعد مقررات (سان ريمو) أن انكلترا تعترف باستقلال حكومة سوريا وتعترف بي ملكاً عليها.

أما فرنسا فقد رفضت أن تتخذ مثل هذا القرار وتعترف بالاستقلال وبي.. وذهب الجنرال غورو فوق هذا إلى لبنان وأخذ يخطب خطباً ضد حكومتي مثيراً اللبنانيين للاحتجاج على مقررات المؤتمر السوري .

وعندما عدت للمرة الثانية لقضية البقاع وطلبت إلى الجنرال غورو أن يجلو عن البقاع اجابني جواباً غريباً قال فيه:" كنت تريد أن انسحب من البقاع وأنا لا أستطيع أن أمنع الضباط الذين يصرون على التقدم ! "فأجبته:" إذا كان الجنرال غورو يجد أنه من الصعوبة منع ضباطه - وهم الذين يسيرون على نظام الجندية - فكيف أستطيع أنا أن أمنع رجال القبائل الذين لايعرفون شيئاً عن النظام؟"

وكان موقف فرنسا يزداد غموضاً يوماً بعد يوم، وقد استطاعت بعد عقد الهدنة مع مصطفى كمال أن ترسل قسماً كبيراً من جيوشها إلى هذه البلاد، وأخذت تحشد مختلف الأنحاء بالجند والمصفحات والطيارات الخ..

لقد كنت دوماً أفكر في السفر إلى باريز (باريس) لبحث هذه المشكلة مع الحكومة الفرنسية، بيد أن ازدياد خطورة الموقف يوماً بعد يوم، جعلني اعتقد وجودي في سوريا ضروري للغاية.

لقد كان وجودي في سوريا أكثر ضرورة، في ذلك الحين، من وجودي في أوربا. وقد أعترف الجنرال غورو بذلك في كتاب بعث به إلى حكومته كما أعترف اللورد كرزون بمثل هذا في الخطاب الذي ألقاه في مجلس اللوردات، رغم أنه صرح برغبته في أن يراني في المستقبل القريب في لندن.

وإذ ذاك سرت حسب الآراء التي أبرق بها إلى الجنرال حداد باشا من لندن، وقررت أن أذهب إلى أوربا حالاً ـ كما تريد وزارة الخارجية الإنكليزية ـ وكان موقف الجنرال غورو، الذي بدا يتضح شيئاً فشيئاً، يقوي عزمي على السفر بأسرع ما أستطيع .

فقد فكرت أنه قد يكون من الممكن - إذا سافرت لأوربا - أن أصل إلى حل للقضية كلها. وكتبت إلى الجنرال غورو في ٩تموز أطلب إليه أن يهيء لي أسباب سفري، فأجابني بأن لديه بضعة شروط يريد أن يعرضها عليَّ قبل مغادرتي سوريا وإلا فإن الحكومة الفرنسية لن تدخل معي في أية مفاوضة.

ومنذ تلك اللحظة أخذت الحوادث تمر بسرعة .. فقد أصبح لدى الجنرال غورو قوى كافية تسحق كل معارضة تحاول أن نبديها، وأعتقد أن ذهابي إلى أوروبا قد ينهي القضية فحال دون سفري. وتحركت الجيوش الفرنسية في ١١-١٢حزيران وأخذت تتقدم من طرابلس نحونا، فاحتلت جسر الشغور ثم دخلت رياق مزودة بالأسلحة والمدافع لتقوية الحامية العسكرية فيها.

وقد حدث كل هذا فجأة وبطرفة عين، دون إخطاري بشيء، وكان من الواضح أن الجنرال غورو يعد العدة للقيام بحملة عامة على منطقتي.

في ١٤تموز تلقيت من الجنرال إنذاره المعروف وأنه لمن المستغرب أن يدعي الجنرال غورو في هذا الإنذار أني وضعت له العراقيل في محاربة العدو المشترك مصطفى كما باشا ورفضت السماح بنقل الذخائر إلى جيشه!

فالذخائر لم يعترض أحد في نقلها ولم يوقفها أحد، أما الجيوش فكل ما فعلته في هذا الصدد هو أني طلب إليه أن يعترف بما إعترفت به إنكلترا ـ فيما يتعلق بالحكومة العربية - وأن يقوم بالتعهدات التي قطعتها حكومته لنا قبل أن ينقل جيوشه على الخطوط الحديدية، وأوضحت له بصراحة أنه يستحيل علي تهدئة الشعب إذا لم يجب هذه المطالب.

وقد طلبت إلى الحنرال غورو أن يعترف بالحكومة وبي لأني كنت أعرف عن ثقة أن حكومته تركت له هذا الأمر يقرره حسب مايراه.

ويجب أن أضيف إلى هذا أن الجنرال غورو كان يرسل الذخائر إلى جيوشه في القطارات، وقد أدركت الآن أن ماقالته الصحف المحلية عن غايات الجنرال غورو في إرسال هذه الذخائر كان صحيحاً لاريب فيه.

فالجنرال غورو لم يكن يرغب في نقل الجند والذخائر لمحاربة العدو المشترك مصطفى كمال بل لمهاجمة منطقتي!

أما أنا فقد أظهرت شعوري نحو مصطفى كمال باشا بصراحة وجلاء قبل أن تجلو الجيوش الفرنسية عن طرابلس، فقد أرسلت إلى الجنرال غورو إذ ذاك كتاباً أشرت إليه فيه عن النتائج الخطيرة التي يؤدي إليها فتح الباب للأتراك

لإثارة القلاقل والإضطرابات في سوريا والعراق، واقترحت عليه أن أرسل إليه جيوشي لتتعاون مع الجيوش الفرنسية في سبيل احتلال المناطق التي قرر مؤتمر الصلح أن تكون من منطقتي، غير أن الجنرال غورو لم يوافق على هذا الاقتراح. وأعتقد أن رجلاً يقترح محاربة الأتراك لايمكن أن يتهم في " وضع العراقيل " أمام الجيش الفرنسي المحالف لمحاربة الأتراك الأعداء المشتركين!.

وقد ذكر الجنرال غورو - استناداً على القلاقل التي اتهمني بإثارتها - ستة حوادث قال أنها وقعت بمعرفتي، ولم يذكر قط أن ثلاثة منها قد وقعت خلال غيابي في أوربا، وكانت المخابرات - حين وقوعها - مقطوعة بيني وبين سوريا.

والحقيقة أن هذه الحوادث الثلاثة وسواها قد وقعت على أثر الأعمال التي كان يقوم بها الموظفون الفرنسيون... وهي الأعمال التي كنت لفت إليها نظر الجنرال غورو مراراً عدة، وأرسلت إليه كتابين بشأنهما.

أما الكتاب الأول فيبرهن على شدة اخلاصي ورغبتي في العمل مع الفرنسيين بروح المودة، ويدل على شدة اخلاصي ورغبتي في العمل مع الفرنسيين بروح المودة، ويدل على أنني عندما ألفت الحكومة الجديدة، كنت واضعاً هذه الرغبة نصب عيني.

وأعتقد أن التهمة التي أُصقت بحكومتي، بأنها تشجع العصابات وتحثها على دخول المنطقة الغربية، تثير استغراب كل رجل كان في سوريا خلال تلك الشهور.

ومما يجدر ذكره هنا أن الفرنسيين أنفسهم سلحوا العصابات المسيحية في مختلف الجهات لإثارة القلاقل في منطقتي.

وقد تبودلت كثير من الرسائل بين الضباط السياسيين الفرنسيين وبعض الأهلين، بشأن استخدام بعض متطوعة الأكراد - بالراتب الذي يريدون - لتأليف العصابات واثارة القلاقل في سوريا، وعلى الحدود الكردية في العراق.

وهناك وثائق كثيرة تبرهن على أن هناك اتفاقات تبين أن الدروز لعبوا على الفرنسيين فأخذوا منهم المال ... ولم يثيروا القلاقل.

أما ما يتعلق بالأمن العام، الذي يجب علىكل حكومة أن تحافظ عليه، فإنكم تستطيعون أن تحكموا على اتهامات الفرنسيين، إذا عرفتم أن المارة في بيروت ـ وهي مركز الإدارة الفرنسية - لايأمنون السير وحدهم في الليل. فقد كان الجنود الجزائريون يقطعون الطرق، ويسلبون المارة. أما في دمشق فلم يكن ثمة شيء من هذا.

ومما يجدر ذكره هنا أنه عندما كانت الحالة خطرة في دمشق وكانت الجيوش الفرنسية تتقدم نحونا وقامت قيامة الشعب لم يشك المسيحيون من شيء ـ رغم اننا لم نكن قابضين على زمام الشعب الثائر - وقد جاء وإليّ يقدمون شكرهم على الإلتفات الذي وجدوه من حكومتي.

ولا أرى حاجة للقول أن سياسة فرنسا كانت منحصرة إذ ذاك في استثمار العواطف المذهبية والنعرات الدينية التي تثور بسرعة - مع الأسف - في بلادنا.

وقد اطلعت حكومتي على مخابرات الفرنسيين مع الدروز وعرفت الأموال التي دفعتها فرنسا لمتطوعة الدروز، لمقاتلة الشيعة في جبل عامل، والمبالغ التي اعطتها للموارنة لمقاتلة الدروز في لبنان، كما علمت أن فرنسا دفعت للشراكسة لمحاربة الآريين في الحوالة، كما دفعت للاسماعليين لمقاتلة النصيرية في بانياس، وكما دفعت للنصيريين لمهاجمة القرى الإسلامية وإحراقها في اللإذقية.

ولم يكن في وسع الفرنسيين - ولو أرادوا - أن يوافقوا تلك العصابات التي ساعدوها عند حد، ولم يكن في وسعهم أن يحصوا الفظائع التي ارتكبتها وهي الفظائع التي تملأ صحائف صفراء من تاريخ سوريا الحديثة.

إذن ... فقد كان من الطبيعي - وفي بلاد هذه حالتها - أن ترتكب هذه الجرائم الشخصية ضد بعض الجند الفرنسي.

وعندما كان يقع مثل هذه الجرائم في إحدى الأنحاء لم نكن لنرى جهداً من الجانب الفرنسي للبحث عن المجرمين، بل كان كل ما في الأمر أن يحرق الفرنسيون أقرب قرية وأن يحجروا أغلالها، ويسوقوا ماشيتها، ويتركوا سكانها في شقاء وتعاسة لاحد لهما.

وإنه لمن سوء حظ سوريا أنها بعيدة. وإن شعبها يجهل كيف يلفت نظر العالم المتمدن ويطالعه على جلية الأمر. ولو لم يكن الحال كذلك واستطاع السوريون أن يُسمعوا أصواتهم للعالم المتمدن لأثارت هذه الأعمال والإلاضطهادات عاصفة شديدة في العالم الأوروبي " تنسف " فرنسا من سوريا إلى الأبد !

على أن هذه الأخبار إذا لم تصل إلى أسماع أوربا وأمريكا، فقد انتشرت في كثير من الأنحاء العربية، وكان كره الفرنسيين يزداد يوماً بعد يوم.

إن التهمة الثالثة التي وجهها الجنرال غورو ضد حكومتي، فهي رفض هذه الحكومة إدخال العملة الجديدة على أساس الفرنك الفرنسي.

وإني لأجيب على هذه التهمة ان الجنرال غورو ليس لديه قوة شرعية لإبدال العملة في المدينة؛ بعملة سواها وهو إذا فعل فإنما يكون مستعملاً سلطة "الحاكم" المطلق.. الأمر الذي لاحق له به!

ثم إن رفض العملة الجديدة لم يكن من حكومتي، بل من الشعب أجمع.

ويدعي الجنرال غورو في انذاره أن حكومتي قد عاملت أنصار فرنسا معاملة سيئة وكرهت ـ من ناحية أخرى - أعداء فرنسا!

وعلى ذلك أجيب أن هؤلاء الأنصار الذي قيل أنهم عوملوا معاملة سيئة، قد كانوا من المتأمرين على الأمن، الساعين لإثارة النعرات الدينية بين مختلف المذاهب .. لقاء الأموال التي دفعها الفرنسيون.

أما هؤلاء الذين يدعوهم الجنرال غورو "أعداء فرنسا" فانهم من الرجال الوطنيين المخلصين الذين يحاربون مقاصد فرنسا، وأنه من المضحك أن يدعى هؤلاء "أعداء فرنسا" وأن يعاملوا معاملة سيئة بالنسبة لهذا العداء.

فقد كان هؤلاء يرغبون أن يعيشوا تحت الحكم العربي وكان قسم كبير منهم يقيم في المنطقة الغربية، وهي المنطقة التي لاسلطة لها عليها.

ولم يكن في وسعي في أي حال من الأحوال أن أخنق الشعور الذي توَّلد في النفوس وشجعته تصريحات الحلفاء في كثير من الظروف.

وهناك تهمة مضحكة أخرى في إنذار الجنرال غورو - وهي تهمة لا ظل لها من الحقيقة - وهي ادعاؤها أننا رشو نا المجلس اللبناني بمبلغ ٤٢ ألف ليرة انكليزية ليطلب الاستقلال بدون مساعدة فرنسا واتهام أعضاء المجلس بالخيانة لأنهم طالبوا بهذا الاستقلال. وهذه التهمة مضحكة لأسباب عديدة:

١ـ لم يكن لدى الحكومة السورية مال تتمكن فيه من دفع شيء.

٢ـ إن المادة المتعلقة بلبنان الكبير قد كانت دوماً خارجة عن السياسة التي كنت أتبعها،ولم أكن أعتقد أن أمراً كهذا يقابل بالارتياح بين سكان الأراضي المقترح إلحاقها بلبنان.

وقد أرسلت لكم طيه ترجمة قرار المجلس وهو القرار الذي نُفي من أجله كثير من أعضائه وإني أعرف السبب الذي حدا بالجنرال غورو للوم الحكومة السورية في هذا الشأن ... وهو محاولة هؤلاء المنفيين الراغبين بالسفر إلى فرنسا وعرض شكواهم عن طريق المنطقة الشرقية بعد أن حالت فرنسا دون سفرهم من المنطقة الغربية.

واتهم الجنرال غورو الصحف الدمشقية بأنها تهاجم السياسة الفرنسية ونسي أن الصحف التي تساعدها فرنسا لم تترك فرصة تمر دون أن تهاجمني وتهاجم القضية العربية مهاجمة شديدة وتحمل على السياسة الإنكليزية في الشرق الأدنى وتحاول الإنقاص من قيمتها.

وقد طلبت مراراً عديدة إلى السلطات الفرنسية أن توقف صحفها عن التهجمات فلم تصغ إلى طلبي، ولهذا لم يكن في وسعي أن أمنع صحف دمشق عن الجواب.

بالرغم من لهجة الجنرال غورو القاسية في إنذاره غير المشروع فقد بذلت كل جهد لأقنع حكومتي بالموافقة عليه، فقد كنت أعرف أن رفضه سيؤدي حتماً إلى مصيبة.

وتلقيت في تلك الظروف الحرجة ـ والضغط يشتد حولـــي ـ برقية من اللورد كرزون، فأعلمت الكولونيل بموافقتي على شروط الجنرال غورو، وطلبت إليه

في نفس الوقت أن يمدد مهلة الإنذار لبينما أتمكن من تنفيذ الشروط فحددها ٢٤ساعة بناءً على طلبي .

وفي ١٩تموز طلبت مهلة أخرى كي أتمكن - هذه المرة - من إبدال الموظفين الذين يترددون في قبول الشروط.

وفي اليوم الذي أجيب فيه طلبي أعلمت الجنرال غورو أن الجيوش العربية التي كانت تحتل مراكز مجدل عنجر القوية والفرق التي كانت ترابط على الحدود انسحبت بناءً على أوامري إلى دمشق، وبدأت منذ ذلك اليوم أسرح الجيوش في العاصمة بناءً على تأكيد الفرنسيين بأن قواتهم لن تتقدم، وقد كان القناصل في دمشق شهوداً على هذا التأكيد.

أريد أن أويد هنا أن موافقتي على شروط الجنرال غورو إنما مؤسسة على اعتمادي الذهاب إلى أوربا لأعرض القضية أمامكم ليأخذ مجراه، بناءً على عهودكم المقطوعة.

وفي ٢٠ تموز أغلقت المؤتمر، وكنت مضطراً لاتخإذ التدابير بعد أن رأيت أعضاءه يرغبون في معارضة مطالب الفرنسيين بقوة السلاح.

وفي الساعة الخامسة والخمسين دقيقة من هذا اليوم نفسه أعطيت الكولونيل كوس جوابي المفصل وموافقتي على شروط الجنرال غورو بأجمعها فوصله الجواب قبل ست ساعات ونصف من نهاية مهلة الإنذار.

ولكن الجنرال غورو يدعي أن برقية الموافقة لم تصله إلا في صباح اليوم التالي أي في ٢١تموز.

ويجب أن أذكر هنا أن موافقتي على شروط الجنرال غورو قد جعلت موقفي في دمشق صعباً إلى أقصى حد.

فقد أدى تسريح الجيوش العربية، إلى قيام حركة في دمشق ضد الحكومة وكان الشعب يؤثر أن يحارب على أن يوافق على مثل هذه الشروط.

ولم تنته هذه الحركة، إلا بعد سقوط مئة وعشرة من القتلى، وثلاثمائة جريح.

وفي صباح ٢١ تموز، نقل إليّ أن الجيوش الفرنسية كانت تتقدم نحو دمشق وإنها أسرت فرقةً صغيرةً من الجيش العربي التي تركت في البقاع لتجمع الأسلحة والذخائر من السكان وتعود بها إلى دمشق.

وقد كانت هذه الفرقة الأسيرة، تحمل أوامر بأن تعامل الفرنسيين كحلفاء ... فكانت النتيجة أن وقعت أسيرةً في أيدي هؤلاء الحلفاء دون أن تبدي أية مقاومة.

ولم أكد أطلع على هذه الأنباء حتى أرسلت الكولونيل تولا إلى الجنرال غورو، أطلب إليه أن يقوم بوعده، ويأمر بانسحاب الجيوش الفرنسية .

وفي اليوم التالي أرسل اليّ الجنرال غورو كتاب يطلب فيه أن أوقع على شروط أخرى. وقد أرسلت إليكم طيه هذا الكتاب وتلك الشروط لتطلعوا عليها.

وقد أجبت الجنرال على هذا الكتاب بأن هذه الشروط الجديدة لم تكن موجودة في الإنذار، وإني قد نفذت القسم الأكبر من الشروط الأولى، وأني مستعد لتنفيذ القسم الأكبر من الشروط الأولى، وأنا مستعد لتنفيذ القسم الآخر إذا انسحبت الجيوش الفرنسية.

ولو قبلنا بالشروط الجديدة، لما بقيت لي ولا لوزارتي أية سلطة في البلاد وفوق هذا لم أكن أثق بأن الجنرال غورو لن يبعث بشروط جديدة إذا قبلت هذه . وبينما كنت أسعى لتسوية هذه المشاكل بروح المسالمة والود وصلتني اخبار جديدة عن تقدم الجيش الفرنسي، تخرجت الجموع من دمشق دون نظام ودون أسلحة، للمدافعة عن المدينة.

ولم يزد عدد هؤلاء الذين تجمعوا في خان ميسلون عن الألفى رجل. وقد اشترك مع هؤلاء مئتا رجل من رجال القبائل المسلحين، وهم بقايا الجيوش المسرحة ـ فعهد إليهم بالمحافظة على الأسلحة، والذخائر وكان من الطبيعي أن يذهبوا ضحية المصفحات والطيارات الفرنسية.

وقد كان بين هؤلاء الذين سقطوا صرعى في ميسلون بعض رفاقي في معارك فلسطين وإني أحني رأسي احتراماً لجميع هؤلاء الذين ضحوا بحياتهم في سبيل

الاحتجاج على اعتداء لم يعرف له التاريخ مثيلاً.

لقد وثقت بكلمة الجنرال غورو، واعتمدت على وعده بأن لايسمح للجيوش الفرنسية بالتقدم فأخليت المراكز من الجند، وسرحت قسماً كبيراً في الجيش ... وأجبت - أنا الرجل الأعزل - بأني أرفض الحرب وقد كنت اعرف أن موافقتي على الشروط الجديدة لابد أن تثير حرباً أهلية في دمشق. فأعطيت الجنرال غورو عهداً صريحاً بأن أنفذ شروط ١٤ تموز بالحرف، وطلبت إليه لقاء ذلك أن يوقف تقدم الجيوش نحو دمشق ... فكان جوابه إليّ اطلاق النار على النظاميين والمتطوعين .

وبالرغم من هذا فقد أمرت النظاميين الذين نجوا من القنابل أن يتركوا السلاح... وقد فنيت فرقة من الجنود الشجعان - تحت قيادة البطل يوسف العظمة - وهي في مكانها!.

توكيل جلالة الملك الفقيد لحل القضية السورية، فقد جاء في العدد(٩٢) من جريدة الجزيرة الصادر بتاريخ ٢٧محرم سنة ١٣٥٢م ما يلي :

" .... وليس أجدر في نظرنا، لنترك مقاليد أمورنا إليه، من جلالة الملك فيصل محرر سورية ومنقذها وواضع الحجر الأول في أساس نهضتها وكيانها، وقد سبق له أن أفال سوريا الاتفاقية المعروفة باسم اتفاقية فيصل ـ كلميانصو التي يعرفها كل سوري ولايعارض في الحصول على اتفاقٍ شبيه بها.

وإن لجلالة الملك فيصل من شخصيته المحترمة ومقامه الرفيع السامي وحبه واخلاصه لهذه البلاد ما يكفل حل القضية السورية على ما تشتهي الأمة وما يحقق مبادئها القومية وينيلها حقوقها المشروعة.

فماذا ترى الأمة وقادة الرأي العام والمشتغلون في حقل القضية السورية في تنظيم مضبطة يوقعها جميع أبناء البلاد السورية من جميع المناطق يضمنونها مطالب الأمة وأمانيها ويلتمسون فيها جلالة الملك فيصل - مفوضين جلالته تفويضاً مطلقاً - محادثة حكومة باريس في الأمر في أثناء زيارته المقبلة للقارة الأوروبية...

لبس الفيصلية (السدارة) وهذا نص الدعوة الموجهة إلى الشباب السوري بهذا الصدد كما جاء في العدد (٦٣) من جريدة الجزيرة الصادرة في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٥١.

كثير من الناس لايحبون الطربوش لأنه فرض علينا في زمن لم نملك فيه من أمرنا شيئاً، ولأنه يصنع في الغرب، ولأنه قبيح المنظر ... ولألف سبب وسبب يعرفه خصوم الطربوش ... ولكني لا أرى استبداله بالقبعة، بل أرجح صنع زي جديد يمثل شيئاً من مزايا الشرق وجماله... وأرجح،حتى على الزي الجديد أن نلبس الفيصلية التي يلبسها إخواننا في العراق. فنكون ضربنا بذلك مثلاً ملموساً على تعلقنا بالوحدة العربية، وأخذنا بنوع من الكساء يجمع إلى جمال الرخص ويمكن أن يصنع في البلاد... ثم هناك فائدة رابعة هي أن الرجل يستطيع أن يلبس السدارة الفيصلية حتى في البلاد الأوروبية دون أن يكون هدف الأنظار!

فيا أيها الشباب، لنلبس السدارة " الفيصلية " وإذا كان أحدكم يخشى أن يكون البادىء في لبسها فإننا سنعقد اجتماعاً كبيراً ونخرج منه جميعاً لابسي الفيصليات.

ومما لا مرية فيه أن الفقيد كان يتمتع بقسط وافر من الألمعية والنباهة وسرعة الخاطر وطول الإناة ورحابة الصدر، تلك المزايا التي خلقت منه زعيماً سياسياً حكيماً منقطع النظير، وملكاً عادلاً رفع من شأن شعبه واستطاع أن يبلغ به أسمى المراتب.

ويظهر أن للظروف العديدة والحوادث المتنوعة التي مرت على الفقيد كان لها أثر نافذ في تكوين هذه الشخصية الممتازة، فإن جلوس الفقيد إلى جانب أساطين السياسة التركية في مجلس النواب العثماني، واتصاله بالهيئات السياسية العربية، وتبوأه العرشين السوري والعراقي، ورحلاته المتابعة إلى باريس ولندن وجنيف، واتصاله بالمقامات العليا في أوربا قد أكسبته تجارب عديدة واختبارات شتى حتى استطاع بدهائه وحنكته وثاقب فكره أن يتفق مع المسيو كليمانصو عام ١٩٢٠م على شروط - لو قبل بها الزعماء - لكان للبلاد

السورية وضع مستقر يختلف تماماً عن الوضع المتقلقل الذي انتهت إليه، ولزالت من جوها هذه الغياهب القائمة، كما أنه استطاع أن يسير بالعراق اشواطاً بعيدة في ميدان الحرية والاستقلال برغم الصعوبات التي اعترضت سبيله والظروف الحرجة التي تسلم فيها عرش الرافدين.

وهنالك قصص على استمالة عدوه واكتساب مودته.

ومما ذكره الأستإذ العقاد أن أحد الأدباء السوريين أخبره أنه حين التقى الفقيد بالملك ابن سعود خطر أن يدخن لفيفة بيد أنه ذكر أن التدخين حرام في مذهب الوهابيين فقال للملك الوهابي وهو يمزح : لقد بقيت مشكلة ياأخي نود ان نتكلم فيها الآن ... فهل تأذن بالكلام فيها؟

وسيق إلى ظن ابن سعود أن فيصلاً يريد التطرق إلى إحدى المعضلات السياسية فقال ضاحكاً : بل الأفضل أن نرجئها إلى وقت آخر. فلم يسع الملك فيصل إلا أن يتمهل حتى سنحت له فرصة الإستئذان فخرج يدخن بعيداً عن الملك الوهابي، ثم عاد إلى لقائه بعد الفراغ من التدخين ! فلما سمع ابن سعود بالخبر أكبره وكان له أبلغ الأثر في التقرب بين العدوين القديمين...

وأما تقديره لحرية الرأي واحترامه لعقيدة خصمه فإلى القارىء الحادثة الآتية:

قال الأستإذ فكري أباظة:

في فندق سميراميس في عام من الأعوام قيل لي أن "فيصلاً" العظيم يود أن يراك، فطرت إلى الفندق وأنا متهيب لقاء الجبار، رجل الحرب ورجل السلم ورجل البناء والتشييد..

وأدخلوني إلى غرفة إلاستقبال فإذا يقبض على يدي بيديه بحنو غريب وعطف كله وجدان ... وإذا بابتسامة وديعة قد ارتسمت على شفتيه، وإذا بي أشعر بأني في حضرة صديق من زمن بعيد..

قال الملك: أنا سعيد بلقائك، وأكون أسعد حالاً لو أهديتني مجموعة مقإلاتك التي لها مكانة عندنا في العراق...

قلت : يا مولاي أن هذا لكثير، أنه لشرف عظيم، وسأفعل بكل إجلال وامتنان.

وكنت في الواقع كإذباً في وعدي، وبدا على الإرتباك واضحاً فمجموعة المقإلات كانت تتضمن في بعضها طعناً مراً عليَّ الملك حسين. فما لبث جلالته أن لمح ارتباكي فقال بأسلوب الساسة الكبار: " أرسلها ولاتقطع من أوراقها شيئاً فسأتبع تسلسل نمر الصفحات، ولا يضيرك أن تكون ذا رأي في الناس فأنت حر وأنا أقدِّر حرية الرأي.."

وكان الفقيد على جانب عظيم من دماثة الأخلاق وحسن المعاملة لرعيته ومرؤوسيه حتى غدا مضرب الأمثال في التواضع والديمقراطية ورقة الحاشية.

وقد روى أحد الصحفيين أنه سافر مع جلالته في باخرة واحدة وكان جالساً (الصحفي) على ظهر الباخرة مع بعض المسافرين على الكراسي الطويلة (الشيزلونج) التي يجلس عليها المرء متمدداً فلمح جلالته يتنزه بالسير مع أحد وزرائه ولما رآه يدنو أنزل الصحفي رجله عن الكرسي استعداداً للوقوف إجلإلاً واحتراماً، فلما تفت جلالته هذه الحركة فسار نحوه وقال حرفياً: " لمإذا هذه الحركة .. خليك على راحتك وخليني على راحتي.. أرجوك إجلس" واستأنف السير بعد لك وبعد ما قطع سطح السفينة ذهاباً واياباً نحو عشرمرات عاد إلى حيث كان يجلس الصحفي وجلس على كرسي بجانبه وقال : مإذا عند صاحبة الجلالة الصحافة؟ فقال لجلالته: " ان الصحافة معجبة بديمقراطية جلالة الملك فيصل" فوضع إحدى يديه في الأخرى كما كانت وقال وهو يشدد في مخارج إلالفاظ " : إنني يا أخي لا أفهم حقيقة ما معنى هذه الكلمة : ديمقراطي! ولمإذا يقولون عني أنني ديموقراطي كأنني أعمل عملاً عجيباً، وأنا عربي بدوي هكذا نشأت وهكذا عشت وهكذا سأموت، أنا لست سوى فرد من الأفراد، وإذا كنت ملكاً فلكي أؤدي مهمة، فهل أحتاج لتأدية هذه المهمة إلى التوسل بالعظمة والعظمة لله"!

وكان جلالته يقود سيارته يوماً في عودته من البلاط المكلي إلى قصره في مزرعته في الحارثية، وكان شاكر بك الوادي مرافقه الأول جالساً إلى جانبه

فلما وصلت السيارة إلى جسر دجلة اضطرت إلى الوقوف عند مدخله لأن بعض الرعاة كانوا يجتازون الجسر مع مواشيهم فهمَّ شاكر بالنزول من السيارة ليأمرهم بالإسراع حتى لايطول انتظار الملك فما كان من جلالته إلا أن استوقفه قائلاً : ما الفرق بينهم وبيني ... بل أنا راكب سيارة وفي استطاعتي أن أعوض هذا التأخير ... أما هم فيسيرون على الأقدام ... لاتكن هكذا ياشاكر".

ومما ذكرته بعض الصحف أن جلالته كان ينهب الأرض يوماً بسيارته على مقربة من بغداد فاستوقفه قروي عجوز فأوقف السيارة وسأله عن حاجته، فقال القروي وهو يجهل شخصه"أذاهب إلى قرية كذا فأرجو أن توصلني إليها في طريقك" فقال له مرحباً يا عمي ودعاه إلى السيارة وأقله إلى الجهة التي كان يريد الذهاب إليها ولما بلغها قال له مرافق جلالته " هذا سيدنا فيصل" فأسقط في يد القروي وتلعثم فطيبَّ جلالته خاطره حتى سرى عنه ثم ودعه واستأنف سيره.

وكان رحمه الله مثإلاً للأب الشفوق على بنيه والراعي الحاني على رعيته وكان واسع الصدر طويل الأناة كثير التغاضي عما يسمعه من هنات أو يلقاه من خشونة في المعاملات، وقد أعاد لنا بذلك صفحة لامعة من حياة الخلفاء الراشدين والملوك العادلين.

وقد حدث في أثناء الثورة العربية عندما كان سموه (يومئذ)يقود الجيش العربي الشمالي أن رابط الجيش في مكان يدعا " الكويرة" (القويرة) على الطريق الواقعة بين العقبة ومعان فجيء إلى القيادة العامة ذات يوم برجل من الأعراب فاجأه الجند وهو في حالة مريبة، وعندما حقق من المجلس العسكري ثبت لديه أن الرجل جاسوس وأنه كان يعمل لحساب العدو وحكمت عليه المحكمة العسكرية بالإعدام، وفي صبيحة اليوم التالي نفذ الحكم في الرجل رمياً بالرصاص. وعاد مرافق الأمير فيصل ليطلعه على الخبر فقال فيصل:

"يعز علينا وأيم الحق أن نكون قد وافقنا على إعدام رجل عربي بوسعنا ان نضمه إلى رجالنا. ألايكفي أن يكون العرب معذبين في أوطانهم، ويعلق

أحرارهم على أعواد المشانق، حتى نرى أنفسنا مضطرين نحن أيضاً إلى إعدام رجال من ابناء قومنا؟ قال هذا وانحدرت الدموع في عينيه".

وليست هذه المرة الوحيدة التي رؤي فيها فيصل يبكي فقد روت إحدى الصحف أنه جيء إلى المعسكر العربي في ابي الأسل بامرأة لبنانية معها ابنتها وابنها وكانوا في حالة يرثى لها من الفقر والضعف والهزال. وعندما قصت المرأة على فيصل ما قاسته من جراء المجاعة في لبنان بكى فيصل بألم وأمر أن ترسل المرأة وابنتها وابنها إلى مصر.

لم تؤثر مظاهر الحضارة الغربية والخلابة في نفس فيصل، ولابهرته مباهجها وملإذُها، بل ظل في جميع تنقلاته ورحلاته العديدة من الممالك الأوروبية متمسكاً بأهداف دينه القويم ومحافظاً على الشعائر الإسلامية كل المحافظة يؤدي الصلوات في أوقاتها ولا يأبه للمشاغل العديدة والظروف الشإذة التي كانت تعترض سبيله ويأبى أن يسف إلى المستوى الذي لا يتفق مع جلال قدره وشرف محتده. وقد اجمع رجال حاشيته وأصدقاؤه الذين رافقوه في أسفاره وصحبوه في اقامته أنه لا يعرف طعم الخمر حتى أن وزراءه ورجال حاشيته كانوا يحترمون عاداته فيأنفون من تناول المشروبات الروحية في حضرته.

كان يعتقد جلالة الفقيد أن لاحياة للأمة إلا برفع مستواها التعليمي والثقافي وهو من أجل ذلك اعتمد على نخبة صالحة من رجال التربية والتعليم في العالم العربي وعلى رأسهم الأستإذ ساطع الحصري، ووسد إليهم أمر إصلاح حالة المعارف في العراق وكلف الحكومات التي تعاقبت في عهده بأن تقدم لهم كل التسهيلات الممكنة وبذلك تقدم العراق أشواطاً بعيدة في مضمار العلم والتربية وازداد عدد المدارس الأولية زيادة محسوسة.

ومن آرائه في التعليم ما تحدث به إلى أحد الصحفيين المصريين إذ قال : أن الاستقلال الحقيقي لايشيد إلا على دعائم المدنية الحقيقية التي لاتقوم إلا على التعليم، فالتعليم هو الركن الأكبر وحجر الزاوية لكل أمة تبغي التقدم.

وقد دعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين إلى الشاليه في حديقة قصره، فكان ينتقل بين موائدهم ويلاطفهم ويحادثهم في شؤون صناعتهم ثم ألقى خطاباً جامعاً قال فيه : "لو لم أكن ملكاً لكنت معلماً".

وذكر أحد العراقيين أن جلالته زار إحدى المدارس الإبتدائية زيارة طويلة وسجل اسمه في عداد مدرسيها.

ويجب أن لايفوتنا أن المجتمع العلمي العربي الذي تفاخر به دمشق جميع الأقطار الناطقة بالضاد، والجامعة السورية، هما من غرس يديه أيام ملكه السعيد في البلاد السورية.

وكان جلالته طيب الله ثراه أول من دعا إلى عقد مؤتمر عام لتوحيد الثقافة العربية منذ بضعة أعوام.

ويجب أن لاننسى أياديه البيضاء على فرق الكشافة وعطفه عليها وتشجيعه إياها، ولا يزال اخواننا في سورية وفلسطين ومصر يذكرون تلك القربالكشفية الأخيرة التي أوفدها جلالته إلى الأقطار العربية المتجاورة ونعت أفرادها برسل الوحدة العربية.

أقر الفقيد العظيم مبدأ الوحدة القومية العامة واتخذه منهاجاً له في حياته لا يفرق بين المسلم والمسيحي وإليهودي ولايسمح بأن تثار في عهده النعرات الطائفية الممقوتة، التي كان كثيراً ما يثيرها المستعمرون فيبادر جلالته إلى إخمادها وإطفاء جذوتها.

وقد بلغ من عطفه على إخواننا المسيحيين أنه قربهم إليه ووسد إليهم أرفع الوظائف (في أيام حكمه بسورية والعراق) وقد قص علينا الأستإذ عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين وكان كاتباً للبلاط الملكي في سورية قبيل نزوح فيصل منها وانتقاله إلى العراق أن سموه (وكان أميراً حينئذ) كان قد أصدر أمره بمنح مشايخ حوران خلعة لكل منهم،فلما رأى مشايخ المسيحيين أنهم استثنوا من هذه المنحة الأميرية اعتبروا ذلك اهانة لهم فجاء بعضهم إلى الديوان وطلبوا من الاستإذ العيسى كاتب البلاط أن يبسط ظلامتهم لسموه وأعربوا عن شدة

تعلقهم بالحكومة العربية.

فعرض الأمر على سموه فتأثر من ذلك وقال إنها الغلطة يجب تداركها في الحال فعاد المشايخ وقال لهم أن سموه لم يغفل عن ذلك وإنما طلب من البطريرك جدولاً بأسماء مشايخ المسيحيين لهذه الغاية ومتى جاء الجدول كان لكم ما كان لأخوانكم المسلمين، وبعد انصرافهم طلب الأستإذ العيسى إلى البطريركية وضع جدولاً بالأسماء، ففعلت وقد ثمن تلك الخلع فأرسل المبلغ نقداً إلى غبطة البطريرك ليتولى توزيعه عليهم وليشتري كل منهم الخلعة التي يختارها.

ويجب أن لاننسى أن غبطة البطريرك غريغوريوس كان من أعز أصدقاء الفقيد حينما كان أميراً فملكاً على سورية وهو أول من بايع جلالته من الرؤساء الروحيين مبايعة خالصة في دار البلدية، عندما أعلن تتويجه على عرش البلاد.

وقد علمنا أن جلالته حينما غادر دمشق على أثر معركة ميسلون المشؤومة لم يخرج لوداعه من جيمع أبناء رعيته سوى غبطة البطريرك المذكور.

وكان في طليعة المقربين إلى جلالته القس حبيب اسطفان أحد الرؤساء الروحيين المارونيين في لبنان والخطيب المشهور، فقد آثر سيادته أن يتخلى عن كنيسته ويخلع ثوبه الكهنوتي وينضم إلى حاشية المليك الفقيد بعدما رآه من دماثة أخلاقه ورقة حاشيته وشدة عنايته بالأقليات الطائفية.

ومن الحوادث التي تروى عن جلالته بهذا الصدد أن بعض الأدباء زاروا جلالته مرة في بغداد فقدم أحدهم إخوانه إلى جلالة الملك بقوله: هذا فلان وهو سني وهذا فلان وهو شيعي، وهذا فلان وهو نصراني فقال حسبي أن يقال لي هذا عراقي ولا أحب أن أعرف أكثر من هذا.

ومما يروى أيضاً بهذا الصدد أن الرؤساء الروحيين في بغداد توجهوا مرة إلى القصر لزيارة جلالته وتهنئته على بلوغ العراق مرحلته الأخيرة ناسبين ذلك إلى دهاء جلالته وجهاده وسعيه، فقال جلالته في تواضعه وتصاغره :" إن العراق حصل عليه بواسطة أدعيتكم وصلواتكم وليس لي ذنب فيه أدنى نصيب".

وروى الأب انستاس الكرملي أحد أقطاب اللغة العربية في بغداد القصة الآتية: كان أحد الأدباء قد أوسع نصرانياً سباً وشتماً ولكماً، في منازعة جرت لهما.

وحكى عمله هذا لسيد البلاد والراوي يذكر أسباب عمله ذاك، ثم حاول أن يزكي نفسه ويطلب من الملك استحساناً لفعله هذا، فقال له أبو غازي : (لقد برئت منه الذمة) وهو يشير بهذه الكلمات، إلى الحديث النبوي، الذي أورده بحروفه، ومعناه (أن لكل أحد من الله عهد بالحفظ والكلاءة فإذا ألقى بيده إلى التهلكة، أو فعل ما حرم عليه، أو خالف ما أمر به، خذلته ذمة الله تعالى) فلما سمع الأديب هذا الكلام الصادق في مبناه ومعناه، لازم السكون إلى آخر الجلسة ولم ينطق ببنت شفة.

رزق المغفور له الملك حسين أربعة أنجال وهم : الملك علي والأمير عبد الله والملك فيصل والأمير زيد.

وكانت ولادة الملك فيصل في مكة المكرمة في ٢٠ أيار سنة ١٨٨٣ ميلادية (١٣٠٢) هجرية، وقد كان كبار أشراف الحجار يأتون لأبنائهم بمعلمين يقرئونهم القرآن ويعلمونهم الكتابة والحساب والتاريخ والجغرافيا ويؤدبونهم في داخل قصورهم فلا يدخلون المدارس ولاينتظمون في صفوفها. ويقول بعضهم أنهم كانوا يفعلون ذلك لقلة الموجود من هذه المدارس في مكة، وعدم استيفاء هذا القليل للشروط الصحية.

وبينما كان أبناء الأشراف يدرسون العربية على مؤدبيهم كانوا يتعلمون التركية في داخل قصورهم لأنها لغة قريناتهم وسراريهم وجواريهم وكانوا يجيدونها كتابة وتكلماً إلى جانب لغتهم العربية ويدرسون آدابها.

وكانوا يتعلمون أيضاً الفروسية وركوب الخيل من الصغر إلى جانب العلوم الأخرى، ويتمرنون على إطلاق النار وضرب السيف فيشّبون فرساناً يحسنون الكر والرماية .

ولما بلغ الملك فيصل السادسة من عمره أرسله والده إلى قرية "رحاب" وهي بلدة محمد بن عون جد هذا الفرع من الأشراف. وقد اشتهر بانضمامه إلى

المرحوم محمد على باشا حينما جاء من الحجاز لمحاربة النجديين سنة ١٨١٢م فحفظ له الباشا هذه اليد وأقطعه خمسة آلافدان في مصر ولايزال ألفان منها وقفاً على سلالته. وتقلب بعد ذلك عدد من أمراء هذا البيت على إمارة مكة وآخرهم (الشريف) الملك حسين، فكان رحمه الله آخر أشراف مكة.

وقضى فيصل ست سنوات في رحاب بين أبناء عمومته وخؤولته وأخذ يركب الخيل والإبل ويضرب بالسيف ويطلق الرصاص.

وأرسل إلى مكة وهو في الثانية عشرة وقد بلغ أشده فجيء له بمؤدبين ومعلمين ولم يطل به المقام بل غادر الحجاز إلى الأستانة مع أسرته عملاً بأمر السلطان عبد الحميد فنزلوا في قصر فؤاد باشا في استينية وقد خصصه السلطان لهم وعين والده عضواً في مجلس شورى الدولة سنة ١٨٩٦م.

وعاش في تلك العاصمة نحو عشر سنوات وفيها تزوج بابنة عمه ثم غادرها إلى مكة سنة ١٩٠٨م حينما عين والده شريفاً لها.

عاد جلالته إلى الحجاز وقد اكتملت رجولته وظهرت مواهبه فأدناه والده منه وولاه قيادة الغزوات التي كان يقوم بها لإخضاع القبائل وتأديبها. وفي سنة ١٩٠٩م انتخب نائباً عن لواء جدة في مجلس النواب العثماني فكان يذهب كل سنة إلى الاستانة ليشترك في أعمال البرلمان ثم يعود بعد انقضاء دورته فينضم إلى والده ويساعده في إدارة منصبه الخطير.

ولما ثار السيد محمد الادريسي على الدولة العثمانية في تهامة سنة ١٩١١مغتنماً فرصة اشتباكها في الحرب مع الطليان، وهم الذين ساعدوه ومدوه بالسلاح، اضطرب موقف الدولة في اليمن فاستنجدت بالشريف حسين أمير مكة طالبة مساعدة في التنكيل بالادريسي فلم يتردد في تلبية الطلب وجند حملة بقيادة نجله عبد الله وفيصل سارت من مكة حتى أبها(عاصمة عسير) فطردت انصار الادريسي وأضعفت شوكته وأعادت تلك البلاد إلى الدولة. ويقول الذين شهدوا تلك الحملة أن فيصلاً أبلى فيها بلاءً حسناً وانه كان يسير في مقدمة الجيش ويشترك في المعامع فأحبته القبائل لشجاعته.

وللمرة الأولى زار سورية سنة ١٩١٣فقد خاف ولاة الأمور الترك أن يهاجم البدو المحمل الشامي في عودته من الحجاز إلى الشام، فرافقه على رأس قوة من الجند لحمايته فلم يحدث له حادث. وأقام مدة في دمشق فتعرف إلى رجالها ومفكريها ودعاة الجامعة العربية من أبنائها مما سهل له العمل بعد ذلك

وجاءها ثانية في سنة ١٩١٥ في طريقه إلى الأستانة، وقد اختار بهذه الطريق دون البحر لأن الحلفاء ضربوا الحصار على موانىء تركيا من ابتداء الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ومنعوا دخول البواخر إليها وخروجها منها، لما أظهرته من ميل إلى الألمان، وقد دخلت الحرب إلى جانبهم بعد ذلك. وبعدم ختمت الدورة البرلمانية عاد ثانية إلى دمشق وحل ضيفاً في منزل آل البكري، وقيل أن الترك أرادوا من إقامته في دمشق أن يكون إلى جانب أحمد باشا القائدالعام في سورية يؤمئذ فيساعده في حملته على مصر. وقيل أنهم أرادوا أن يكون رهينة لديهم لكي يأمنوا انتفاض والده. وأقبل رجال الشام ومفكروها وأعيانها عليه يدعونه إلى اقناع والده بإعلان الثورة على إلاتحاديين وخلع طاعتهم وإنشاء دولة عربية، وملا ظهر من سوء نية هؤلاء وتعمدهم إذلال العرب وعزمهم على إعدام مفكريهم وادبائهم والصفوة المختارة من رجالهم ونفى عائلاتهم، رغم ما أظهره العرب من إخلاص للدولة في سنة الحرب الأولى وما بذلوه من تضحيات تأييداً لها.

وقد تذرع الفقيد بمختلف الوسائل كي يقنع أحمد جمال باشا بالعدول عن فكرته الجهنمية الطائشة فلم يفلح ثم لم يجد مندوحة من المسالمة والتودد إلى الطاغية جمال بعد أن استوثق من سوء نية إلاتحاديين فخابر والده بهذا الخصوص وحضه على وجوب إلاستعداد للثورة.

ومما يجب إلاشارة إليه في هذا المقام أن الحكومة التركية كانت عينت القائد وهيب باشا والياً على الحجاز فأخذ يحاول تطبيق برنامج إلاتحاديين فقاومه الملك حسين ونجله الملك فيصل بشدة واستحكم الخلاف بين الطرفين مما أفضى إلى استدعاء وهيب باشا للاستعانة بغيره.

وقد اتفق في ذلك الوقت أن الحكومة التركية كانت كتبت إلى الملك حسين (شريف مكة) تطلب منه إمداد الحملة الزاحفة على القتال بجيش من متطوعة العرب فرد عليها الشريف مظهراً استعداده التام لتعضيد جيش الخليفة ولكنه ينقصه السلاح والذخيرة .

وأحدث هذا الرد الودي ارتياحاً عظيماً لدى السلطات التركية وصدرت الأوامر في الحال بإرسال كمية كبيرة من السلاح إلى الحجاز، وأرسل السلطان مبلغاً وافراً من المال إلى شريف مكة لينفق على هذا الجيش، ومن ثم بادر الحسين إلى تجنيد المتطوعة وحشد الفرسان.

وقد استطاع الفقيد العظيم بلباقته ودهائه أن يخدع جمال باشا ويؤكد له بأن جيش متطوعة العرب الذي تألف في مكة قد غادرها ميمماً وجهه شطر دمشق لعرض إخلاصه للحكومة التركية والإنضمام إلى كتائب الجيش...



فيصل والثورة العربية

ولما اطمأن جمال باشا إلى صحة هذه الأنباء أخذ يتودد إلى فيصل وذويه ويعامله معاملة حسنة ثم اقتنع بالفكرة التي يبسطها له وهي إرسال وفد خاص لاستقبال شقيقه (الأمير) علي وجيشه المتطوع وكلفه أن يكون على رأس هذا الوفد...

وهكذا خرج الأمير فيصل من دمشق وبصحبته نفر من الضباط لملاقاة الأمير علي فوصلوا إلى المدينة ومكثوا فيها يومين، وكان المفروض أن يعود ذلك الوفد إلى دمشق بعد أن قضى المهمة التي قدم لأجلها .. ولكن الأمير فيصل أبى العودة إليها متذرعاً ببعض الأعذار، ولكي يزيل ما علق من الريبة في نفوس بقية رجال الوفد من الضباط الأتراك أخبرهم بأنه اتفق مع جمال باشا على الانتظار في المدينة ريثما ترده إشارة منه تنبئه بالطريق التي يجب أن يتجه فيها إلى دمشق مع القوات العربية المتطوعة..

وكان الفقيد قد اصطلح مع نسيب بك البكري قبل عودة الوفد من المدينة على نصّ خفي لبرقيتين إحداهما إلى إعلان الثورة وضرورة هرب الثوار من دمشق والأخرى ترمز إلى تأجيل ذلك ..

ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً إلى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقية من الفقيد هذا نصها:

دمشق ـ نسيب البكري

"أرسلوا الفرس الصفراء"

وكانت هذه البرقية إشعاراً من فيصل ببدء الثورة حسب الاتفاق. ومن حسن الحظ أن جمالاً الطاغية لم يكن حينئذٍ في دمشق بل كان في القدس، وبذلك تمكن آل البكري وبعض رجال فيصل من الفرار، وفي ذلك اليوم أطلق الحسين بن علي في مكة الطلقة الأولى إيذاناً بالثورة..

بعد أن اجتمع الفقيد بشقيقه على وعبدالله في المدينة المنورة وقضوا ثلاثة أيام يبحثون الحالة سافروا إلى مكة وأعلنت الثورة العربية بعد سفرهم (٩شعبان سنة ١٣٣٥ـ ١٠ حزيران سنة ١٩١٦) وأغراضها تنحصر في تحرير البلاد العربية وانقاذ الحجاز من المجاعة التي تهدد أبناءه..

وتقسم الأعمال الحربية التي قام بها الفقيد في أثناء الثورة العربية إلى ثلاثة أدوار:

الدور الأول : من منتصف سنة ١٩١٦إلى أواخر سنة ١٩١٧وقد وجه جيشه إلى جهات المدينة لمحاصرتها ولم يكن لديه في ذلك الحين جيش نظامي وكان جيش الترك متحصناً في استحكامات قوية. فاكتفى بالمحافظة على الطريق التي تصل المدينة بمكة وإنشاء قاعدة حربية في رابغ.

وفي شتاء سنة ١٩١٧ نفذ هجوماً عنيفاً للاستيلاء على مدينة ينبع شمال رابغ.

وكان يتولى الأعمال الحربية بنفسه فتمكن حينئذ من صد الترك بينما كان أخوه عبد الله يتقدم شرقي المدينة ويقوم بحركة التفاف حولها من الشمال. وبعدها تقدم بجيوشه إلى الوجه وقطع سكة حديد الحجاز بين الحرا وتبوك. وكان للأتراك آنئذ ثلاث قواعد حربية أهمها تبوك ومعان، تتصل بمخافر عديدة.

ويبتدىء الدور الثاني : منذ قيام القبائل في أواخر سنة ١٩١٧لشد أزر الفقيد في حملته على العقبة لاحتلالها.

وهناك نظم فرقتين مجهزتين بالمدافع وبوسائل النقل. وقد هاجمه الأتراك مرتين في تلك السنة في العقبة ووادي موسى فصدهم صداً حاسماً. وفي شهر أكتوبر من تلك السنة أغار الجنرال نوري السعيد على معان فاحتل جرف الدراويش. وفي شهر نوفمبر هاجم الأتراك قوات العرب ففشلوا وفي سنة ١٩١٨هاجم فيصل معان مركز دفاع الأتراك الأساسي واحدق بها من كل جانب وضرب حولها نطاق حصار.

ثم نشبت معارك شديدة لاكراه العدو على التسليم .وقد أسر ثلاثة آلاف أسير وغنم ٤٠مدفع اليوز وأربعة مدافع كبيرة.

ويبدأ الدور الثالث: (وهو الدور الفاصل) في شهر سبتمبر ايلول سنة ١٩١٨حين كان من مهمة الفقيد مهاجمة درعا والتمهيد للهجوم العام. فجعل يزحف على درعا غير مكترث بالصعاب التي يلقاها في صحراء واسعة لاسبيل إلى السير فيها إلا بعد إعداد مؤونة كبيرة. وكانت القوة التي زحف معه مؤلفه من ألف فارس و٣آلاف جندي و٢٤مدفع متراليوز وسيارتين مصفتين.

وفي ١٧سبتمبر احتل سكة الحديد التركي شمالي درعا بحيفا، وابتدا الهجوم البريطاني العام في اليوم التالي . وانسحب الجيس التركي الرابع المرابط في جهات السلط فصمد له جيش فيصل.

وفي ٢٨أيلول احتلت قوات فيصل النظامية مدينة درعا ثم زحف على دمشق فاحتلها في أول تشرين أول سنة ١٩١٨، وكان قد أسر بينها وبين درعا ٩ آلاف أسير، ثم زحف بقوته إلى شمالي سوريا فاحتل حمص في ١٤تشرين أول وحماة في ١٦منه، ثم سارع لاحتلال حلب قبل أن يحتشد الترك فيها ويجعلوها قاعدة لهم ، وكانت حاميتها مؤلفة من ٣ إلاف جندي ، فقام جيش الفقيد بمظاهرة حربية من الجنوب وهاجمها من الشمال ودخلها رجاله في ٢٥ تشرين الأول واحتلوا القلعة ودار الحكومة، وفي ٢٦منه هاجم الترك في القسم الذي انسحبوا إليه وراء حلب وأكرههم على الجلاء عنه.

وبعد أن استقر المقام بجلالة الفقيد في الديار السورية وجه همته إلى تنظيم شؤونها وإقامة الحكم على أسس ديمقراطية صحيحة وإنشاء المؤسسات النافعة.



فيصل في العراق
ومساعيه في سبيل إلغاء الانتداب

لما عرض عرش العراق على الفقيد العظيم اشترط لقبوله جوهريين:

الأول: أن تعترف الحكومة الإنكليزية باستقلال العراق وأن تساعد العراقيين على إنشاء حكومة وطنية مستقلة ذات سيادة.

الثاني: أن يلغي الانتداب عن العراق وكان مفروضاً عليه بقرار مؤتمر الحلفاء في سان ريمو.

وقبلت الحكومة البريطانية هذين الشرطين وتعهدت بتنفيذهما.

وفي اليوم التالي ليوم اعتلاء جلالته العرش تألفت أول وزارة عراقية برئاسة المرحوم السيد عبد الرحمن الجيلاني نقيب أشراف بغداد. فشرعت في الحال مفاوضة المندوب السامي البريطاني بغية عقد معاهدة تحدد العلاقات بين انكلترا والعراق. فأصر الانكليز على وجوب الاعتراف بالانتداب البريطاني للعراق. وبذلك أخلّوا بتعهدهم الأول لجلالة الملك ولكنهم وعدوه بالسعي لالغاء الانتداب في أقرب ما يستطاع.

وفي ١٠تشرين أول سنة ١٩٢٢وقع على أول معاهدة بين العراق وانكلترا ومدتها عشرون سنة وقد جاء في المادة الأولى منها: " بناءً على طلب جلالة ملك العراق يتعهد جلاله ملك بريطانيا بأن يقوم - في أثناء مدة المعاهدة مع التزام نصوصها - بما يقتضي لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون أن يمس ذلك بسيادتها الوطنية".

وجاء في المادة الثانية : "يتعهد جلالة ملك العراق بأن لا يعين مدة هذه المعاهدة موظفاً أجنبياً ما من تابعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي إرادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا، وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية".

وجاء في المادة الرابعة : " يوافق جلالة ملك العراق على أن يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة بواسطة المعتمد السامي في جميع الشؤون المهمة التي تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية، وذلك طول مدة هذه المعاهدة ويستشير جلالة ملك العراق المندوب السامي إلاستشارات التامة في مايؤدي إلى سياسة مالية ونقدية وسياسية، ويؤمن ثبات وحسن انتظام مالية حكومة العراق ما دامت تلك الحكومة مدينة لحكومة جلالة ملك بريطانيا".

وجاء في المادة التاسعة :"يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التي يسير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في أمور العدلية لتأمين مصالح الأجانب بسبب عدم تطبيق إلامتيازات والبيانات التي كان يتمتع بها هؤلاء بموجب إلامتيازات الأجنبية".

وقابل الشعب العراقي المعاهدة المتقدمة بسخط عظيم فتولى عقد إلاجتماعات وكثرت إلاحتجاجات، فلم تر الوزارة التي وقعتها مندوحة عن إلاستقالة، فخلفتها وزارة انصرفت إلى اجراء انتخابات لجمعية تأسيسية تقر المعاهدة ليتسنى ابرامها وتنفيذها وتضع دستور البلاد وقانون إلانتخابات ليتم إنشاء الدولة الجديدة، فلاقت صعوبة وعناء إذا قاطع الشعب إلانتخابات بتأثير المجتهدين الذين أفتوا بتكفير كل مسلم يشترك فيها وبعدم جواز دفنه في مقابر المسلمين.

ورأي ولاة الأمور العراقيون عندئذ إن يقنعوا الحكومة البريطانية بعمل ملحق للمعاهدة يقال فيه أن هذه المعاهدة تنتهي عند دخول العراق جمعية الأمم وهذا هو نص الملحق الذي أمضي في ٣٠نيسان سنة ١٩٢٣.

"وقد تم التفاهم بين الفريقين الساميين المتعاقدين على أنه مع وجود نصوص المادة ١٨يجب أن تنتهي المعاهدة الحالية عند دخول العراق عضواً في جمعية الأمم، وعلى كل حال يجب أن لايتأخر انتهاؤها عن أربع سنوات من تاريخ عقد الصلح مع تركيا، وليس في هذا الإتفاق ما يمنع عقد إتفاق آخر

ينظم ما يكون بعد ذلك من العلاقات بين الفريقين الساميين المتعاقدين. ويجب الدخول في المفاوضات بينهما لأجل ذلك الغرض قبل انتهاء المعاهدة المذكورة".

وعلى أثر ذلك أذاع جلالة الملك فيصل بياناً على شعبه بامضائه قال في مستهله :

"بعناية الله جلَّ وعلا وبروحانية نبيه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تمكنت حكومتنا أن تخطو خطوة كبيرة أخرى في سبيل تحقيق أماني العراق وذلك بعقدها الملحق الجديد للمعاهدة العراقية الإنكليزية وكان من جملة الأسباب الرئيسية المبني عليها الملحق تلك الخطوة السريعة التي خطتها حكومتنا في سبيل التقدم والاستقلال.."

ونجحت الحكومة العراقية بعد ذلك في حل مشكلة الإنتخابات فأجريت واجتمعت الجمعية التأسيسية وأقرت المعاهدة يوم ١١حزيران سنة ١٩٢٤ وأبرمت على أثر ذلك.

وكذلك حلت مشكلة الموصل بما يحقق آمال العراق فبقى الموصل عراقياً.

وكان الملك فيصل يعلم أن المعاهدة العراقية الإنكليزية الأولى لا تحقق أماني العراقيين والعراق، ولكنه كان من رأيه أن يحصل في بادىء الأمر على كل ما يمكنه الحصول عليه ثم يسعى للحصول على أكثر. والدليل على ذلك أنه في كانون ثاني سنة ١٩٢٦عقدت معاهدة ثانية بين العراق وانكلترا وفي كانون الأول سنة ١٩٢٧عقدت معاهدة ثالثة بين البلدين نسخت أحكامها أحكام المعاهدات السابقة.

وفي ٣٠ حزيران سنة ١٩٣٠ عقدت معاهدة رابعة بين العراق وانكلترا لم تشر إلى أي أثر من الأمور التي جاء ذكرها في المعاهدة الأولى، بل اعترفت باستقلال العراق بلا قيد ولاشرط. ومع ذلك لم يرتح العراقيون إلى مادتين ولاسيما المادة الخامسة التي جاء فيها أن جلالة ملك العراق يتعهد بأن يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب

الجلالة البريطانية في البصرة أو في جوارها، وموقعاً لقاعدة جوية ينتقيه صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات.

وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية في أن يقيم قوات في الأراضي العراقية في الأماكن الآنفة الذكر، وفقاً لأحكام ملحق المعاهدة على أن يكون مفهوماً أن وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه من الوجوه احتلإلاً ولا يمس على الإطلاق حقوق سيادة العراق.

وقد كان لجلالة الملك فيصل أمل عظيم بتعديل المعاهدة مرة أخرى في الفرصة الملائمة وكان جلالته يقول دائماً لمن يحادثه في هذا الموضوع :" كل شيء يجيء مع الوقت والمثابرة" .



فقيد الأمة العربية في أيامه الأخيرة

ماهي العوامل الرئيسية التي أثرت في نفس الفقيد؟؟
قال عطوفة الأمير شكيب ارسلان:

مما لامرية فيه أن الفقيد كان يجهد نفسه فوق طاقة جسمه وأنه منذ كان في سوريا كان بدأ معه الضعف في جسمه وهو لا يحفل بذلك وقوة نفسه غالبة عليه. وبعد أن ذهب إلى العراق كان يؤثر فيه حر مصيفها فيزداد ضعفاً فيأتي إلى أوروبا للاستشفاء فيستفيد بعض الشيء بتبديل الهواء ولكن اهتمامه بأشغال مملكته وما كان يعانيه لأجل حل قيود إلانتساب الملقى بجرابه عليها لم يكن يدع له وقتاً يتفرغ فيه لمعالجة صحته والبقاء في أوروبا ريثما يملك العافية تماماً، فكان يبدل الهواء في سويسرا ويستريح بعض الشيء من عناء الأشغال ولكن كان قلبه مشغولاً دائماً بقضية استقلال العراق التام، ولم يكن ذلك سهلاً مع دهاء إلانكليز وشدة أثرتهم وسعة مطامعهم ثم مع المساعي التي كان يسعاها الفرنسيون لإحباط استقلال العراق حتى لايأتي دور سوريا. هذه المسألة استنزفت عافية فيصل وأودت بشبابه الغض حتى كنت تراه وهو ابن اربعين سنة قد بدأ فيه المشيب وربما ظنه الذي يراه أسنُّ مما هو بعشر سنوات، وسنة ١٩٢٦شاهدته في فيشي فرأيته ضعيفاً وقيل أن مرضه في معدته ولم يكونوا يتفقون في تشخيص الداء.

ثم جاء إلى سويسرا ونزل في الأوتيل الكبير في (تريته) وكان الفصل حاراً فزرته هناك واقنعته بالصعود إلى الجبل واشرت عليه بأوتيل (كوبإلاس) الذي على علو عن مونترو بألف متر في أبهج موقع يمكن أن يتخيله الإنسان وكنت أنا مصطافاً في (غليتون) على مقربة من (كو) فكنت اتردد عليه ولا أزال أجده ضعيفاً وأشرت عليه بطبيب الدكتور "جاك رو" من أشهر أطباء لوزان فاستدعاه واستفاد على يده، وفي آخر ذلك الصيف تقدمت صحته ورجونا أن يتماثل تماماً ولكنه بعد إيابه إلى بغداد عاد إلى العناء والعياء وحمل جسمه فوق طوقه رغبة في

التعاون مع ابن سعود، وفي سنة ١٩٣٠عندما قمت بسياحتي في اسبانيا جاءتني برقية تلو برقية إذ أنا في مدريد من زميلي احسان بك الجابري ثم جاءني كتاب من برلين من أحد أصدقائي وكل ذلك كان في استعجال رجوعي من اسبانيا حتى أتلاقى مع الملك فيصل في جنيف. فعلمت أن تكرر هذا الطلب لأجل الملاقاة لايخلو من أسباب موجبة تتعلق بالمصلحة العربية، وكنت أنوي إكمال سياحتي في الأندلس فارجأت إكمالها إلى وقت آخر وجئت من مدريد إلى برشلونة إلى اربونة إلى عين الطيب عن طريق مرسيلية حيث كان ضرب لي موعداً فلقيته هناك ولبثنا عنده ثلاثة أيام أنا وزميلي وكانت أحاديثه لاتعدو القضية العربية بوجوهها وصفحاتها، وكان أكثر ما حداه على استعجالي في المجيء من الأندلس لملاقاته هو الكلام معي في قضية الإتفاق بينه وبين الملك عبدالعزيز بن السعود فإنه كان يعلم صداقتي للملك المشار إليه وطالما تحدثنا في هذا الموضع وكنت قبل ذلك ذهبت إلى مكة قد افضيت إليه بنيتي في الحج وفي التعرف بجلالة الملك ابن سعود شخصياً، فأظهر مزيد الإرتياح إلى ذلك وما سمعت منه كلمة تدل على كونه ينظر إلى صداقتي مع جلالة الملك ابن السعود بعدم الرضى أو بعدم الإطمئنان، بل كان بالعكس يرى بي وسيلة حسنة للاتفاق مع جاره الذي كان جل قصده أن أكون واسطة قرب بينهما، وهناك قررنا السعي في التحالف بين الملكين وأن نمد التحالف بعد ذلك إلى الإمام يحيى فيصير ملوك العرب الثلاثة يداً واحدة. هذا الرأي أبرمناه في عين الطيب ولم يصل الملك رحمه الله إلى بغداد حتى باشر إجراءه، وأرسل نوري باشا السعيد رئيس وزارته إلى مكة المكرمة لعقد المعاهدة التي عقدها مع صاحب الحجاز نجد، وحامت يؤمئذ الظنون حول مهمة نوري السعيد هذه وظنها بعض المخلصين المتشائمين دسيسة انكليزية، وكثر الكلام على ذلك في الجرائد وحقيقة الحال انها لم تكن من الدسائس الإنكليزية وإنما كانت رأياً رأيناه في عين الطيب احصافاً لحبال الوحدة العربية، ونحن الذي بدأنا بالإشارة عليه بعقد هذه المعاهدة، وكان متردداً فيها خوفاً من أن لايقع عند الملك ابن السعود موقع القبول فضمنت له نجاح المشروع، وكتبت

إلى الملك عبد العزيز ابن السعود بما وقع ورغبته بكل ما قدرت عليه من طرق الاقناع بان لايتأخر عن إجابة طلب الملك فيصل. ولم يتأخر الملك عبد العزيز عن اجابة الملك فيصل وانعقدت المعاهدة ولكنها كانت ضمن مقياس أضيق مما كنت أريده وسبب ذلك هو كثرة ما شاع وذاع وقرع الأسماع من كون هذه الدعوة إلى التحالف العربي دسيسة انكليزية!! ولقد اضطررنا وقتئذ أن نشرح أولية هذه القصة وننشر مقالات نبين فيها كيف نشأت وأنها لم تكن إلا فكرة عربية محضة مرماها تحالف ملوك العرب الثلاثة وصيانة البلاد العربية. وبعد أن أوضحنا هذه القضية للملأ سكنت الزعازع وكف المنازع، ولاسيما أن نوري باشا السعيد عندما عرض المشروع على الملك عبد العزيز لم يشم منه الملك أدنى رائحة من قريب أو بعيد لمصلحة انكليزية.

عودة الفقيد إلى أوروبا للمرة الأخيرة.

عاد الملك رحمه الله إلى أوروبا للاستشفاء وكان يعول على الدكتور كوخر في برن وهو طبيب مشهور له طريقة خاصة في تقوية الأجسام بالحقن تحت الجلد ويقال أن طريقته أفادت كثيرين ممن عالجهم، ولكن كثيراً من الأطباء ينكرون عليه فائدة هذه الطريقة بقولهم أن كتمان سر صنعته مخالف للصراحة العلمية وأنه كما يجوز أن أفاد أناساً فيجوز أن يكون أضر بأناس آخرين، وعلى كل حال فقد ثبت هذه المرة أن الملك فيصل لم يستفد شيئاً من طب الدكتور كوخر وربما كان حصل له ضرر بدليل أنه عند الوفاة اجتمع الأطباء وقرروا أن وفاته كانت بتصلب الشرايين وكان الحال أن الدكتور كوخر الذي عاين الفقيد مراراً لم يقل أنه مصاب بتصلب الشرايين، وكان بعض اصحاب الفقيد أشاروا عليه، ومنهم طبيبه الخاص، بترك التداوي عند كوخر فقال لهم أنه سيتريث قليلاً وينظر هل حصلت فائدة أم لا فإذا مضى هذا الشهر ولم يجد فرقاً عن ذي قبل فإنه يعدل عن التداوي على يد كوخر.

وكان وصول الملك رحمه الله إلى برن عائداً من الشرق نهار الأحد ٣٠ اغسطس، وبينما كنت أنوي الذهاب للسلام عليه أنا وزميلي احسان بك الجابري

وأخي عادل إذ وافاني ضيوف من البوسنة والهرسك فاضطررت للبقاء في جنيف من أجلهم، ولما علموا بأن زميلي وأخي ذهبا للسلام على الملك فيصل وأني أنا تأخرت عن هذا الواجب من أجلهم قالوا لي : لم يكن يصح أن تكتم عنا خبر مجيء الملك وتتأخر عن السلام عليه من أجلنا، فقلت لهم أنتم لاتعرفون هذا الملك فإنه لايكون راضياً عني إذا تركتكم وذهبت للسلام عليه، بل هو يريد أن أكون مشغولاً بكم قائماً بواجبي نحوكم، وأنها إن قصرت معكم فهو يعتب عليّ، فانصرف الضيوف راجعين إلى بلادهم وذهبت أنا إلى برن، وكان قد سأل هو عن سبب تأخري في المجيء لمشاهدته فأخبروه بالسبب، وعندما جئت وسلمت وحكيت له ماقاله الضيوف علماء البوسنة والهرسك وما اجبتهم به وهو أن الملك لايعاتبنا على تقصيرنا معه ولا كلفة بينه وبيننا ولكنه يعاتبنا إذا كنا نقصر معكم، فقال لي: "أي والله لو كنت تركت ضيوفك البوسنيين من أجلي لكنت عتبت عليك أما نحن فلا تكليف بيننا".

فاينظر القارئ إلى مكارم هذه الأخلاق النادرة في البشر ولو كانت هذه هي الوحيدة لما كانت عجيبة ولكننا كنا نطلع له كل يوم من الحلم والإغضاء والتواضع والإيثار والحنو على نوادر جديرة بأن تدون في الكتب وأن تلحق بما يروي عن أمثاله من كبار الملوك الغابرين. وجميع من خالطوا الملك فيصل وعاشروه يعترفون بأنه كان المثل الأعلى في كرم الخلق ودماثة الطبع وسعة الصدر.

ذهبت للسلام عليه في برن فتلاقيت معه مساء الأربعاء وكان مع علامات الضعف البادية واللطائف فأقمنا في حضرته مدة نصف ساعة واستأذنا منه مشيرين عليه بأن يستوفي قسطه من الراحة.

الفقيد في ساعات إلاحتضار

وثاني يوم جلسنا وإياه، المجلس الأخير، وكان يتكلم بقوة نفس ليس بينها وبين هزال جسمه رحمة الله أدنى نسبة، ونهض من المجلس ناشطاً قائلاً: أريد اليوم أن أتغدى في اونترلاكن، وكانت الساعة الحادية عشرة قبل الظهر من نهار الخميس ٧سبتمبر، وكنت أنا نازلاً في اوتيل برن فذهبت إلى الأوتيل الذي أنا

نازل به ورجعت إلى أوتيل بلفو الساعة السادسة بعد الظهر فسألت عن الملك هل رجع من اونترلاكن فقالوا لي: نعم رجع ولكن متوعكاً وقد اتعبته هذه النزعة وضل به القائد الطريق، ولم يعتد إلى طريق اونترلاكن إلا بعد أن دار به ساعة ونصفاً، فلذلك تعب الملك وذهب رأساً إلى غرفته واستدعينا له الطبيب فقال لابأس وإنما عليه أن يستريح، فسألت :

وهل يشكو شيئاً من الألم ؟ فقالوا يشكو خفقاناً في القلب ولكن الطبيب طمأن الأفكار .

وعند الساعة العاشرة صعد نوري باشا للاطمئنان ورجع قائلاً : سيدنا بخير. فقال أنه مستريح. فانصرفت أنا إلى الأوتيل الذي أنا نازل فيه، وقد سكن البال. والذي علمته من بعد أنه بعد ذهابي ببضع دقائق جاء خادم الملك إلى بهو الأوتيل وكان فيه الملك علي ونوري باشا السعيد ومحمد رستم بك وحيدر وحسن خالد باشا أبي الهدى وأخي عادل وآخرون، فقال الخادم لمحمد رستم بك أن الملك يستدعيك فصعد إلى غرفة الملك فوجده مضطجعاً على كرسي بثيابه ولكن لايقدر على الكلام إلا بمشقة، فأخذ يفرك له يديه حتى عرقا ثم أخذ يقول له بتؤدة: كنت أفضل أن جلالتك تجرب المعالجة عند غير هذا الطبيب وياحبذا لو جربت استشفاءً في فينا وأشباه هذا الكلام، وكان الملك يسمع ويجاوبه بالإيماء وبعد ذلك بقليل دخل نوري باشا فقال له: ياسيدي لايصح أن تبقى في ثيابك جالساً على الكرسي والأحسن أن تخلع ثيابك وتضطجع في السرير، ثم خلعا له ثيابه وألبساه قميص النوم واضجعاه في سريره وأخذا بفرك يديه إلى أن قال لهما أنه استراح فذهبا، فخرجا وهما مطمئنان، وبعد خروجهما بدقائق معدودات جاءته نوبة قلبية فاستدعى الممرضة التي كان الطبيب جعلها عنده فقال للمرضة لتستدعي حاشيته حالاً، ويظهر أنه شعر بدنو أجله فأراد أن يبلغهم وصيته، فقالت للخادم فنزل وقال لهم أن الملك يأمر بمجيكم إليه حالاً، ولكن الخادم كان مضطرباً فصعدوا سريعاً ، فيقول نوري باشا أنه عندما دخل إلى الغرفة كان الملك رحمه الله في النزع ولم يستمر نزعه ولا دقيقة واحدة، فما رأوا

إلا وقد شهق شهقةً كان بها الفصال وانقطع النفس تماماً بعد ذلك فمن سرعة انقطاع النفس لم يكادوا يصدقون أنها الوفاة، وسألوا الممرضة فقالت لهم أنكم بعد أن فارقتموه ببضع دقائق استدعاني وقال لي لأرسل وراءكم لتحضروا وانا فحصت قلبه فوجدته في حال التهور الشديد فبادرت بحقنة تحت الجلد أملاً بتحريك القلب ولكن لم ينبض القلب فلا أظن إلا أن القضاء قد نزل. فتلفنوا إلى الأطباء فجاؤوا وقرروا أن الملك قد فارق الحياة رحمه الله وأكرم في جواره مثواه. وبعد ذلك اجتمعت حاشية الملك وسحبوا البرقيات إلى بغداد وإلى سائر الأماكن وهرعنا إلى الأوتيل فعلمنا ان الله قد أخذ وديعته. وكانت ساعة لا يعرف هولها إلا من حضرها لاننا كنا نرى في فيصل رمز النهضة العربية ولم يكن رزؤه رزء واحد بل كان بنيان قوم تهدم.

أسباب الوفاة الحقيقية

ثم إن الأطباء شرحوا جثمان الفقيد فقرروا أن الوفاة كانت بسبب انسداد الشرايين، وقد وقع ذلك موقع إلاستغراب لأن تصلب الشرايين لايتفاقم إلى هذا الحد إلا إذا بلغ الإنسان الكبر، بل بلغ من الكبر عتياً. والحال أن الملك فيصل لم يتجاوز التاسعة والأربعين من سنه. وفد سمعت من الدكتور الحسيني المصري طبيب الملك علي أن الشرايين كانت متصلبة حتى لاتكاد تنقطع بالسكين. وبعدالتشريح نقل الجثمان الملكي إلى المستشفى لأجل وداع الفقيد وارسال النظرة الأخيرة على وجهه الكريم، وأخذا المصورون صورته مضجعاً على نعشه وكانت لنا عنده مناحة بكاه فيها الحاضرون بأشد مما بكوا الموتى من أهلهم وأحبائهم وارتفع العويل واجهش كل من حضر ورجعنا إلى الأوتيل، وكان الخبر وصل إلى طلبة العرب في جنيف ولوزان فتلفنوا لنا يريدون المجيء، فأشرنا عليهم بالحضور، وبعد ساعتين أوثلاث أقبل هؤلاء الشبان والحزن بالغ منهم مبلغه وأعينهم تفيض من الدمع وارادوا أن يشاهدوا الفقيد وكان قد دخل الظلام، فذهبنا مرة ثانية وودعناه وداعاً ثانياً اشتد فيها النحيب وكان كل واحد

منا يقول:

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر　　　　وليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ثم رجعنا الجثمان إلى الأوتيل بعد أن وضع في التابوت، وأحاط الشبان بالتابوت من كل جهة ورفعوه وأيديهم إلى السيارة التي أقلته إلى الأوتيل، حيث كان قد أعد له بهو كبير وضع فيه على منشر عال وقد تغطى بالأكاليل التي من جملتها إكليل الجمهورية السويسرية، وبقينا في البهو من حول التابوت إلى الساعة الثانية عشرة ليلاً، فأشرنا إلى أولادنا الطلبة أن يسهروا عليه بالمناوبة، أي يرقد منهم فوج، ويسهر فوج ولكنهم حفظهم الله وأبقاهم للأمة العربية لم يشاءوا أن يتناوبوا في النوم وسهروا بأجمعهم لم يذق لهم طرف طعم الرقاد. وجئنا في الصباح فوجدناهم صافين حول التابوت واجتمع الناس حينئذ.

نقل الجثمان الطاهر

وكان موعد نقل الجثمان إلى سكة الحديد للسفر إلى نانديزي ومن هناك إلى القدس إلى بغداد فحمل الشبان النعش إلى السيارة واشترك الجميع في حمل النعش وسار الجمهور، إلى المحطة، وكان هناك جمع غفير يتقدمهم رئيس جمهورية سويسرا والمسيو موتا ناظر الخارجية، وسار القطار بجثمان الفقيد ومعه جلالة الملك علي ونوري باشا وجعفر باشا وحيدر باشا وتحسين بك والدكتور أحمد بك قدري وسائر بطانة الملك وكان ذلك في الساعة الثامنة صباحاً. ولما وصل جثمان الملك المرحوم إلى نانديزي أجرت له الحكومة الإيطالية مراسم احتفال فائقة واصطفت العساكر ونشرت أعلام الحداد وكانت حفلة في أقصى مايمكن من الهيبة والفخامة نشرت تفاصيلها الجرائد.

جنيف ـ شكيب ارسلان

كيف وصل النعي إلى البلاد العربية

وكان أول من أذاع النعي في البلاد العربية جلالة الملك علي شقيق الفقيد فقد طير برقية من برن في سويسرا بتوقيعه الكريم إلى شقيقه سمو الأمير عبدالله في عمان هذا نصها :

" أعزيكم والأسى ملء قلبي بوفاة أخينا جلالة الملك فيصل هذه الليلة إثر نوبة قلبية".

وصدرت البرقية من مكتب البرق في برن (سويسرا) الساعة الثالثة ونصف من صباح الجمعة ووصلت إلى عمان حوالي الساعة الثامنة من صباح اليوم المذكور.

ولما كان سمو الأمير غائباً في (باير) فقد أرسلت إليه البرقية باللاسلكي وسافر الأمير شاكر على طيارة إلى مقر الأمير لإبلاغ سموه المصاب.

ثم وردت برقية روتر بهذا المعنى هذا نصها: توفي جلالة الملك فيصل في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل في برن(سويسرا) بالسكتة القلبية.

ثم أشفعتها ببرقية أخرى هذا نصها:

لندن في ٨أيلول - تناول جلالة الملك فيصل طعام العشاء لكنه كان يشكو جهاداً وتعباً. فاستدعى ليلة أمس طبيباً خاصاً لكن الطبيب لم ير في حالة مرضه ما يدعو إلى القلق، وظل جلالته كذلك حتى منتصف الليل فساءت حالته. وقد كان جلاله الملك فيصل مريضاً من قبل حينما غادر بغداد إلى سويسرا طلباً للاستشفاء وانتجاعاً للصحة. غير أن هذه الرحلة بترتها ثورة الأشوريين.

وقد أصر الأطباء على قولهم بأن حرارة الصيف في العراق تضر بصحة جلالته ضرراً بليغاً.

ولم تكد تذاع هذه الأنباء في العالم العربي حتى وجمت النفوس وتفطرت القلوب وتفجرت الآماق بالدموع وراح كل يندب حظ الأمة العربية ويرثى لها طالعها المشؤوم.

استقبال جثمان الملك في فلسطين

طلع الفجر يوم الخميس ١٤أيلول في حيفا على مشهد تاريخي لم يسبق له مثيل، فقد كانت فنادقها وشوارعها وشرفاتها وطرقها غاصةً بالناس الذين تدفقوا عليها من جميع أنحاء فلسطين والعراق وشرقي الأردن وسورية.

وما كاد الفجر ينبثق حتى شوهدت ألوف لاتحصى مالئة الطرق والسهل الممتد من حيفا على طريق عكا وسطوح المنازل وشرفاتها. فقد سارع الناس إلى ملء هذه الأماكن لاعتقادهم بأن برنامج الإستقبال قصير جداً، وقضت الوف من الناس تلك الليلة نائمة في السهل الممتد بين حيفا وعكا حيث المطار.

وفي الساعة الخامسة صباحاً صعد إلى البارجة المقلة لجثمان الفقيد العظيم الأميران طلال ونايف واثنان من أعضاء المجلس الإسلامي الأعلى في فلسطين وبعض كبار البريطانيين. وكان الدخول إلى أرصفة الميناء محظوراً إلا على حاملي التذاكر وعددهم مئتنان من أعضاء الهيئات الرسمية والقنصلية وكبار الموظفين وأعيان البلاد.

ولم تكد تمضي هنيهة حتى بدأ انزال جثمان الفقيد من البارجة إلى رصيف المينا، وقد تولى انزاله قائد البارجة وضباطها بملابسهم الرسمية وكانت راسية إلى جانب الرصيف. ولم يكد النعش يحمل على الإكتاف حتى صدحت الموسيقى العسكرية البريطانية بالأنغام المحزنة.

وقد ساروا بالنعش إلى محطة القطار التي لاتبعد عن رصيف الميناء سوى مئة وخمسين متراً بين صفين من الجنود منكسي السلاح ومطرقي الرؤوس. وقد سار وراء النعش الملك علي والأميران طلال ونايف والمندوب السامي البريطاني ونوري باشا السعيد وزير خارجية العراق المفوض في لندن وتحسين قدري بك رئيس التشريفات في البلاط العراقي والدكتور أحمد قدري بك قنصل العراق العام في مصر وأعضاء الوفد الذي جاء من بغداد برياسة وزير المعارف وأعضاء الهيئات الرسمية والقنصلية وكبار الوجوه والأعيان وفي مقدمتهم أمين بك التميمي وكيل رياسة المجلس الإسلامي الأعلى وأعضاء لجنة الإستقبال وغيرهم من ذوي المقام والشأن. وكان المشهد مؤثراً جداً إذ كانت الدموع تتساقط من جميع العيون والزفرات تتصاعد من جميع القلوب حزناً.

وأما عشرات الألوف من الجماهير فلم يسمح لها بالدخول منطقة الرصيف فوقفت صفوفاً متراصة ملأت الطرق كلها ومايجاورها من الأماكن وهي في أشد

مظاهر الحزن والكآبة.

ولما وصل النعش إلى قرب محطة القطار وضع على سيارة عسكرية مجللة بالسواد وعليها أكاليل منها إكليل من جلالة ملك بريطانيا وآخر من السنيور موسوليني في برندزي، وإكليل من المندوب السامي البريطاني.

وأما كبار المدعوين الذين رافقوا النعش إلى المحطة فقد استقلوا القطار واستقل المندوب السامي البريطاني مركبة خاصة به مع الملك علي والأميرين طلال ونايف وبعض كبار المدعوين، فسار القطار بهم بينما السيارة التي تحمل النعش واصلت سيرها بين صفين من الجنود إلى المكان المعد للصلا ة على جثمان الفقيد وتأبينه.

وأما الجماهير التي لايحصى لها عدد فقد تدفق السيل نحو المطار ولكن النعش والمدعوين وصلوا قبلها.

وقد أقيم في المكان المعد للصلاة والتأبين دكتان مجللتان بالسواد إحداهما للخطباء والثانية للملك علي والمندوب السامي وكبار المدعوين.

ووضع النعش أمام إحدى الدكتين موجهاً نحو القبلة وأقيم حوله نطاق بشكل نصف دائرة.

وحينئذ وقع حادث مفاجىء لم يكن في الحسبان وهو أن بعض شباب العرب المنتمين إلى مؤتمر الشبان لم يرقهم أن يكون استقبال جثمان الفقيد العظيم حكومياً رسمياً فلم يكد النعش يوضع على الدكة حتى أخذ هؤلاء الشبان يخترقون الصفوف ويهجمون على النعش. ومرت على هذه الحالة عشرون دقيقة كان الشعب فيها يموج تموج البحر طالباً أن يحمل النعش قبل الصلاة، فلم يمكن في هذه الحالة القاء خطب التأبين فإن أمين بك التميمي لما حاول أن يلقي خطاباً مكتوباً ضاع صوته بين أصوات التهليل والتكبير.

وبعد الصلاة نهض سيادة المطران حجار فتكلم دقيقة ثم اضطر إلى التوقف لعدم تمكنه من إسماع صوته. وحينئذ رأى الملك علي إلاكتفاء بما ألقي من الخطب وأبلغ المندوب السامي رغبته هذه .

ووضع النعش في سيارة سارت به نحو المطار ووراءه كبار المشيعين. ولما وصل الملك علي جلس على كرسي صغير في ظل الطيارة وكان منظره يستبكي العيون لما يبدوا عليه من أثر الحزن والتعب فلم يمكن الجمهور نفسه من البكاء.

ووصل النعش ونقل إلى إحدى الطائرتين اللتين كانتا في المطار قبل أن تصل الجماهير وأخذ المصورون ومصوروا السينما عدة صور ثم ارتفعت الطيارتان في الجو بين أصوات التكبير والتهليل.

ووصلت حينئذٍ ست طيارات عراقية فحلقت في الجو ثم سارت وراء الطيارات التي تقل النعش. وألف بعد ذلك موكب صامت اشترك فيه عشرات الألوف فطاف في أحياء المدينة وهو يقول :

في ذمة الله يا ملك العرب.



كيف شيع جثمان الملك في بغداد

استعدت بغداد قبل وصول جثمان المغفور له الملك فيصل بأيام لاستقباله وتشييعه إلى مقره الأخير، وقد تقرر أن يكون مرقده إلى جانب قبر المرحومة جدته التي توفيت سنة ١٩٢٩ودفنت في مقبرة خاصة على مقربة من دار البرلمان الحالية، وتقاطرت على بغداد وفود لاتحصى من الألوية والبلدان المجاورة وفي مقدمة هذه الوفود الوفد العربي الذي جاء من فلسطين وشرق الأردن وسورية وكان من أعضائه البارزين عوني بك عبد الهادي وجمال بك الحسيني وعادل بك العظمة والشيخ عبد القادر المظفر وحسين باشا الطراونة وسليمان باشا السودي وعزت افندي دروزة والدكتور عبد الكريم العائدي، عدا من رافق سمو الأمير عبد الله وما كانوا يقلون عن٣٠ شخصاً وفي مقدمتهم الأمير شاكر وبعض الأشراف، وعجت دار السلام بالوافدين ويقدر عدد من حضر بما لايقل عن ٥٠ ألف نسمة.

وقد وصل جثمان الملك الراحل المطار المدني في الساعة السادسة من صبيحة الجمعة وكانت الساحةالكبرى التي أمام عمارة المطار تموج بالخلائق، واصطف الجند والشرطة من المطار إلى المقبرة الملكية الخاصة والمسافة تقدر بخمسة عشر ميلاً، ولا غرو فإن الجنود المصطفة مؤلفة من أربعة أفواج وكتيبة من الخيالة أما الشرطة فكان عددهم نحو ألف شرطي عدا ثمانمائة شاب تطوعوا أن يكونوا شرطيين في ذلك اليوم التاريخي المشهود فوضعت على أيديهم الشارات.

وكان منظراً مؤثراً للغاية لما استقبل جلالة الملك غازي الأول جثمان والده العظيم وتعانق جلالته مع عمه فقد علا النحيب وتصاعدت الزفرات من تلك الخلائق البشرية، وكان يرافق الجثمان كما سبق القول كل من نوري باشا وجعفر باشا ورستم بك وتحسين بك قدري وأحمد بك قدري، وقد صلى على الجنازة ما يزيد على عشرة آلاف نفس ثم حملت على مدفع تجره أربعة من صافنات الجياد

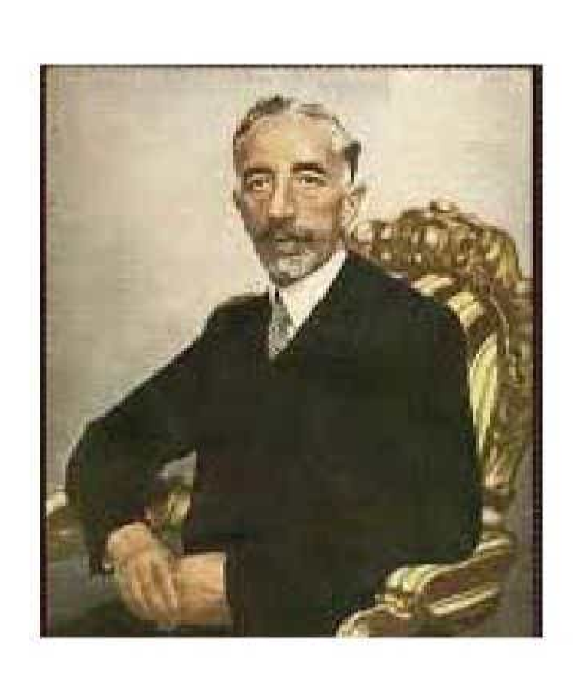
وكان الجثمان في صندوق الألومنيوم وقد كسي بالعلم العراقي، وركزت الأعلام على جوانب عربة الدفع وسار الموكب بين خلائق لايحصى عددها، ولم تشهد بغداد لا في أتراحها ولا في أفراحها مثل ذلك المشهد الفذ في تاريخ هذه البلاد، وقد تجمهر ألوف من الناس يريدون أن يحملوا النعش على أعناقهم فلم يتمكن الموكلون بحفظ الأمن من زحزحتهم إلا بشق الأنفس، وكان الطريق الطويل ممتلى بعشرات الألوف والمدينة تسيل منها العبرات ووجوهاً مكفهرة وصدوراً تقرع حزناً على الراحل، ومضى النعش في هيبة وجلال إلى أن وصل البلاط الملكي وهناك استقبله السفراء والوزراء المفوضون ومشوا مع الوزراء مطرقي الرؤوس تتقدمهم أكاليلهم ومن ورائهم العلماء والرؤساء الروحانيون والموظفون والأهلون وأرباب الحرف والمهن، ولكن كان من الصعب أن يتقدم أحد خطوة من مكانه ماعدا الوزراء والسفراء وذلك من شدة إلازدحام وكانت السطوح والشرفات مكتظة بالناس من جميع الطبقات.

وهناك في تلك الحفرة الصغيرة وضع جثمان ملك عظيم وسعت همته وعزمه خدمة شعب مجزأ مشتت محفوف بالأخطار والمكاره، وأطلقت مئة طلقة وطلقة عندما وسد اللحد ايذاناً بذلك، وتقدم ممثلوا الدول الأجنبية إلى جلالة الملك غازي وجلالة عمه الأكبر الملك علي وعمه الأمير عبد الله بالتعازي. ومن العبث أن يستطاع وصف موكب الفقيد وما حفه من روعة وجلال وودع به من زفرات وحسرات، ولا المناحات التي مشت وراءه أو وقفت مكانها لتعذر السير فإن ذلك لايحيط به كاتب ولا واصف.

أما الأكاليل التي وضعت على ضريح الفقيد فقد زادت عن مئة بينها إكليل من جلالة شاه العجم وأكاليل من السفراء والعظماء، ووضع السفير البريطاني اكليلاً باسم جلالةالملك جورج والقائد العام للقوات البريطانية باسم الجيش. ومن اليوم الثاني إلى هذا اليوم لم ينقطع سيل الوفود على القبر ساكبة العبرات وواضعة بطاقات الزهر على الجسد الطاهر، ومن بين هذه الوفود وفد رئاسة الحاخام الأكبر للطائفة إليهودية، وأخر برئاسة بطريرك الكلدان باسم الطوائف

المسيحية، ووضع الدكتور سيف الدين البستاني إكليلين على الضريح الأول باسم حزب شباب الوحدة العربية والثاني باسم الحزب الملكي في سورية.

وقد عقد في البلاط مجلس للعزاء تصدره صاحب الجلالة الملك علي دام سبعة أيام، وانعقدت مجالس العزاء في بغداد وفي جميع أنحاء العراق وقامت بذلك جميع الطوائف والملل، ففي الكنيس الأكبر للطائفة إليهودية انعقد مأتم برئاسة الحاخام وأمثاله في كنائس الكاثوليك والسريان واللاتين، وفي الجوامع الإسلامية الكبرى كجامع الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان وجامع الإمامين العظيمين موسى الكاظم ومحمد الجواد في الكاظمية، وكان الناس يطوفون على هذه المآتم من دون تفريق بين المذاهب والأديان.



صدى الفاجعة الأليمة في الشرق العربي (الأردن)

قلنا أن برقية النعي التي أرسلت إلى الأمير عبد الله لم تصله في وقتها لأنه كان غائباً في " باير" الصحراء وقد أرسلت إليه باللاسلكي. ولما عاد إلى عاصمته عند تلقيه هذا النبأ أبرق إلى جلالة الملك غازي البرقية التالية:

جلالة ولدنا الملك غازي ـ بغداد

مع الحزن العميق أرجو قبول العزاء وآمل أن تمثل جلالة المرحوم أمام الله والشعب والبيت الهاشمي حق التمثيل وأن تلاقي هذه المصيبة بكمال المتانة، وأن تقوم بمهمتك الشاقة التي أراك كفوؤاً لها بعناية الله حق القيام.

عبدالله بن الحسين.

ثم أبرق الأمير إلى جلالة شقيقه الملك علي في برن البرقية التالية:

تقبلوا تعزيتي مع حزني العظيم،ثقتي بمتانتكم الهاشمية مع عبوديتي المعلومة.

عبد الله بن الحسين

وكانت عمان تنتظر رجوع الأمير عبد الله بقلوب واجفة، فلما وصل أول الليل استقبلته المدينة بمظاهرة باكية وكانت عينا الأمير غائرتين من فرط البكاء فلم يستطع الوقوف فأدخله رئيس الحكومة إلى غرفته، وفي صباح السبت صعد أهالي عمان جميعاً إلى المقر فقابلهم الأمير عبد الله شاكراً ثم خطب فيهم قائلاً :" لاحي يدوم إلا وجهه تعإلى، لقد أعارنا إنساناً ثم عاد فاسترده وتلك مشيئته نعم ان إلاسترداد لصعب على النفوس لأنه جاء في زمن العرب فيه أحوج ما يكونون إلى الراحل العظيم، ولكننا آل البيت دائماً مصابون، والله لم ينسكم ولكم بالرسول أسوة حسنة بارك الله فيكم وأحسن جزاءكم".

وأذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأردني الإذاعة التالية:

" ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين"[1]، "وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثيراً فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين"[2].

"اللجنة التنفيذية للمؤتمر الأردني تنعى بمزيد الألم إلى الأمة العربية محقق آمالها ومهبط رجاءها الملك فيصل الأول وتعزيها بفقد رجلها الأكبر عوض الله على الأمة المفجوعة بما هو خير وأبقى وإنا لله وإنا إليه راجعون".

وعند تلاوة البيان توجه الناس إلى المساجد والكنائس حيث أدوا صلاة الغائب وقد علقت صورة الفقيد في كل مكان وأخرج نعش جلل بالعلم العراقي العربي وطيف به في جميع الأنحاء بين التهليل والتكبير والبكاء والعويل وكانت جنازة عمان فخمة كغيرها وأصوات النساء تشق عنان السماء صائحة : يالذل الإسلام والعرب من بعدك يا أبا غازي".

برقية الكتلة الوطنية (سوريا)

بغداد ـ جلالة الملك غازي

السوريون يشاطرونكم الأسى بالكارثة الكبرى التي أصابتكم بفقد مؤسس نهضة العرب والدكم العظيم وللعراق بظلكم دوام التقدم على المنهاج الذي أسنه سيدنا الراحل: إبراهيم هنانو، فارس الخوري، جميل مردم، عفيف الصلح، لطفي الحفار، فائز الخوري، سعيد الغزي، احسان الشريف، نسيب البكري، فخري البارودي.

وقد طيَّر الزعيم ابراهيم بك هنانو برقيات النعي إلى معظم المدن السورية هذا نصها:

غداً (أي السبت) تغلق دمشق حداداً على مصيبة العرب بمصرع جلالة الملك فيصل نرجو اشتراك المدينة.

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية١٤٦.

وقد طيّرت عصبة العمل القومي إلى جلالة الملك غازي الأول ملك العراق وإلى رئيس مجلس الوزراء وإلى رئيس المجلس النيابي برقيات هذا نصها:

عصبة العمل القومي تعزي العرب كافة بفقيد ابن الثورة العربية وحامل لواء القضية والمنافح عن الحرية وتهتف بحياة مليك العراق وارث عرش فيصل جلالة غازي الأول.

وقد أغلقت مقاهي المدن السورية وملاهيها حداداً على الفقيد العزيز وتوجهت وفود عديدة تمثل مختلف الأحزاب والهيئات إلى بيروت لتقديم واجبات التعزية إلى القنصلية العراقية.

في بيروت

أما وقع النعي في نفوس البيروتيين فكان عظيماً وقد نشرت الأعلام السوداء على كثير من الدور وأبواب المخازن ووضع الشباب الوطني على صدره شارات الحداد.

وقد أقيم يوم الأثنين في ١١أيلول مأتم عظيم للفقيد الراحل حضره ألوف من الناس وسارت المواكب في شوارع المدينة يتقدمها رسم الفقيد والأعلام النبوية والعربية والعراقية.

وبعد إقامة صلاة الغائب في الجامع العمري سارت الجماهير بمظاهرة صامتة خاشعة إلى دار القنصلية العراقية، حيث قدمت تعازيها لقنصل العراق. وألقيت خطب حماسية مؤثرة في تأبين الفقيد العظيم، وكانت الأعلام السوداء تخفق فوق المخازن وشرفات المنازل.

في فلسطين

عندما وصل نبأ النعي إلى فلسطين كان الناس بين مصدق ومكذب حتى إذا تثبتوا منه قامت المناحات والمآتم في كل مكان، وظهرت الصحف العربية وهي مجللة بالسواد وأبنت الفقيد تأبيناً حاراً، ونكست الأعلام وعلا المؤذنون المآذن ينعون للناس فيصلاً، وأذاعت اللجنة التنفيذية العربية والمجلس الإسلامي الأعلى ولجنة مؤتمر الشباب والمكتب الدائم للمؤتمر الإسلامي بيانات متنوعة

تحمل النبأ المريع إلى أبناء فلسطين وتدعو الأهلين إلى الحداد فلبّوا سراعاً ورفعت الأعلام السوداء فوق الدوائر والأندية الوطنية وأغلقت دورالملاهي وأوقف العزف على الفونوغراف والراديو، وأقيمت الحفلات التأبينية، وقرعت أجراس الكنائس، وأقيمت الصلوات فيها، وأعلنت المحافل والجمعيات ودور العلم الأهلية إغلاق أبوابها ثلاثة أيام حداداً، وعلقت الشارات السود في الصدور وانهالت التعازي البرقية إلى أفراد الأسرة الهاشمية الكريمة.

بيان اللجنة التنفيذية العربية فلسطين

" إنا لله وإنا إليه راجعون"

"تنعي اللجنة التنفيذية العربية إلى الأمة العربية بملء الحزن والأسف، قطب رحى الوحدة العربية والعاهل الأكبر صاحب الجلالة الملك فيصل الأول ملك العراق العظيم، فقد حمل البرق خبر نعيه المشؤوم الذي وجفت له القلوب وهلعت الأفئدة، إذ اختاره الله عز وجل إلى جواره الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة في مدينة برن عاصمة سويسرة حيث كان يقيم رحمه الله للاستشفاء من عناء الأعمال الجبارة التي ثبتت دعائم العراق على أساساتها فقد فاجأته نوبة قلبية أسكتت ذلك القلب الجبار المملوء بالإيمان القومي والخافق بحب العرب ففاضت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى لتنعم في جوار ربها راضية مرضية.

"أيها الفلسطينيون!

لقد مات "فيصل الأول" المحبوب، الذي كان اسمه ملء الأفواه وذكره ملء الأسماع، وحبه متغلغلاً في شغاف كل قلب عربي، فيصل الأول الذي حمل علم الثورة العربية ونفخ في الأمة العربية من روحه الطاهرة والذي شيد ملك العراق بقلبه الكبير وعقله المستنير، والذي كان أعظم عامل في تشييد بنيان الوحدة العربية، مات بعد أن ضرب للعرب الأمثال في حياته القصيرة الحافلة بجلائل الأعمال كيف يكون تشييد الممالك، و الإستهانة في سبيل الاستقلال والوحدة بكل

صنوف الرزايا والممالك وأن كلمة "فيصل" اصبحت قرنية المجد ورفيقه الحرية والتضحية فعلى كل عربي اليوم في فلسطين والأقطار العربية الأخرى أن يتلقى هذه المصيبة الجلى والكارثة العظمى بالصبر والجلد وأن ستنزل الرحمة على جثمانه الطاهر وأن يتقرب إلى الله عز وجل وإلى روح الفقيد العظيم الطاهرة بمضاعفة السعي والعمل في سبيل تحقيق الأمل المنشود والغاية المثلى العظمى للأمة العربية التي كان الفقيد إمامها الأعظم ومدرها الأفخم وبطلها الحلاحل وبحرها الخضم الذي ليس له ساحل.

" وأن فلسطين العربية الثكلى التي تسكب اليوم دمعة الحزن والأسى على جلالة ملك العراق وعميد النهضة العربية والتي تزفر زفرة الحرقة والولعة على فتى الأمة العربية وزعيمها وعظيمها، لتتقدم بواجب التعزية في هذا الرزء الأجل إلى نجل الفقيد العظيم وخلفه المؤيد المنصور جلالة الملك غازي المعظم وإلى الدوحة الهاشمية المباركة وإلى الشعب العراقي الباسل النبيل وإلى الأمة العربية بأسرها في رزئها الجلل ومصابها الأكبر.

ولاحول ولا قوة إلا بالله وإناّ إليه راجعون "

بيت المقدس في ١٨جمادي الأول ١٣٢٣هـ و ٨أيلول ١٩٣٣م

رئيس اللجنة التنفيذية العربية

موسى كاظم الحسيني

بيان المجلس الإسلامي الأعلى

" بأفئدة مكلومة وقلوب دامية ونفوس يملؤها الحزن والأسى، ينعى المجلس الإسلامي الأعلى إلى الأمة العربية الكريمة المجاهد الأعظم والقدوة الصالحة للزعامة المخلصة والجهاد المقدس والتضحية العربية وقائدها الكبير، توفاه الله في بلاد الغرب أثناء جهاده في سبيل القضية العربية.

وأنه مهما يكن مبلغ وقع هذه المصيبة في نفوس العرب والمسلمين جميعاً فإنهم لايقومون بواجبهم نحو الراحل الكريم الإ بالسير على خططه وانتهاج نهجه في التضحية والإخلاص والعمل ولاسيما في هذه الظروف القاسية التي تجتازها الأمة العربية في سبيل نهضتها ومجدها. رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن المسلمين والعرب أحسن الجزاء. فعزاء أيتها الأمة الكريمة وإناّ لله وإنا إليه راجعون".

في ١٨جمادي الأول ١٩٥٢هـ و٨أيلول ١٩٩٣

وكيل رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

أمين التميمي

في العراق

وصلت برقية النعي إلى دولة الأستإذ رشيد بك عالي الكيلاني رئيس الوزارة في الساعة الرابعة بعد منتصف ليلة الجمعة فتلفن محتوياتها إلى الوزراء ودعاهم إلى الحضور فوراً في ديوان مجلس الوزراء.

وفي الساعة السادسة كان المجلس منعقداً وأيقظ سمو الأمير غازي من نومه في قصر الحارثية وأبلغ النبأ الفاجع فتلقاه بصبر ورباطة جأش ثم توجه إلى حيث يجتمع مجلس الوزراء فتلا مراسم اليمين القانونية أمام المجلس طبقاً للمادة الحادية والعشرين من الدستور العراقي وبذلك أصبح سموه ملكاً على البلاد.

وفي الساعة العاشرة صباحاً أذاع مدير قلم المطبوعات النعي الآتي:

فجعت الأمة عند منتصف ليلة الجمعة بوفاة سيدها وباني مجدها جلالة الملك فيصل الأول وذلك بنتيجة نوبة قلبية وشاءت الأقدار الإلهية. أن تحرم البلاد في أشد ساعاتها من قيادة مؤسس الدولة وزعيمها المحبوب كان الله في عون الجميع على هذا المصاب الجلل. سيعلن منهاج الحداد والتتويج ببيان آخر " ثم أذاع القلم المذكور بياناً بتتويج الأمير غازي هذا نصه " جرى تحليف سمو ولي العهد في الساعة العاشرة من هذا اليوم (الجمعة) وفقاً للمادة الحادية والعشرين من القانون الأساسي وأصبح ملكاً متوجاً على العراق باسم الملك غازي الأول ابن الملك فيصل الأول.

ولم يكد الشعب العراقي يتلقى النبأ الفادح بوفاة مليكه المحبوب حتى طغت عليه موجة حزن عميق وعراه ذهول ودهشة بحيث ماكان يرى المرء إلا وجوهاً مكفهرة وعيوناً دامعة وجماعات هنا وهناك تلطم بالصدور وترثي الراحل العظيم.

وماكاد الشعب يصحو من هول الصدمة حتى تألفت المواكب وسارت عشرات الألوف أمامها الرايات السود نادبة راثية وكان المنظر مؤثراً والكآبة تعلو مراثي شعبية تفتت الأكباد. ومشت هذه الخلائق إلى البلاط وقصر الحرم بين بكاء وعويل وكأن القيامة قد قامت، وتبدل كل شيء على وجه الأرض ودام الموكب إلى منتصف الليل في بغداد. ولبست جميع المدن الأخرى الحداد وأقيمت المآتم على أروع مظهر وأبلغ منوال وأعلنت الحكومة العراقية الحداد سبعة أيام.

وقد مضى على العراق ثلاثة أيام سوداء لم يعرف فيها أبناؤه طعم الرقاد ولم يبق فرد إلا خرج للاشتراك في العزاء والرثاء وألفّ يهود بغداد ومسيحيوها مواكب عظيمة مشى فيها مايزيد على ٥٠ ألفاً اخترقت شوارع العاصمة في حالة مؤثرة.

وفي مساء اليوم الثالث أذاع مدير المطبوعات بياناً على الشعب يدعوه فيه إلى إلاكتفاء بما أقيم من مظاهرات والعودة إلى مزاولة أعمالهم .

في مصر

لقد جزعت مصر كما جزعت جميع أقطار العالم العربي لهول هذه الفاجعة التي لم تكن في الحسبان. وظهرت الصحف المصرية مساء يوم الوفاة حاملة ذلك النبأ المريع وساردة سيرة الفقيد العظيم وما تحلى به من مكارم الأخلاق وحميد الصفات وماعمله من أعمال جليلة لصالح العرب والجامعة العربية.

وأقبلت وفود المعزين على دار القنصلية العراقية العامة بالإسكندرية وكان في مقدمة المعزين مندوبوا جلالة الملك وشيخ الجامع الأزهر والوزراء ومندوب دار المندوب السامي محافظ الإسكندرية بالنيابة عن الحكومة. وأرسل دولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء برقية تعزية إلى دولة رئيس الوزراء العراقية كما أرسل جلالة الملك فؤاد برقية رقيقة إلى جلالة الملك غازي.

وأرسل دولة النحاس باشا رئيس الوفد المصري البرقية الآتية إلى جلالة الملك غازي:

حضرة صاحب الجلالة الملك غازي الأول ملك العراق.

إن فاجعة العراق بوفاة والدكم الملك المحبوب فيصل الأول مؤسس المملكة العراقية الحديثة قد فجعت مصر والعالم العربي في ملك عربي مقدام عاش للشعب، ومات في سبيل العمل لرفعته ومجده وإني بقلب حزين أتشرف بأن أرفع لمقامكم الجليل ولبيتكم الكريم، وللشعب العراقي النبيل، عزاء الأمة المصرية الشقيقة وعزائي، كما أرفع تهانينا الصادقة بارتقاء جلالتكم عرش أبيكم، جعلكم الله خير خلف لخير سلف، وشعبكم الباسل بالمناعة والعزة والهناء.

رئيس الوفد المصري

مصطفى النحاس

ولقد وجه سعادة حمد باشا الباسل إلى أهل العراق هذا نصه:

مات الملك فليحي الملك

إخواني أهل الرأي في العراق!!

لقد مات فيصل مؤسس الدولة العراقية وأصبحت هذه الدولة وديعة في يد خليفتكم وفي أيديكم، والعالم والعرب في كل مكان يتطلعون بأعين دامعة وقلوب واجفة فإليكم أنتم العزاء وفيكم أنتم الرجاء.

لقد عرفت في زعماء العراق على اختلاف أحزانهم رجإلاً انضجتهم الأيام وعركتهم الحوادث يستضيئون بنور إلاخلاص وينهضون بصادق العزائم فإليكم أيها .... تودع الدولة الفتية وعليكم أن تصونوها، وما صيانتها إلا بأن تضاعفوا الهمم وتجمعوا العصبة. لقد كان فيصل يحمل الأعباء عن كثيرين أما الآن فعلى كل وطني أن يشارك في حمل الأمانة.

وأعلموا أن الله اقامكم في مقام العباسيين فليظل للعراق عز أسلافه ومجد أبائه ولتكونوا جميعاً رسل هذا العز وذلك المجد.

لقد عزتنا ثقتنا فيكم عن مصاب العرب الداهم في فيصل البطل واننا لانشك في أن الناس سيقولون قريباً أنظروا إلى العراق فيحق قول الشاعر العربي:

إذا مات من سيد قام سيد قؤول لما قال الكرام فعول

حمد الباسل

صدى الفاجعة في انكلترا

وصل نبأ الفاجعة إلى لندن صباح الجمعة فكان له وقع شديد في نفوس أصدقائه العديدين وأقلق بعض المقامات التي تهتم بشؤون الشرق الأوسط لأنها خشيت أن تزداد الحالة في العراق تعقيداً بعد أن حرمت البلاد من بعد نظره ونفوذه السياسي وسعة حياته. وقد أبنّته الصحف فاطنبت في مدحه كجندي وسياسي وأشادت بذكر النصيب الأعظم الذي قام به في معارك الشرق الأوسط أثناء الحرب الكبيرة.

وقد وصفه المارشال اللنبي بأنه كان صديقاً ذا شخصية جذابة صريحاً في أعماله وأقواله، وجندياً كبيراً، وسياسياً قديراً.

ويقول المارشال "أن جلالته لم يكن في صحة جيدة أثناء زيارته الرسمية الأخيرة للندن ولكنه أحس بنداء الواجب يدعوه إلى بغداد فعاد إليها. وعندي أنه ضحى بنفسه من أجل بلاده وهذا ما يجب على الملوك عمله".

وأرسل الملك جورج إلى الملك غازي البرقية الآتية:

" علمت أنا والملكة، والأسف ملء قلوبنا، بوفاة والدكم العظيم جلالة الملك فيصل الذي سرنا أن نرحب به لمّا نزل أخيراً في ضيافتنا فنرجو من جلالتكم أن تتقبلوا تعزيتنا القلبية على الخسارة الكبيرة التي أصابتكم أنتم وأسرتكم الملكية وشعبكم بهذه الفاجعة".

" وأنه ليسرني في الوقت نفسه أن أقدم إلى جلالتكم تهانيَّ القلبية بارتقائكم العرش مع تمنياتي الصادقة بأن يكون عهدكم عهد صداقة ورخاء"

وأنشأت جريدة التايمز مقإلاً افتتاحياً قالت فيه " إن وفاة الملك فيصل المفجعة الفجائية قد أفقد هذا البلد صديقاً طيباً وحليفاً شهماً وسلبت الشعب العراقي ملكاً خدمه خدمات لاتقدر لها قيمة"

وبعد أن تكلمت الجريدة عن حركة الأشوريين الأخيرة قالت:

" والملك فيصل كان يستخدم ما لديه من المزايا ـ انتسابه لسلالة نبي المسلمين صلى الله عليه وسلم وصداقته للبريطانيين ووطنيته العربية الصحيحة - وما أوتيه من الفطنة وإلاعتدال. وقد كان المصلح المقدام والمحارب الباسل قوي الملاحظة، وكان قادراً على مداورة وزرائه وتصريف الأحزاب السياسية وتوجيه حزب إلى آخر، وكان الزعيم الحازم الذي تقدره رعيته حق التقدير".

ثم اسهبت الجريدة في وصف حكمة فيصل وذكرت جهوده إلى توثيق عرى الصداقة مع تركيا وإيران وأخيراً مع الملك ابن سعود.

وبعد أن استعرضت وضع العراق وما قطعه من الأشواط قالت : " فوفاة الملك فيصل قبل الأوان لابد أن تؤخر التقدم الذي لايمكن تعجيله بالوسائل العنيفة،

ولكن يمكن أن يستمر التقدم إذا زاد السير الإقتصادي وحافظت العراق على علاقاتها الودية مع بريطانيا وانتهت بحكمة وتعقل إلى مشورة جمعية الأمم".

وعالجت بقية الصحف الإنكليزية موقف العراق الحالي ومستقبله بكثير من الحذر والحيطة بعد وفاة المليك الجليل.

في تركيا

أذاعت شركة الأناضول التلغراف الآتي:

الأستانة في ١٠ أيلول، روعت دوائرنا بخبر وفاة المغفور له الملك فيصل الفجائية وخصوصاً لأن للفقيد أصدقاء عديدين تعرف بهم في السنوات الأخيرة ولاشك في أن وفاة جلالته تعتبر خسارة فادحة للعراق نظراً للصعوبات التي نشأت من جراء ثورة الأشوريين التي لم تحل مسألتهم للآن، ولاريب أن الجهود التي قام بها جلالته وتكللت بالنجاح بتمكنه من انشاء دولة عراقية مستقلة تعمل على حفظ السلم في الشرق الأدنى سيتممها ويسير على خطها نجله جلالة الملك غازي، الذي تتقدم إليه الصحافة التركية بعزاء ومشاركة الأمة التركية له في مصابه المفاجىء، ونعت الصحف التركية إلى قرائها الملك فيصل وقد علقت على النبأ جريدة(وقت) قائلة:"أن الملك فيصل اشتغل في الحرب العالمية مع الكولونيل لورانس ضد تركيا، ورأس القوات العربية، ثم تولى الملك في العراق فأداره بذكاء ومهارة فائقة".

ثم قالت : " إننا كأتراك يسرنا جداً أن يخمد العراقيون فتنة محلية بنفسهم إلا أنه يسوؤنا جداً أيضاً وفاة الملك فيصل الذي كان صديقاً لنا عاملاً على إزالة كل سوء تفاهم بين الأمتين العربية والتركية ساعياً في سبيل ربط البلدين بروابط الصداقة والولاء".

وكتب الكاتب والمؤرخ التركي عمر رضا بك مقالاً استغرق ثلاثة أعمدة أتى في مقدمته على تاريخ الفقيد مختصرة ثم أتى على موجز الحركة الوطنية العربية والأدوار السياسية التي مرت بالملك أثناء جهاده إلى أن تبوأ عرش العراق وهنا

أشار إلى جهاده العظيم في القضية العراقية التي أحسن الدفاع عنها ثم قال : " وقد سعى الملك فيصل بكل قواه في سبيل تحقيق أماني العرب التي كانت الأمة العربية جمعاء تراها ممثلة بشخصه، والملك فيصل كان يعرف حقيقة نوايا العرب من جهته ولهذا كان كثير التأثر شديد الاضطراب لعدم استطاعته إجبار الدول للسيطرة على تحقيق وعودها".

في فرنسا

علقت جريدة (انترانسيجان) على خبر وفاة الملك فيصل بقولها "يجب أن لا يغيب عنا أن الحالة في العراق كانت في المدة الأخيرة على جانب كبير من الاضطراب حتى استلزمت مخاطبة انكلترا للملك فيصل الذي كان قد سافر للاستشفاء، ويجب أن لاننسى كذلك أهمية المصالح الدولية في منطقة الموصل، ويجدر بنا أن نرقب بعين الانتباه تطور الحالة في تلك البلاد"

وقالت الديبا " أن الفقيد كان يبث الفطرة الوطنية العربية وينميها بعناية واهتمام، وهو لم يكن صديقاً لفرنسا بل كان يحاول إخراجنا من سورية على رغم الاتفاقات المعقودة، ولكنه كان ذكي الفؤاد بصيراً في الأمور فأدرك على أثر ذلك أن مصلحة بلاده في أن تكون العلاقات ودية حميمة نكون واهمين في ذلك لأن الفقيد كان سياسياً شديد التكتم".

وقالت جريدة الطان: " أنه بفقد الملك فيصل يتوارى رجل شديد الحزم والعزم ومتفوق الذكاء، وقد أحرز في البلاد العربية مكانة سامية جداً. وموته يفتح الباب لمسائل تعد على جانب عظيم الأهمية فإن انكلترا فقدت بوفاته حليفاً ممتازاً. ولكن بعض الحركات التي كانت سورية تنظر إلى تطورها بعين القلق ستتوقف بوفاة الرجل الذي كان يحث عليها وكان يحتمل أن يستفيد منها".

وقالت جريدة الجورنال :"بوفاة الملك فيصل يتوارى ليس فقط مليك كانت سياسته موضع جدل ونقاش، بل أعظم شخصية بارزة عرفها الشرق".

ثم قالت هذه الجريدة نفسها: "قد خلق فيصل لفرنسا مشاكل خطيرة أتعبتها وهذا ناتج عن أن الوعود التي أعطيت لفيصل ووالده تتباين مع الوعود التي منحت في بعض الوقت لفرنسا من جانب حكومة لندن. وحقد فيصل على فرنسا كثير لأنه لم يتمكن من تحقيق غاياته وهي حكم بغداد ودمشق في آن واحد. ويقال أن الرجل أسس قيادة وأحسن بأساليبه منذ ثماني سنوات بعد أن احتك بكبار السياسيين أمثال المسيو فيليب برتلو وهنري يونسو وبدأ يدرك ماهي فرنسا. وقد تحسنت العلائق الفرنسية العراقية من أثر زيارة الملك فيصل لفرنسا سنة ١٩٣٢م رسمياً ومقابلة المسيو بول دومير رئيس الجمهورية له".

وقال المسيو يونسو المندوب السامي في سورية لمندوب شركة روتر " أن وفاة الملك فيصل الفجائية قد أثرت في نفسي تأثيراً كبيراً ولقد كنت منذ سبع سنوات على اتصال معه سواءً من الناحية الشخصية أو الوجهة الدبلوماتيكية وكانت مقابلتي الأولى مع الملك العظيم في الباخرة ما رييت باشا حين كنت ذاهباً إلى سورية لتولي منصب عميد سام للجمهورية الفرنسية ولبنان أعني في أكتوبر عام ١٩٢٦واجتمعت به لآخرَ مرةً أثناء زيارته الرسمية لفرنسا في شهر آب عام ١٩٣١م.

" انني احمل لفيصل في قلبي أعظم إلاحترام والتقدير وأعترف بذكائه النادر وفطنته البالغة ولست أنسى أن والده كان قد انضم إلى جانب الخلفاء اثناء الحرب العامة وقد فرقت بيننا بعض المشاكل المتستعصية ولكنني لاأود أن أتذكر اليوم إلا ما كان مدعاة لاتفاقنا واتحادنا.

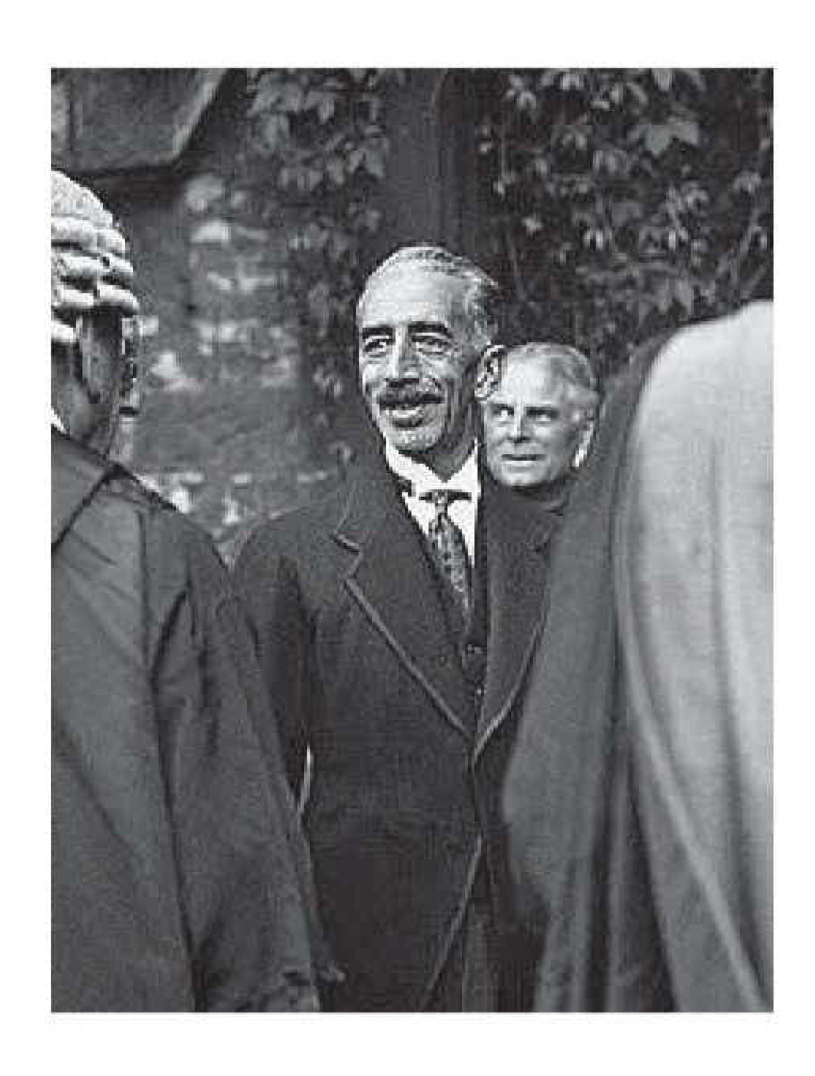
وليس يسعني إلا أن أقول لك أن موت فيصل معناه اختفاء أبرز شخصية عرفها العالم العربي.

في إيطاليا

كتبت الصحف الإيطالية مقالات طويلة تعليقاً على وفاة الفقيد. وقد تضمنت هذه المقالات كثيراً من العطف على جلالته والتنويه بمزاياه والحوادث التي توالت

على العراق في مدة حكمه حتى إلغاء الإنتداب البريطاني.

ونوهت جريدة (لوفي ساجرو) والصحف الفاشيستية الأخرى بموقفه تجاه انكلترا وأجمعت على القول بأن في ارتقاء نجله الملك غازي الأول عرش العراق أعظم دليل على أن سياسة العراق الخارجية لن يطرأ عليها أقل تبدل.



من أقوال فيصل المأثورة

- إنني لا أعمل أبداً لانكلترا ولا لفرنسا بل للعرب وللعرب فقط وأنا دائماً أخ لأخواني في الجنس والدين.

- أنا والله رجل لا أخاف القوات. بل أخاف حساب التاريخ والمستقبل، وإن أخوف ما أخافه أن يقال عني أنني عملت عملاً لايليق بآبائي وأجدادي. فأنا عامل بما هداني الله إليه استقلال بلادي وإعادة مجدها الغابر.

- نحن عرب قبل أن نكون مسلمين وإن محمداً لعربي قبل أن يكون نبياً نحن عرب قبل موسى وعيسى ومحمد.

- إن الإنتداب كلمة غير ذات معنى تحدد به والأمة ترفض الإنتداب رفضاً باتاً لا يقبله منها واحد يريد الحياة ... وإن قبوله عار لايمحى.

- نحن نريد أن ننشيء جيلاً جديداً يفهم واجبه ويعمل للمستقبل كما عمل الأجداد.

- إن المرأة لاتنشد السعادة إذا عملت خارج البيت. نحن نريد المرأة لواجبات أعظم من الحقوق والإقتصاد. نريدها للعمل في الميدان النسوي وفي التعليم وتدبير المنزل وتربية النشء والتمريض وبناء المستقبل.

- إن الحكم يقوم إما على المحبة أو على الرهبة وأنا أريده قائماً على المحبة.

- إن الديانات تأمر في الأرض بالأخوة واتباع الحق فمن يسعى لإيقاع الشقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي.

- إنني أقل الناس قدراً وأنقصهم علماً لامزية لي الإ الإخلاص.

- إن الفقر أكبر عدو لي داخلي للبلاد. وعلينا أن نستخدم كل قواتنا لمكافحته بما لايقصر عن مكافحتنا لأقوى الأعداء في الخارج.

- إنني أبذل قصارى طاقتي لأغذي في شعبي روح العظمة والإعتماد على النفس وأنا واثق من أنه لو منيت بلادي لاسمح الله باحتلال أجنبي جديد في

المستقبل لثارت كلها في وجه هذا الإحتلال كما أنها تثور في وجه كل حاكم غير عادل. هذه هي الروح التي أبثها في شعبي.

- هناك نقطة مهمة جداً في حياتنا القومية تتعلق بنفسية الشعب وروحيته يجب بحثها ومعالجتها بصورة حاسمة، هي ثقة الأمة بنفسها واعتمادها على ذاتها وتقديرها إرادتها.

- اليأس مرض نفسي هو أشد فتكاً بالأمم من أبشع الأمراض وهو إذا تسرب إلى أمة كان نذير هلاكها ودمارها والأمل مبعث العمل والنشاط وهو إذا دب في جسم المريض جعله قادراً على مصارعة مرضه والتغلب عليه.

- نحن في وطننا والبلاد بلادنا وحقنا في الحياة حق طبيعي يجب أن نمارسه حتى ولو لم يكن هناك من يعترف لنا به .

- الشعب وديعة الله في أيدي زعمائه فعليهم أن يحسنوا الإحتفاظ بهذه الأمانة ويحملوه على الإستفادة من الظروف السانحة والفرص المؤاتية.

- إنني أحب أن أضع الصحافيين في صف الزعماء وأطلب إليهم أن يتقوا الله في الواجب المقدس ولايتاجروا بمقدرات بلادهم.

Hamad Khalifa

ذكرى دخول العراق إلى جمعية الأمم
خطاب بليغ للفقيد العظيم
لااستقلال بدون قوة وعلم صحة وثروة

في الأسبوع الأول من العام الماضي أي في يوم ٤تشرين الأول سنة ١٩٣٢قررت عصبة الأمم قبول العراق في حظيرتها وإزالة الانتداب عنه والإعتراف باستقلاله. وقد كان الفقيد الغالي جلالةالملك فيصل ألقى خطبة بليغة في الإحتفال الذي أقيم ليوم استقلال العراق وذلك في حديقة "باب المعظم" في بغداد. وهذا نص الخطبة المذكروة:

أشكرالله وأهنىء نفسي وشعبي على هذا اليوم الذي فزنا به بعد جدال سياسي دام إحدى عشرة سنة بإحدى الأماني الكبرى التي كنا نصبوا إليها وهي الغاء الانتداب واعتراف الأمم بنا وبأننا أمة حرة ذات سيادة تامة، وأرى نفسي سعيداً أن اصرح بأن هذا الفوز لم يكن ثمرة جهد شخص أو أشخاص بل هو محصول سعي الأمة بأجمعها، حيث كانت في أثناء هذا الجهد مثإلاً للصبر والحكمة وطول الأناة ولم أر منها طُول مدة هذا الكفاح سوى المعاضدة والتباعد عن وضع حجر عثرة في السبيل الذي سرت عليه للوصول إلى هذا اليوم السعيد، هذا اليوم الذي أخذنا مقعدنا بين الأمم.

فلقد كان أفراد الشعب على اختلاف أحزانهم وعقائدهم يشدون أزري بجميع ما لديهم من قوة وكنت أرى من يتقلد زمام الأمر يكد في الكفاح تحت ضغط المسؤولية بكل إخلاص وأمانة.

أعزائي! لقد قطعنا هذه المرحلة المحفوفة بالمخاطر وها نحن الآن لعلى أبواب عهد جديد تتولى فيه بلادي المسؤولية التامة عن تدبير شؤونها وإدارة مقدراتها.

فإذا كان في مقدور البعض أن يتخذ من الوضع عذراً في الماضي عندما يتأخر عن القيام بالواجب، فقد أصبحنا اليوم أحراراً طليقين ،وقد أصبح مجال

العمل فسيحاً أمام الجميع، فمن تقاعس فلا عذر له بعد اليوم .

وليعلم أفراد الشعب بأن مستقبل الأجيال القادمة وكرامتها منوطان بما يقوم به في السنوات القادمة من الأعمال وليعلموا أيضاً أن الأمم التي دخلنا في مصافها سوف ترقب أعمالنا، فإما أن تحكم علينا بأننا غير صالحين لنكون أقراناً لها أو سيتحقق حسن ظنها بأننا أحفاد أولئك الأمجاد الذي أقاموا مدينة استنار العالم بضوئها المنير إلى هذا اليوم، فإلى التسابق في مضمار الرقي والتقدم أدعو جميع أبناء شعبي وليس ذلك على ماهو مشتهر عنهم عن النباهة والذكاء بعسير.

بنـــي وطني! علينا أن نضاعف الجهود في كافة أعمالنا وأن نتذكر دائماً أن أمامنا وجائب خطيرة لم تنل بعد قسطها الوافر من العناية، فيجب أن تتوفر مساعي الجميع إلى ما يحقق القيام بتلك الوجائب، وفي مقدمتها إعداد قوة تحمي ضمائرنا وتجعل أمتنا موفورة الكرام محترمة الجانب، ثم القيام بمشاريع عظيمة للري وإنشاء ما تحتاجه البلاد من خطوط حديدية وطرق ومواصلات أخرى، ونشر المعارف بين عموم أفراد الأمة، وتوسيع المؤسسات الصحية في جميع أنحاء القطر، إذ لا استقلال بدون قوة وعلم وثروة. سيكون كل ذلك بحوله تعإلى وبتكاتف أفراد الأمة واتحادهم ونبذهم كل حزازة أو انانية شخصية وتوجيه وجهة كل منهم نحو غاية مشتركة ومقدسة وهي خدمة الوطن.

فعلى كل فرد من أفراد الشعب أن يسعى جهده لتحقق تلك الغاية السامية، ومن تخلف عن هذا النداء فلا وطنية صحيحة له.

أعزائي! ستروني كما كنت سائراً بعون الله وتوفيقه بدون وجل أو تردد مستهدفاً تلك الغاية وطالباً من كل فرد من أبناء شعبي القيام بما يترتب عليه للوصول إليها. وإني لعلى ثقة تامة بأنهم سيعاضدونني بكل إخلاص وستضاعف هممهم وجهودهم في سبيل رقينا إن شاء الله إلى أبعد مدى من العمران والحضارة والله ولُي التوفيق..

وقبل أن أختم كلمتي هذه أرى من واجب إلاعتراف بالجميل أن أعلن للملأ ابتهاجي وأمنياتي العظيمين للمعاونات الثمينة التي نلناها من صاحب الجلالة الأمبراطورية الملك جورج وحكومته وشعبه العظيم وممن وجد في هذه المملكة في الحاضر والماضي من رجاله. تلك المعاونات التي أؤمل أن تدوم في المستقبل بإخلاص متقابل، كما أنني أعلن شكري للأمم المجاورة لنا لحكوماتها على ما اظهروه نحونا على نوايا حميدة وولاء قويم وأؤمل اكيداً بأننا سنبقى وإياهم جيراناً أصدقاء، وبالنهاية إنني اشكر رجال الدول الممثلة في عصبة الأمم والتي رحبت بنا وأدخلتنا في حظيرتها وأؤكد للعالم بأنه لاهدف لنا إلاّ السلم والخدمة البشرية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتبت جريدة " الديلي ميل" ما يلي:

آخر تصريح لجلالة الفقيد

برن: ٤ أيلول، لمراسلنا الخاص:

صرح لي جلالة الملك فيصل هذه الليلة عن أسفه على توسيع العداء والبغضاء نحوه ونحو بلاده على أثر اضطرابات الحدود الأخيرة مع الأشوريين. وبينما كان الملك يحدثني كان الملك علي المقيم أيضاً في برن للاستشفاء يمشي في الصالة جيئة وذهاباً مرتدياً لباسه الشرقي الجذاب وأما الملك فيصل فكان مرتدياً بدلة اعتيادية.

جلالته أثناء إدلائه بتصريحاته الشديدة التالية يصحب كلامه بضربات

" وأود أن اؤكد بصورة قطعية بأنه لا يوجد هنالك أي تعصب ضد الآشوريين في العراق. وإني لآسف جداً لما قد حدث غير أن هذه الشرذمة من الآشوريين التي لايتجاوز عددها ١٥٠٠ لم تكن لتقنع بما نستطيع تقديمه لها".

"ومن المؤلم أن يفكر المرء كيف أوربا تستطيع أن تصدق جميع الأقاويل المزعومة عن اضطهادها للأقليات.

إن كافة الأقليات في العراق قد عاشت مع بعضها برفاه واطمئنان منذ ألفي سنة حتى الآن. إن الكلدانيين مرتاحون وبطريركهم يتمتع باحترام من قبل كافة السكان".

"وإننا بمقتضى مشروع الإسكان قد قدمنا للآشوريين أراضي خصبة غير أن المنشقين أبوا أن يقبلوا بذلك. فهم يُريدون الاستقلال السياسي ومعنى هذا خراب البلاد بكاملها".

ثم رفع صوته قائلاً:

" إن واجبنا يتطلب حماية كافة الأقليات. ومإذا كانت تقوله الدولة الأوروبية ياترى لو أننا فشلنا في قمع الثورة ".

فتجاسرت أن أسأله قائلاً :

" إن هناك من يقول بأن شعور جلالتكم إزاء بريطانيا قد طرأ عليه بعض التغير منذ أن أستقل العراق ".

فأجاب جلالته بشدة" أن الحكومة البريطانية تعلم كل شيء عن ذلك. ولاشك بأن بعض الجهات لمنافع ذاتية في نفسها حاولت أن تعكر صفو العلائق الودية القائمة بيننا. غير إنني أستطيع أن أكرر بكل تأكيد بأن سياستنا هي تنمية وتقوية الصلات بيننا وبين بريطانيا خطوة فخطوة".

وحينما عاد الملك إلى موضوع الأشوريين تغيرت سحنته وقال" إن مثل الأشوريين بنظري كمثل ولد عاق أبى إلاّ أن يختار طريق الفساد بالرغم من نصائح أبويه".

وحينما طلبت الإستئذان من جلالته أضاف قائلاً بأنه ليس هناك ريب في عدم بقاء جلالته خارج العراق مدة طويلة وربما لم يتجاوز ذلك الشهر الواحد. وبعد استشفائه عند أخصائي شهير هنا سيذهب لمدة قصيرة في محل آخر في سويسرا ثم يعود بعدها إلى بغداد.

آراء كبار المفكرين والأدباء في
فقيد العالم العربي
فيصل بن الحسين!!..

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في سنة ١٩١٤م كان العراق وسورية جزءاً من المملكة العثمانية، لكن سورية كانت لقربها من البحر المتوسط واتصالها بالغرب وانتشار أبنائها في أوروبا وأميركا كثرت معاهدها العلمية فكانت أوفر نصيباً في الثقافة الحديثة، وقد لايكون للسوريين فضل خاص في ذلك سوى أن وضعهم الجغرافي جعل المدينة أقرب إلى سمعهم وبصرهم وليست بعيدة عن تناولهم، لاجرم أن العراقي كان في تلك الأيام إذا نزل دمشق يشعر بشيء من الإعجاب كما يشعر السوري إذا نزل القاهرة والمصري إذا نزل باريز (باريس) وفي السابع والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٠م أبلغ الحلفاء الأمير فيصلاً أن سورية والعراق أصبحتا دولتين اثنتين مستقلتين الأولى يساعدها هذا الاستقلال شيء يسمى " انتداب فرنسا" والثانية شيء يسمى " انتداب انكلترا" وفي شهر أب من سنة ١٩٢١م بويع الراحل العظيم مليكاً على بلاد الرافدين فما الذي استجد في ملكه من تاريخ هذا المبايعة المباركة إلى اليوم؟

١ـ زالت الحكومة البريطانية العسكرية المطلقة فحلت محلها حكومة العراقيين المدنية المقيدة.

٢ـ وجلا جيش إلاحتلال عن العراق حتى لم يبق منه لما زرت بغداد في سني ١٩٢٧ سوى ثمانمائة جندي هندي فقط .

٣ـ تمت وحدة البلاد السياسية وإلاقتصادية بعودة الموصل إلى أحضان العراقيين، وقبرت إلى الأبد فكرة فصل البصرة عن أمها وما يتبعها من تطبيق قاعدة " فرق تسد".

٤ـ صار للعراق جيش وطني من أبناء العراق له مدافعه ودباباته وطياراته، وحتى صارت الخدمة العسكرية إجبارية هناك فقد يبلغ عدده زهاء مائة ألف.

٥ـ نبعت الثروة من أحشاء الأرض فصارت الحكومة تتقاضى رسماً على مايسيل منها نصف مليون من الجنيهات في السنة.

٦ـ تدرجت المفاوضات السياسية الرسمية من معاهدة حتى ألغي الإنتداب، واعترف للبلاد بالاستقلال وصار ياسين باشا الهاشمي ونوري باشا السعيد وجعفر باشا العسكري يجلسون على مائدة عصبة الأمم إلى جانب توفيق رشدي باشا والمسيو بول بونكور والسير جون سيمون، وهاهم اليوم يقاضون فيها دولة من الدول المعظمة ويدفعون عن أنفسهم تهماً أوجدتها المطامع الإستعمارية البالية.

هكذا كنا في العراق وسورية وإلى هذه الدرجة وصلنا اليوم، وإذا استمر على هذا المنوال فبعد عشر سنوات سيدهش منا من ينزل بغداد دهشة من كان ينزل الشام من العراقيين منذ عشر سنوات، وستصدق نبوة من قال أن عاصمة الرشيد ستكون عاصمة بلاد العرب حقاً، إن هذا الإنقلاب هو انقلاب في الأسس وثورة في الأوضاع وقد لايشعر به كثيراً من يقيم في وسطه إلا إذا قدر له أن يرى بعينه البلدان المجاورة له، لأن راكب الطيارة لايقدر سرعتها وهو محلق في الجو ما لم ينظر إلى الأرض من تحتها.

إن هذا الطراز في الحكم قد انقضى عهده على بغداد منذ زوال آخر ملك من ملوك العباسيين فإلى من يرجع الفضل الأكبر بإعادته على هذا الشكل الحديث ياترى؟

لقد مر على علماء الإجتماع زمن أنكروا فيه قيمة الفرد الواحد في إحداث التطور الكبير، وجعلوا هذه التطور رهن التبدل الطارىءعلى فكر الشعب بمجموعه ومتوقفاً على مبلغ الثقافة القومية العامة، بحيث صار الرجل القائد بالغاً ما بلغ من السمو والتفوق لايعدو أن يكون رملة واحدة في كثبان من الرمل تسفوها الرياح، ولكن هذا كلام مبالغ فيه جداً، فحقائق القرن العشرين البارزة، مع كل ما اعترف به لمجموع الشعب من شأن، لقد أسمعت الصم وأرت العمي وأقنعت حتى الأغبياء بأن ايطاليا من غير موسوليني وتركيا من غير مصطفى كمال وألمانيا من غير هتلر هي بلدان تتخبط على غير هدى في الظلماء، وأن العراق من غير فيصل بن الحسين هو حقل تجارب لنظرية الإنتداب وما ترمي

إليه من بسطة واستعمار. وإنني مع كل إجلالي وإعظامي للموافقين والمخالفين في بلاد الرافدين والخدمات الجلي التي قدموها لبلادهم وللقضية العربية المشتركة أقول بصورة مجملة لولا فيصل بن الحسين والثقة التي أوجدها ماكان في العراق حكومة وطنية مسؤولة،ولا مجلس نواب يناقشها الحساب، ولولا فيصل بن الحسين والأمن الداخلي والخارجي الذي استتب على أيامه ماكان هنالك جلالة سيدنا حفظه الله ولاجيش وطني من العراقيين وفي العراقيين وللعراقيين، ولولا فيصل بن الحسين والكياسة التي أظهرها واللباقة التي تحلى بها ما كان هناك تدرج في المفاوضات وانتقال في المعاهدات، وقصارى القول لولا فيصل بن الحسين ماكان هناك استقلال .

إننا نعيش في مجتمع يكره عبادة الأصنام ولايحترم الأعزل من المزايا لمجرد آبائه وأجداده، ولا يعد التقرب ميزة تسبغ على صاحبها الجبة والطيلسان، ولكننا على التحقيق نعيش في مجتمع ينحني اجلالاً للبطل الصادق ويكبر المزايا اللألاء في الفرد العامل، وعنده أن لانجاة للأمم إلا بالأفراد الممتازين من أبنائها فهم أدلاؤها إذا حار الدليل وهم مصابحها إذا خيم الظلام، فيا ويح شعب تساوت فيه الرؤوس واختلط حابله بنابله ولم تعرف عامته من خاصته.

لقد جزعنا لفقد فيصل بن الحسين لأننا جزعنا على البناء الذي كان ركناً فيه أن ينهدم، وقد بكينا لفقد فيصل بن الحسين لأننا خشينا على الأسرة العربية التي كان واسطة عقودها أن تتشتت وقد غنمنا لفقد فيصل بن الحسين لأن الآمال الكبار التي عقدناها على حركته الدائمة تصدعت بسكونه الرهيب.

ولكن لا...لا... فنحن إنما نتكلم الآن على أثر الصدمة التي اصابتنا فجأة فزلزلت أركاننا، ومن النعم علينا أن لم يفارق هذه الدنيا حتى رأى بعينه البذور التي زرعها هو وأخوانه العاملون في الحقل العربي نامية تبشر بموسم عظيم، والحياة في الشعوب التي تنشد البقاء قوة لا تقاوم والحي مهما تكاثرت عليه الذئاب ليس له قاتل.

لقد مات فيصل بن الحسين فبكيناه وجزعنا لفقده ولكن لأمة العربية حية لن تموت.

ملك!!.

بقلم الأستاذ الدكتور طه حسين.

خرج من العراق منذ أشهر، وإن حياته الخصبة القوية لتملأ أقطار الشرق العربي كله، وأن جذوته الحادة الملتهبة لتؤجج في قلوب العرب جميعاً هذه النار المقدسة نار الوطنية الصادقة، والقومية الخالصة، والحرص على العزة العربية، وعلى إعادة ما كان للعرب من مجد أثيل، ولم يكد يصل إلى أوروبا حتى جعل نفسه وشعبه، وأمته، حديث الأوروبيين، حديثاً عذباً في اكبار واجلال، وفيه محبة ومهابة، وفيه آمال وفيه إشفاق. وماكاد يفرغ من زيارة ملك الإنكليز ويفكر في راحته حتى دعته شؤون العراق، ولم يكن ينتظر أن تدعوه، فأسرع إلى العراق مع الريح لا نستعير في ذلك ولا نعمد إلى المجاز وما هي إلا أن يبلغ العراق في أقصر وقت ممكن حتى يحسم الداء، ويرد كل شيء إلى نصابه هادئاً مطمئناً رزيناً ثابت القلب، مستقر النفس، لا تروعه الخطوب، ولايزدهيه الفوز، لايهمل الحوادث، ولاينثني عزمه أمام الخطوب ثم يعود إلى حيث كان في أوروبا لا ليستشفي ويستريح، ولكن ليعمل لشعبه أثناء الإستشفاء والراحة، ليلقي كيد الكائدين ومكر الماكرين، وقوةالأقوياء، وتألب المتألبين، بعزيمة ماضية لايخفيها الكبد لاتروعها القوة، ولا يعجزها أن تجد إلى النصر منفذاً مهما يشتد الحرج، ومهما يعظم الضيق.

وكانت نفوس شعبه كلها متصلة به، وكانت قلوب أمته كلها ملتفة حوله تذكره في أقطار الشرق العربي بأحسن ما يذكره الملوك، وتمده في مكانه الغربي بما شاء من قوة ونصر وتأييد. ولكن الشعوب مهما تحب ومهما تؤيد، ومهما تبذل من النصر والإمداد، فهي عاجزة عن أن تقهر الموت وإلى العراق وقد فارقته تلك الحياة القوية، وخمدت في قلبه تلك الجذوة الحادة وإذا هو جسم يحمل على الأيدي والأكتاف، ثم يوارى اليوم في جزء من الأرض، كما يوارى غيره من الناس.

سعيد حقاً من ظفر بمثل ما ظفر به فيصل من حب الشعوب وإيثارها ومن إجلال الأمم وإكبارها. ومن هذا الحزن الطويل العميق الذي لم يبق قلب من قلوب العرب إلا خفق به، وجزع له، ولا نفس من نفوس العرب الأ تفرقت له شعاعاً.

سعيد حقاً بين الملوك من يظفر بمثل ما ظفر به فيصل من الثقة في حياته والجزع لفقده بعد موته، فما أكثر الملوك الذين يحسبون انفسهم كباراً وما هم بكبار، والذين يخيلون إلى أنفسهم أنهم عظماء وماهم بعظماء. والذين يخدعون أنفسهم أم يخدعهم الناس فيعتقدون أن الشعوب تحبهم وتؤثرهم. وأن الأمم تجهلم وتكبرهم وهم لو نظروا إلى قلوب الناس لما رأوا حباً ولا إيثاراً، ولا أنسوا إجلإلاً ولا إكباراً، وإنماهو الخوف، والخوف ليس غير .

لاتكاد الحوادث تكاد، ولاتكاد العواصف تعصف، حتى يتبين هؤلاء الملوك ماكانوا يريدون لأنفسهم من مكانة في نفوس الشعوب، تعصف الحوادث العامة بهذا فينزل عن عرشه أو تعدو عاديات الأيام على هذا فيلحق بالدار الآخرة، فإذا الشعوب لاتحفل، ولاتأبه ولا يمس قلوبها حزن، ولاينال نفوسها يأس، وإنما هي معرضة لاهية إن لم تكن مبتهجة راضية.

رأينا ذلك في أوروبا منذ عصف العواصف بالعروش، ولكن الذي رأيناه وما زلنا نراه منذ عدا الموت على ملك العرب، وعظيمها، شيء آخر يباين هذا أشد المباينة، ويخالف هذا أشد الخلاف.

لقد تم اسبوع منذ نعي فيصل إلى الشرق العربي، فلم يهدأ حزن المحاربين وإنما ازداد عنفاً وشدة ولم يخف جزع الجازعين، وإنما ازداد بأساً وحدة، وإن في هذه الملايين من العرب التي قضت هذا الأسبوع في حزن ليس بعده حزن، وجزع ليس فوقه جزع، لأ تذوق النوم إلا أغراراً، ولاتعرف راحة ولااستقراراً وانما هو نحيب متصل نشيج لاينقطع إناء الليل وأثناء النهار، لدليلاً أوضح دليل، وحجة أسطع حجة على أن فيصلاً قد ظفر من شعبه وأمته بما لم يظفر به الملوك إلا قليلاً.

نعم وإن في هذه الوفود التي لاتحصى بالمئات والآلاف، وإنما تحصى بعشرات الألوف، ولعلها أن تحصى بمئات الألوف، والتي أقبلت من أقطار الشرق العربي يدفعها الحب والحزن، حتى احتشدت في حيفا تستقبل نعش فيصل بقلوب يحطمها الحزن، ونفوس يفرقها الأسى، لدليلاً أوضح دليل وحجة أسطع حجة على أن فيصلاً قد ظفر من شعبه العراقي، ومن أمته العربية بما لايظفر به الملوك إلاّ قليلاً.

نعم، وإن في هذا الشعب العراقي الذي لم يجمع على شيء إجماعه على هذا الحزن، ولم يطبق على شيء اطباقه على هذا الأسى، والذي ظل إسبوعاً كاملاً في شيء يشبه الذهول، لهذا النعي الذي لم يكن ينتظره، والذي يواري اليوم مليكه العظيم، وبوده لو استطاع أن يكون له فداء لدليلاً أوضح دليل، وحجة أسطع حجة على أن فيصلاً قد ظفر من شعبه بما لايظفر به الملوك إلا قليلاً. وأي غرابة في هذا، وأي عجب يثيره هذا، ففيصل من هؤلاء القوم الذين جعلهم الله للناس إماماً، وللعرب والمسلمين إعلاماً، والذي يصدق فيهم قول الشاعر العربي القديم:

اقلـــــوا عـليـم لا أبـا لأبيـــكـم	من اللوم أوسدوا المكان الذين سدوا
أولئك قـوم إن بنـــــوا أحسنوا البنا	وإن عـاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
وإن كانت النعمى عليهم جزوا بـــها	وإن أنعمـــوا لاكدروهـــــا ولا كـــدوا
وإن قال مولاهم عـــلى جل حـادث	من الدهر ردوا فضـل أحلامكم ردوا
يسوسون أحلاماً بعيـــــداً أنــــــاتها	وإن غضـبوا جاء الـــحفيظة والحقد
فإن الـشقي من تـعادي صـدورهـــم	وذو الجد من لانوا إلـــيـه ومن ودوا

وفيصل على هذا كله قد أيقظ نفوس العرب بعد نومها، وأحيا آمال العرب بعد موتها، ووقف حياته وجهوده على أن يرد للعرب عزتهم الشامخة ويشيد لهم مجدهم القديم، حارب حتى ظفر، وجاهد حتى انتصر، ولم تكن حربه بالسيف والسلاح وحارب بالبصرة والعقل، وأنفق في سبيل العرب عزماً نادراً وحزناً فذاً وآظهر في خدمة العرب سياسة باهرة رائعة لاعهد للعرب بها منذ أمد بعيد.

لم تفنه الخطوب، ولم تفل منه الحوادث، وكأنه كان يستحضر دائماً في نفسه وفي أثناء جهاده الطويل الشاق العسير، قول الشاعر العربي القديم، للعرب من حكمة بالغة باقية على مضي الأزمان والعصور:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصـــــرا
فقلت له لاتبك عيـــنك انمـــا نحـــاول ملكاً أو نموت فنقبرا

أو قول الشاعر القديم :

ولو أنما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلاً من المال
ولكنما أســـى لمجد مؤثـــــل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقد أدرك فيصل مجداً مؤثلاً حديثاً فأضافة إلى مجد مؤثل، حاول أن يقيم ملك العرب في الشام ولكنها لم تحل بينه وبين قلوب أهل الشام فهم بايعوه بالملك، وهم آمنوا دائماً بأن بيعته لازمة في أعناقهم، وهم يحزنون عليه اليوم كما يحزن عليه أهل العراق. فلما أعجزته أرض الشام وعاصمة الأمويين حاول أن يقيم ملك العرب في أرض العراق، هناك حيث الود المقيم لبني هاشم، وحيث الوفاء لأهل البيت فوفق فيصل إلى أن يقيم ملك العرب في عاصمة العباسيين، وكلت الأهوال والكوارث تحف بهذا الشعب العراقي الناهض، فإذا فيصل يسوسه ويدبر أموره، ألطف سياسة، وأحسن تدبير، وإذا هو ينتقل به من فوز إلى فوز ومن تفوق إلى تفوق، حتى تولى عنه الآن، وإن العراق لمكاناً في سياسة الشرق والغرب، ماكان يحلم بها قبل خمسة عشر عاماً.

لم يبخل فيصل على شعبه، ولا على أمته بجهد مهما يكلفه الجهد، ولم يفرض فيصل في سبيل شعبه، وأمته مشقة، ولا عناء مهما تكن المشقة ومهما يكن العناء. فأي غرابة في أن يلقى الشعب العراقي وتلقى الأمة العربية موت فيصل بهذا الحزن اللإذع العميق الذي لايظفر بمثله الملوك إلا قليلاً.

رحم الله فيصلاً، فقد كان على مكانته من العرب، وعلى ماظفر به من الفوز وما وفق إليه من النجاح أشد الناس تواضعاً، وأرضى الناس خلقاً وأقرب الناس إلى الديمقراطية الصحيحة وأعذب الناس حديثاً، وأصدق الناس تفكيراً، وأحب الناس للتجديد في غير إسراف، وللمحافظة في غير إغراق، وأعرف الناس بحاجة الشرق، وبما يعوق هذا الشرق من مصاعب، وبما يدخر هذا الشرق من قوة خصبة تضمن له التفوق والفوز.

تشرفت بلقائه منذ أشهر فتحدثت إليه وسمعت منه وقتاً قصيراً، فإذا نفس وادعة مطمئنة، وإذا قلب قوي، وإذا عقل قوي، وإذا عقل حصيف، وإذا رجل لم يزدهه الغرور، ولم يفسد عليه أمره، وإذا رجل لم يخفه ضعف الشرق، وتألب الأقوياء عليه، وإنما يتحدث بعقله، وقلبه جميعاً، والذي يعرف حق المعرفة ما يقول ويعرف حق المعرفة ما يأتي من الأمر.

فليحسن الله عزاء العراق، عن ملكها الفذ، وليحسن الله عزاء الأمة العربية عن قائدها العظيم وليجعل الله الشعب العراقي وللأمة العربية من هذه النهضة القوية المباركة التي تظللهما وتدفعهما إلى الرقي عزاء عن هذه الصدمة العنيفة القوية، وليجعل الله من الملك الشاب للعراق، والعرب خلفاً من فقد أبيه العظيم .

Hamad Khalifa

بقلم الأستاذ عبد الرحمن عزام

لاأظن أن المصريين سيصبحون على نبأ أثقل على الأسماع وأصدع للقلوب من ذلك النبأ المفاجىء بوفاة فيصل، ولا أظن أن ملكاً خارج حدود مصر يلقي موته في نفوس المصريين ما يلقي نبأ ملك العراق من اللوعة وخيبة الأمل، ففيصل هو الرجل الذي ظل في ميدان السياسة والجهاد العربي ٢٠سنة تعبس وتبتسم له الأيام، وتتناوبه الهزيمة والنصر، وهو في الشدة والرخاء فيصل ولا شيء غير فيصل لا يلينه الفشل، ولايعرف الوهن، ولايبطره النصر، ولايطغيه الفرح، وإني لأذكر إني دخلت عليه يوماً، وهو ملك وإني من العامة فهل تظن إني فكرت حين طلبت الأذن عليه في بزتي ولباسي، أو فكرت في حجابة ومراسم الملك، كلا ولم أكن صديقاً شخصياً ولا لي به علاقة عمل، وإنما رجل من الناس يعرف عنه الملك انه محب لبلاده مشاطر في السعي لعزتها فلقيته دون كلفة وبغير سابق موعد فتحدثنا كما يتحدث الأقران، وما كنت له من تواضعه إلا خادماً لايمانه وبحيث أخرجني من عنده أكثر واعية للملوك وأشد تعلقاً برأيه وولائه لشخصه مني لو أنه أحوجني إلى ماتقتضيه ابهة الملك من مراسم الأستقبال.

ولقد لقيته مرة أخرى إثر معاملة سيئة قصد بها قبل بضع سنين وخرجت من عنده وأنا أفكر ما قيل عن دهاء معاوية، وحلم معاوية فما بدا منه إلا أمر كريم على مانالة، وقصد بالحديث إلى المقصد الذي عاش له ومات وهو في سبيله.

وقد روى عنه شاعر العراق الرصافي هجاه فأفحش في هجائه وقال ضمن قصيدة:

وليس لهم من أمرهم غير أنه   يعد أياماً ويقبض راتباً

فما دخل به ياسين الهاشمي باشا على الملك ليصلح بينهما قال له الملك أنا الذي أعدد أياماً وأقبض راتباً فقال الشاعر هكذا يقولون.

فهل سمعت بملك يعامل أحد رعاياه بمثل هذا الحلم؟ ولم يكن فيصل في الحقيقة إلا بطلاً ممن تعد أيامهم في تاريخ النهضة العربية ومع ذلك لم تأخذ العزة من هذا الهجاء ولا غرو فإنه يريد طاعة القلوب لاطاعة الأبدان.

وأكثر الناس معرفة بفيصل لا يحدثونك عن أخلاقه الرضية وشيمه الكريمة إلا بما يثبت له في النفوس جلإلاً وفي أعماق القلوب احتراماً، يستمد كله من شخصيته الفذة ومن نفسه الكريمة الأبية، وقد اتفق عارفوه على أنه أوتي من الوفاء لمعارفه في أيام بلائه بل معارفه وأصدقائه في كل حياته، مالم يؤثر عن ملك من الوفاء وحسن العشرة ولين الجانب، بل لقد قيل عنه أن بعض من فارقوه في الرأي وانقلبوا عليه كانوا يتمتعون عنده بخطوة الصداقة التي لاتبلى في نفسه الكريمة.

وقد اتفق الناس على أن فيصلاً إنما أحيا مرة أخرى المأثور عن حلم العرب ودهاء العرب بجانب إلاخلاص وطيب القلب والتواضع فجمع بذلك في ذاته الكريمة صفات القرشيين جميعاً ما بين أمويين وهاشميين ولو مدت له الأيام لجمع في شخصه ملك دمشق وبغداد.

ولاشك أن التاريخ سيضعه في المقام الأول الذي ناله بالجد وصدق العزيمة وصالح الرأي، ذلك المقام المحمود الذي كان فيه شمساً مشرقة بآمال العرب في كل مكان ولاشك أن الوحدة العربية آتية، وأنه فيها صاحب الفضل الأول، وسيحيا بها حياة الخلود في تاريخ الأمة الخالدة بل في تاريخ البشرية.

وهو بين الرجال الموفقين، فقد مات في الساعة التي أجمع فيها الناس على فضله بل في الوقت الذي هتفت فيه البلاد العربية بخلافته فترك بذلك عرشاً ثابتاً وملكاً مدعماً وسنة حية في الذات والملك والحاشية والقصد في المظاهر مما يبقي تراثاً لملك العراق وأهل العراق هو التراث الذي تقوم عليه العروش الصالحة وترقي الأمم الناهضة.

إن ما أصاب العرب في فيصل لايسلي عنه شيء إلا ما يؤمل العرب في ابن فيصل مليك العراق الملك غازي.

ولا يلهم الناس شيئاً من الصبر إلا ما يعلمونه من زعماء العراق من صادق الرأي وافر الأخلاص، ولاشك أنهم وأمراء البيت الهاشمي سيغارون على ملء الفراغ الذي أحدثه غياب مؤسس الدولة العراقية ورسول الوحدة العربية.

لقد أدى الملك فيصل رسالته مشكوراً، وذهب إلى الخلود في جوار جده رسول الله، وبقي في الدنيا من أعماله دويّ يستمر أجيإلاً طويلة في آذان الأحياء ويضعه في مقام مؤسس الممالك من عظماء الرجال الذين تجود بهم الحوادث حيناً بعد حين.

Hamad Khalifa

الملك فيصل والنهضة العربية

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

عبر الملك فيصل بالقطر المصري مرات كثيرة بعد قيامه على عرش العراق، ولكني لم أره في مرة من هذه المرات ولا أعرف سيماه إلا من صورة في الصحف والكتب، وهي في جملتها تدل على سيماء إنسان حي من أصحاب الخلق والألمعية أو سيماء "شخصية "يحسب له حساب وتصلح للرئاسة ومعالي الأمور، وكل ما سمعناه من أخباره وصفاته يؤيد هذه النظرة وينم عل رجاحةٍ في الذكاء والأخلاق.

تولى ملك العراق وهو غريب عنه، وعن مذهب الكثرة من أبنائه، فلم تمض عليه فترة وجيزة هناك حتى استطاع أن يحكم الصلة بينه وبين الكثيرين من زعماء الأمة العراقية، وجعل لرأيه شأناً في سياسة تلك الأمة لايعتمد فيه على قوة واحدة دون سائر القوى أو على مرجع واحد دون سائر المراجع، ولا نكران أنه قد لقي الكثير من عون الإنكليز في بداية إلامر وشعر بالحاجة إليهم في مشاكله الأولى، ولكن نكران كذلك أنه قد حفظ لنفسه حقاً وارادة وعالج الشؤون العسيرة في مملكته علاج المقتدر المتصرف، فمن قا ل أنه لم يستغن عن سند إلانتداب في بداية الأمر لعله لايقول أنه كان آلة إنكليزية مفقودة المشيئة مجروفة في التيار.

وقد رزق هذا الملك الراحل مناقب شتى كانت ولا ريب نافعة له في سياسة بلده وتذليل صعابه فهو مخاطر وهو خبير بتأليف القلوب وهو على تلك الخليقة الرصينة التي تجمع الحزم إلى البساطة والفطنة إلى الصراحة وكل صفة من هذه الصفات لازمة لصاحب عرش العراق حين تولاه بين القلاقل والمنازعات.

وكثيراً ما تظهر هذه الصفات في صغائر الأمور كما تظهر في جلائل المطلوب بل هي الصغائر التي تبدي أحياناً على حقيقتها لأنها ترتجل الأعمال ارتجإلاً ولا تأخذها مآخذ التأهب والتحضير.

فركوبه الطيارة مع ما عنده من الأمراض وولعه بالألعاب الرياضية والفروسية ومعاشرته للناس من جميع الطبقات، كلها شواهد على مكان تلك الأخلاق فيه من التأصل وبُعد القرار، وهي على كل حال أخلاق لاتستغرب من سليل الأسرة العربية البدوية الذي تهذب في بيته وفي الدنيا واختبر الحضارات حيث تلتقي وحيث تفترق في أقطار مختلفة، فمن طبيعة البداوة المخاطرة والفروسية وتعويد الناس حرية المعشر وروح الإنصاف المألوفة بين عشاق الرياضة.

ولانظن "التيمس" تجامل وتحابي حيث تقول في رثائه أنه " كان المصلح الجسور والمقاتل الباسل في قوة ملاحظة وقدرة على سياسة وزارئه وتصريف الأحزاب السياسية وتوجيه حزب إلى حزب آخر" أو حين تعزو إليه الفضل في توثيق عرى الصداقة بين العراق وتركيا وفارس ومملكة نجد والحجاز، فما نذكر أن أحداً وصف الملك فيصلاً بما يناقض هذه الطبائع والسجايا حتى الأعداء الذين لايجودون له بالإطراء.

حدثني أديب سوري أنه حين التقى بالملك ابن سعود خطر له أن يدخن لفيفة وذكر أن التدخين حرام في مذهب الوهابيين فقال للملك الوهابي وهو يمزح : لقد بقيت مشكلة يا أخي نود أن نتكلم فيها الآن... فهل تأذن في الكلام فيها؟

وسبق إلى ظن ابن السعود أن فيصلاً يريد التطرق إلى إحدى المعضلات السياسية التي لايسهل التسامح فيها على ملك النجدين فقال ضاحكاً: بل الأفضل أن نرجئها إلى وقت آخر.

فلم يسع الملك فيصلاً إلا أن يتمهل حتى سنحت له فرصة للاستئذان فخرج يدخن بعيداً عن الملك الوهابي ثم عاد إلى لقائه بعد الفراغ من التدخين ! فلما سمع ابن سعود بالخبر أكبره وكان له أبلغ الأثر في التقريب بين العدوين القديمين.

ومثل هذا الخلق المهذب حري أن يكسب صاحبه المودة ويؤلف حوله القلوب ويعينه على تذليل المشكلات.

وسيذكر العالم العربي لملك العراق الراحل المشكور في إنهاض الدعوة العربية وحث العزائم على إحياء جامعة العرب ومن طريق الأدب والسياسة.

فلا ريب أن وفاة فيصل خسارة كبيرة على هذه الدعوة يعز احتمالها لولا أن الرجاء في تعويضها غير ضعيف، فقد نشأ ابنه وخليفته على آسال من أبيه وأحاط به رجال يؤمنون إيمانه ويعملون عمله، ولايخلو قطر عربي من دعاة أشداء يسهرون على إذكاء الهمم وتقريب الغاية، فما نخشى على الدعوة العربية المباركة إذن إلا من غلاة المتنطعين في الدفاع عنها والغيرة عليها ومن التنطع بلا مراء أن يغضب انسان على المصريين لأنهم يحرصون على تاريخهم ويعتزون بأصلهم ولا يبرأون من جنسهم فإن المصريين إذا ذكروا أعراقهم فليس معنى ذلك أنهم ينسون الأواصر العربية أو يسيئون إلى تاريخ العرب وآمال العروبة، بل يسيء إلى المصريين حقاً من يحسبهم مضطرين إلى التبرؤ من جنسهم والأنفة من ماضيهم فليس في هذا كرامة لأمة ولاكرامة لجامعة تنطوي فيها هذه الأمة.

إن الجامعة العربية لأكبر وأوسع وأكرم من أن تكون جامعة لحم ودم وقرابة عمومة أو خؤولة... إنما هي جامعة ثقافة ولغة ورجاء، ومإذا يضيرها ذلك شيئاً وإنما يضييرها أن تتنافر على التاريخ وتتنابذ بالأصول وتنسى أن المستقبل هو الأمل المطلوب الذي يجمعه الرجاء لاتفرقه الذكريات.

سلام على الملك العربي الفقيد وعزاء للأمم العربية فيه، ورجاء في مستقبل الجامعة العربية لايغض منع اختلاف التاريخ ولا اختلاف الأجناس.

الملك الشهيد

الأستاذ أحمد حسن الزيات

في ليل يوم الجمعة الماضي سكت في برن قلب الملك فيصل وما كان في حسبان أحد في دنياه أن هذا القلب الذي يجيش بالحياة وينبض بالأطماع ويستخف بالأمور الجسام يسكت في وحدة الغريب، ووحشة الليل الرهيب هذه السكتة الفاجئة!!

فلما نعاه البرق إلى الآفاق فزع الناس إلى الشك يدافعون به هول الخطب، ورجم بعضهم بالظنون يعللون بها بغتة الحادث، وتعذر على العقل أن يفهم الموت مقروناً إلى فيصل (صقر قريش) وقد كان إلى أمس يقطع عزمه الجبار أجواء الشرق والغرب حاملاً في يمناه العراق، وفي يسراه سوريا، وفي قلبه (دولة العرب) !!ثم انجلى الشك وانجابت الظنون فإذا العراق وإذا سوريا وإذا العرب أمام الفاجعة التي روعت النفوس وضرمت الأنفاس وقوضت حصون الأمل.

لم يجزع العرب حين نعى إليهم فيصل على نفس كسائر النفوس تغوص في لجج العدم، وإنما جزعوا هذا الجزع الهالع على آمال أمة، وجهود نهضة ومستقبل فكرة، لأن ملك العراق كان مناط هذه الآمال، ومبعث هذه الجهود، وعدة هذا المستقبل .

ومن العجيب أن يكون مصدر هذا الجزع كثرة الزعماء الأكفاء لا قلتهم ! فإن هذه الكثرة كانت دائماً وبإلاً على وحدة العرب إذ لم يقم على رأسها زعيم يعتمد في قيادتها على سلطان الدين وشرف النسب، وقد اجتمع للملك فيصل مع هاتين القوتين عقل كيس، وخلق نبيل، ونفس طموحة، وجاذبية قوية، فلا جرم أنه كان رجل الساعة لهذه الأمة الناهضة يجمع كلمتها حول رأيه ويوحد وجهتها وراء خطاه!

عرفت جلالة ملك العراق أثناء مقامي في بغداد معرفة وثوق وخبرة، وكانت حال البلاد في ذلك الحين محنة ابتليت بها كفاية الملك النابغ: فالانتداب كان قبل الملكية يعمل في العلن ويحمل التبعة، فأصبح بعدها يعمل في السر ولا تبعة عليه، والحكومات كانت يومئذ بادية البلى ممزقة الجوانب لاتستطيع بخروقها أن تستر العرش.

فالملك بحكم الوضع كان يستر الإنكليز، ولكن الوزارة بحكم الضعف كانت تكشفه. فكانت أوزار أولئك وأخطاء هؤلاء تحمل في رأي المعارضة والشعب على الملك، وكانت البطانة بعبثها تنقض ظالمة على جد البلاط ووقاره شيئاً من العبث، والشعب العراقي على اختلاف منازعه وعقائده وأجناسه ناقد متمرد طموح لايصبر على نقض، ولا يغفل عن خطأ. فقدر في نفسك كيف كان مصير الملك لوكان غير فيصل!

اضطلع الملك فيصل وحده بأعباء الملك والحكم والزعامة في هذه الحال المضطربة، فكفكف بحكمته من شره إلانتداب، وخفف بحكمته من عسف الوزارة، ولطف بحلمه من غضب الشعب وصرف شؤون الدولة على قدر ما يسلم الرأي الحصيف من خبث إلاستشارة وضعف الوزارة، ثم سهل حجابه لأمراء العشائر ورؤساء الطوائف وزعماء الأحزاب فاستل ما في صدورهم بالقول اللين والعتاب الهين والشخصية الجذابة، حتى كان الرجل منهم يدخل قصره وهو عليه فلا يخرج منه إلا وهو له، ثم نظر خارج العراق فرأى على حدوده دولاً يتنزى في صدروها حقد الماضي وطمع الحاضر، فزار تركيا وفرنسا وايران فأحال عداءها إلى صداقة وجفاءها إلى مودة، ثم اجتمع بملك الحجاز وأوفد إلى إمام اليمن فأحكم أواخي المودة بينهما وبينه ثم هداه تفكيره العملي المرن إلىأن يعالج إلانتداب بالمسالمة والموادعة حتى انتهى به إلى نوع من الاستقلال بحفظ الكرامة ويعين على النهوض.

دخل الملك فيصل العراق دخول الإمام الحسين! لامال أمامه ولاجند خلفه! ولكن الحسين جرى على سياسة علي فهلك، وجرى فيصل على سياسة

معاوية فملك !

ثم اعتمد في تأثيل ملكه وإنهاض شعبه على الإخلاص العامل والجد النزيه، وتحامل في ذلك على دمه وعصبه وروحه حتى ذهب فيصل شهيد الواجب كما ذهب الحسين شهيد الحق!

كان الملك فيصل الأول ملكاً من طراز خاص، ولعله كان أقرب إلى خلفاء الصدر الأول منه إلى ملوك اليوم! كان ناصع الظرف، جم التواضع، رحب الأناة، ظاهر الوداعة، زاهداً في أبهة الملك، عازفاً عن مظاهر السلطان، فلا يخدع بتحية ؛ ولايمشي في حرس ولايتشدد في حجاب.

وكان من أجمل مظاهر ديمقراطيته الأصلية أن تراه غالباً في شارع الرشيد أو في طريق الصالحية يقود سيارته بيده، ويشق طريقه بنفسه دون ربيئة من خلفه ولا طليعة بين يديه، فيسبقه أي سابق ويزاحمه أي سائق!

وقد تنكر ذات صباح إلى مدرستك أو ديوانك فتراه في ذرور الشمس قد طلع عليك بوجهه العربي المسنون، وقده السمهري الممشوق، ورشاقته الرياضية البارعة فيسلم عليك ويتحدث إليك، ثم يتعهد المكان ويتعرف العمل، ويودعك بابتسامته الرقيقة وملحوظته الدقيقة.

ودعا مرة مؤتمر المعلمين العراقيين إلى الشاي في حديقة قصره، فكان يجلس إلى كل منضدة من المناضد الكثيرة جلسة يفاكه أهلها بحلو الحديث ويناقشهم في وجوه الإصلاح، ثم خطبهم في شؤون التعليم خطبة جامعة تمنى في سياقها أن يكون معلماً مع المعلمين يؤدي إلى الأمة هذا الواجب المقدس. وفي صباح أحد الأيام عدا على المدرسة المأمونية الإبتدائية فقضى ردحاً من الزمن فيها، ثم سجل اسمه في ثبت مدرسيها.

كان الملك فيصل في العراق ملك دولة، ورئيس حكومة، وزعيم أمة، وهو في الأقطار العربية مؤسس نهضة، وممثل فكرة ورسول وحدة وداعية سلام ومعقد الأمل!

فإذا هفت النفوس جزعاً لفقده، واستولى على العرب الوجوم والحسيرة من فقده فإن في منطق الحوادث وطبيعة الأمور ما يسوغ هذه الجزع ويعلل هذه الحسيرة.

ألهم الله الأمة العربية على جلالة ملكها فيصل أجمل الصبر وجعل لها في جلالة ملكها غازي خير العوض!

Hamad Khalifa

فيصل العربي الثائر
هدفه الأسمى في سياسته وملكه

بقلم الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

يعلم الجميع الذين عرفوا المغفور له فيصلاً الأول ملك العراق أن الهدف الأساسي الذي وقف نفسه على بلوغه هو تحرير البلاد العربية كلها واستقلالها.

وكان الهدف ماثلاً أمام عينيه في جميع أعماله ومساعيه السياسية في الداخل والخارج، وعليه قامت المملكة العراقية الفتاة ورأينا اللغة العربية والتربية العربي والفكرة العربية والسياسية العربية تتخلل كل ناحية من نواحي النشاط العقلي والسياسي، حتى أن التشريع في العراق كان مؤيداً لهذه القواعد العامة التي شيد عليها الملك فيصل دولة العراق. وكان جلالته لايمتنع من التصريح في كل فرصة مناسبة بأنه عربي ثائر قبل كل شيء، ولهذا لم يكن يحجم عن إلاجتماع بممثلي الجرائد والإفضاء إليهم بالأحاديث السياسية وإلقاء الخطب في سياسة الدولة العامة والقواعد التي بنيت عليها ومن من الناس لايذكر خطبته السياسية الكبيرة التي ألقاها منذ عامين في بغداد وبسط فيها المحور الذي تدور عليه سياسته في البلاد العربية كلها لا في العراق فقط. وقد قيل في ذلك الحين أن فيصلاً أول ملك يتكلم في السياسة العامة بمثل هذه الصراحة.

لقد أدرك الملك الراحل أنه لايستطيع أن يجعل مكة محوراً لسياسته العربية لبعدها عن إلاتصال بأجزاء العالم العربي ولما عليه الحجاز من التأخر العلمي والعمراني، فحول وجهه إلى الشام وأراد أن يحذو حذو معاوية بن أبي سفيان بتأسيس مملكة في ذلك القطر فدخل دمشق بجيشه واستقبله أبناء الشام جميعاً بقلوبهم، وشرع في تأسيس الملك الذي أراد به أن يكون قاعدة لتحرير البلاد العربية. وحاول في رحلتين متواليتين إلى أوربا أن يتفق مع الإنكليز والفرنسيين على تأليف مملكة تشمل سوريا كلها من جبال طورس إلى حدود مصر ولكنهم

راوغوه وخذلوه. فعمد إلى إحداث الأمر الواقع وأعلن استقلال تلك المملكة بواسطة مؤتمر سوري وشرع في تنظيم جيش قوي وأعلن الخدمة العسكرية الإلزامية وشرع في سك العملة السورية الجديدة.

ولكن لم تكد هذه المملكة الفتاة تشب عن طوقها حتى خرج فيصل من دمشق والدموع ملء عينيه وعزمه على الجهاد أعظم مما كان في كل زمن مضى.

ومرت الأيام وأصبح فيصل ملكاً على العراق فعمد إلى العمل بقواعد السياسة التي بني عليها ملكه السابق في سوريا. وكان بين أعوانه كثيرون من الذين ساعدوه على تأليف ذلك الملك واستفادوا من عظات الماضي، فمضى في طريقه ينظم من العراق دولة جديدة، واصطدم في أثناء حملته بمطامع الإنكليز وسياستهم فجعل يذلل العقبات التي قامت في سبيله واحدة بعد أخرى إلى أن استطاع الغاء إلانتداب عن العراق وإدخاله جمعية الأمم دولة مستقلة. وعقد مع الإنكليز معاهدة تحد جانباً من جوانب السيادة العراقية ولكنها لاتمنع العراق ولاملك العراق من بلوغ الهدف المنشود. وكان السعي مبذولاً في العهد الأخير لادخال تعديل في هذه المعاهدة فلاشك أن الملك غازي يسير في الطريق ذاتها حتى النهاية.

وكان من المقرر في ذهن الملك الراحل وجميع أعوانه الأخصاء أن الجهود يجب أن تتحول بادئ ذي بدء إلى استكمال تنظيم العراق واستقراره سياسياً وعسكرياً تمهيداً للشروع في الخطوة التالية التي هي تحرير البلاد العربية. وشعر الملك أن من عوامل هذا إلاستقرار إنشاء علاقات ودية مع الدول المجاورة فلم يجد بأساً في إلاتفاق مع الملك ابن السعود وانشاء صلات ودية معه، مع أنه كان قد أخرج والده من الحجاز وطن آبائه وأجداده منذ أقدم الأزمنة واحتل ذلك القطر وشرد أفراد العائلة الهاشمية. ثم أن الملك فيصلاً عمد إلى تذليل المتاعب التي كانت موجودة بين العراق وتركيا فانتهت مساعيه بمعاهدة حلت بها مشكلة الموصل وسويت الحدود وخططت نهائياً، وزار الملك فيصل أنقرة واجتمع بالغازي مصطفى كمال اجتماعاً وضعت به قواعد التفاهم بين العراق وتركيا لا فيما

يتعلق بالمسائل التي تخص المملكتين فقط بل فيما يتناول المسألة العربية أيضاً.

وتحولت أنظار فيصل في الوقت نفسه إلى جارته ايران فعمد إلى حل المشاكل التي كانت بينها وبين العراق وذللها واحدة بعد أخرى، ثم زار مملكة الساسانيين واستقبل فيها استقبالاً لم يقع مثله لملك صديق قبله، واجتمع بجلالة الشاه مؤسس إيران الجديدة ووضع العاهلان قواعد التفاهم بين مملكتيها وعهدا إلى الخبراء والفنيين في وضع التفاصيل التي تؤدي إلى عقد صداقة متينة بين الدولتين وظهر أثر هذا التفاهم في ظروف عديدة بالتعاون الفعلي على الحدود بين قوات الدولتين لقمع الفتن وأعمال العصيان التي كان يقوم بها الأكراد بين حين وآخر.

ويعرف الذي كانوا على صلة بمناهج العراق السياسية أنه كان من المقرر أن تكتسب سياسته العربية نشاطاً قوياً جديداً بعد أن تتوفر له عوامل إلاستقرار كلها ويتم تطبيق الخدمة العسكرية الإلزامية وتأليف جيش قوي في العراق قادر على صيانة حدوده من كل اعتداء. وقد ترك فيصل مشروع قانون الخدمة العسكرية الإلزامية في البرلمان وترك العلاقات الودية وثيقة بين العراق وجيرانه. وترك القواعد الأساسية التي تبني عليها سياسة العراق العامة تحت الدرس والبحث في بغداد. ولم تجر الأقتدر بأن تفسح في أجله إلى أن يتم الرسالة التي وقف نفسه لإتمامها فآمال العرب معقودة الآن على أن يكمل إبنه الملك الجديد الذي لم يساعد القدر والده على إتمامه.

العظيم الذي رحل!...

بقلم الأستاذ فكري أباظة

كنا جلوساً في القهوة نتسامر ونتنادر ونضحك. فمر بائع الجرائد ينادي على"الجورنال دي كير"وقد واجه الجالسين بعنوان أسود غليظ لمحه الأستاذ الكبير"وهيب بك دوس"عن بعد وإذا به يضرب كفاً صائحاً:ماهذا ؟! إن "فيصلاً قد مات !!!"

اختطفت الجريدة من البائع وقرأت على الأصدقاء النبأ المشئوم فوجمنا جميعاً وأجزعنا جميعاً ومرت فترة ذهول وحسرة ووجيعة. وما كنا بالعراقيين ولا بالهاشميين ولكن كنا، ولا زلنا، وسنظل إلى الأبد، نحس قرابة العربية، وقرابة الشرقية، وكنا لا زلنا وسنظل إلى الأبد، نقدر للعظيم عظمته وللجليل جلاله، وللملك الصالح ولاءه لشعبه، ووفاءه لرعيته!..

العظيم الذي رحل مثل شرقي رائع، وتاريخ قومي جامع، وشخصية عنيدة جديرة بالدرس والتحليل في المدارس، وليس هو ملك العراق فقط، وإنما ملك الشرق بأسره. ضرب في نواحيه الواسعة، ومساحاته الرحبة، وحدوده المترامية الأطراف، أنبل الأمثال، في الصحراء القاحلة، وفي المعمورة الفيحاء، فبرهن على رجولة جبارة، وذهن متقد، وحنكة ترتفع عن مستوى حنكة دهاة الغرب وساسة العالم المتمدنين!..

العظيم الذي رحل جدير حقاً بالدرس والتحليل كرجل سياسي نبت في الصحراء فاستقبلته الأعاصير والعواصف والحروب، فما لان عوده وما انكسر، ثم انحدر إلى الشام فاستقبلته الأعاصير والعواصف فما لان عوده وما انكسر، ثم صعد إلى العراق فاستقبلته الأعاصير والعواصف فما لان عوده وما انكسر .

حتى دق القلب دقته، وقال القدر كلمته، فمات بعد أن ملأ الدنيا ضجيجاً وعجيجاً، وبعد أن دوى دويه في الشرق والغرب، وبعد أن سجل في سجل " عجائب

الرجال" اعجوبته.

هو الحركة الدائمة في الصحراء محارباً ومدبراً وعماداً لبيته ولأبيه. وهاهي السياسة تغدر بالبيت وبالأب رويداً وهو في الشام يحمل أثقل التاج المزعزع فلا يشتري تاجه بالخضوع والالتواء التواء وانما يشمخ الهاشمي الأصيل بأنفه الى السماء، غدروا به الساسه خذله إلاستعمار، وتقذف به القوة، ولكن لا إلى الحضيض فإن العظماء حيث يقذف بهم لايسقطون في الهوة وإنما يرتفعون. وها هو عرش العراق قد أعده الرجال للرجولة، وها هي تاج العراق قد نفذت أشعة لآلئه الكريمة تستقبل الجديد بتاج العراق!...

ويستوي الملك العظيم على العرش العظيم، فإذا به يكتنفه إلاحتلال الإنكليزي، وإذا به تكتنفه نفوس مضطربة واجفة طامعة في الملك، وإذا به في جو ثائر يهز عرشه هزاً ويهدده تهديداً. هنا يتجلى جبروت الحكيم الداهي فيسلط حكمته على الإستعمار المسلح، وعلى الدسائس والأطماع، فإذا ما هدأ الحال جرى على الأرض، وطار في السماء، وعبر البحر، يسعى بنفسه لخير رعيته، ويستخلص لشعبه بالجهد العنيف عناصر الحياة، وقد نجح العظيم الذي رحل، وقبضت العراق الثمن من دمه، وروحه وحياته!....

في فندق "سميراميس" في عام من الأعوام قيل لي أن " فيصلاً العظيم" يود أن يراك. فطرت إلى الفندق وأنا متهيب لقاء الجبار رجل الحرب ورجل السلم ورجل البناء والتشييد!..

وأدخلوني إلى غرفة إلاستقبال فإذا بالعظيم يقبض على يدي بيديه بحنو غريب وعطف كله وجدان... وإذ بابتسامة وديعة قد ارتسمت على شفتيه، وإذا بي أشعر بأني في حضرة صديق من زمن بعيد..

قال الملك، أنا سعيد بلقائك. وأكون أسعد حالاً لو أهديتني مجموعة مقالاتك التي لها مكانة عندنا في العراق.

قلت يامولاي إن هذا لكثير، إنه لشرف عظيم، وسأفعل بكل إجلال وامتنان.

وكنت في الواقع كإذباً في وعدي. وبدا على إلارتباك واضحاً. فمجموعة

المقالات كانت تتضمن في بعضها طعناً مراً في "الملك حسين" فما لبث جلالته أن لمح ارتباكي فقال بأسلوب الساسة الكبار: أرسلها ولاتقطع من أوراقها شيئاً فسأتبع تسلسل نمر الصفحات. ولايضيرك أن تكون ذا رأي في الناس فأنت حر وأنا أقدر حرية الرأي!..

لو كان"فيصل"خشناً غليظ الطبع لانفض الناس من حوله. ولما اهتزت قلوب العالم بأجمعه حين سقط عليهم خبر الرحيل. ولما جذب النعش التاريخي وراءه الآلاف والملايين...

هذا هو أثر الملك الصالح. وتلك هي سيرته. عاش للشعب، ومات في سبيل الشعب، فأكرمه الشعب حياً وميتاً، فلبيك الشرق المنكوب.

Hamad Khalifa

في حضرة جلالة الملك فيصل

من مذكرات الأستاذ فارس بك الخوري
الثلاثاء في ١٨آب سنة ١٩٣١م

مساءأمس وصل جلالة الملك فيصل إلى باريز(باريس) وحل مع رجال حاشيته في نزل ماجستيك، وهذا الصباح بمقابلته في صالونه الخاص، وبعد أن حياني تحية ودية ملؤها العطف والإشراق قال:

"إنك يا فارس لم تتغير فما زلت كما تركتك منذ اثني عشر عاماً".

قلت: والباطن يا سيدي كالظاهر فإنني مازلت على ماتعرفني. قال بارك الله فيك هذا ما آمله من مودتك وإخلاصك. أما أنا فقد تبدلت بالشيب الكثير، قلت هذا غبار وقائع الدهر ولا عجب من البياض وإنما العجب من بقاء السواد بعدما لقيتموه من العظائم والأهوال. فهش لذلك وبش، وانتقل إلى البحث السياسي فقال:

" أنت تعرف إخلاصي لسوريا ودرجة حرصي على منافعها وحقوقها، ومع أني اليوم متسم بسمةٍ أخرى هي ملكية العراق فإني مازلت أفكر بسوريا وأتحين كل فرصة لخدمتها وإبلاغ أمانيها. خرجت منها سنة ١٩٢٠ ولكني لم أنسها.

" إلافرنسيون غاضبون وأما أنا فاغتنمت كل فرصة لإصلاح ذات البين معهم وإحداث علائق جديدة تمكنني من استرداد صداقتهم لعلي أتمكن بذلك من خدمة سوريا، وهذا لأنني أشعر بالأخطاء التي ارتكبناها قبلاً عندما لمن نقنع بسوريا فقمنا نطلب غيرها فاضعنا ذلك الغير وسوريا معاً، والرجل المسؤول لايجوز له أن يتمسك بأكثر من الممكنات فيضيعها. عندما نزلت العراق بدأت أعمل لخيره واستقلاله وسوريا أيضاً والبلدان عزيزان عليّ لاهم لي إلا راحتهما واستقلالهما.

"وأخيراً سنحت الفرصة وظهرت قضية النفط فاتفق الإنكليز مع الفرنساويين عليها ونسوا أن هناك العراق يطالب بحقوقه فيها وعندما جعلتهم يفهمون أنهم لايستطعون شيئاً بدون موافقة العراق بدأ الفرنساويون يتقربون مني ويخطبون مودتي فانتهزت هذه السانحة وقلت الآن في يدي شيء يمكنني أن أغالي به وأنال لسوريا شيئاً بسببه.

" أنا لم أفكر قط بالعرش وتاج في سوريا لأحد من أخوتي وإنما هدفي الأسمى هو استقلال هذه البلاد الغالية على ونيل حقوقها.

" عندما جاء أخي علي السنة الماضية إلى عمان جاءني ليبسيه (قنصل فرنسا في بغداد) وقال لي ألا ترى من المناسب أن يزور الملك علي سوريا لأجل تحسين الصلات بينكم وبين المفوضية؟ قلت لايزورها إلا بدعوة منها فدعي ومر بدمشق إلى بيروت وتبادل الزيارة مع المفوض السامي بدون أن يفتح بينهما أي حديث سياسي، ويشهد الله أني حذرت من الدخول بأمر الملكية إذ نحن الآن في واد آخر وغرضنا الأول هو تحقيق الأماني القومية السورية وابلاغ البلاد حقوقها وتبقى مسألة نوع الحكم للسوريين أنفسهم يقولون بها ما يريدون.

" ماهي الفائدة الآن يافارس من الجمهورية والملكية مادامت البلاد تحت هذا النوع من الحكم؟ ألايكون الرئيس ألعوبة في أيدي الفرنساويين يجرون على منصبه مساومات ومناورات كل ثلاث سنين وهو بلا حول ولا طول ألايكون الملك الذي ينصبونه آلة في أيديهم يديرونها كيف شاؤوا؟

"يسوءني جداً أيها العزيز أن أسمع أن بعض أصدقائي في سوريا يتهمونني بالمساومة على حقوق بلادهم لإيجاد عرش لأخي علي وهم يعرفون جيداً أني بعيد عن هذه الأنانية والنفعية وقد أثرت بي هذه الأقاويل حتى كدت أنفض يدي من القضية السورية.

" العراقيون يقولون ولهم الحق أن يقولوا لماذا يترك ملكنا مصالح العراق ويهتم بغيرها؟ فإن كان موقفه بسبب النفط الذي أصبح صالحاً للاستغلال فيجب أن يستغله لمنفعة العراق. والسوريون يقولون لماذا يتدخل فيصل بشؤوننا.

أفلا يجدر بي إذا أن أتخلى عن هذه التجارة الخاسرة وأنا لا أريد وأنا لا أريد إلا الخير للعرب.

"عندما جئت إلى برن دعاني إلافرنسيون لزيارة باريس لأجل المعرض وأنا الحَظ قد يفاتحونني بالقضية السورية فهل غذا فاتحوني بها أجول معهم واستطيع أن اعتمد على تأييد الوطنيين السوريين في ماقد أصل إليه من الحلول؟

"الفرنسيون يريدون أن يكون أمامهم شخص مسؤول أو هيئة مسؤولة يفاوضونها ويتفقون معها فأين هذه الهيئة أو ذلك الشخص ؟ وإذا توصلت معهم إلى نتيجة معقولة فمن الذي يتعهد بتنفيذ هذا العمل؟ أنا مرتبط رسمياً بالعراق وليس لي صفة رسمية في سورية فلا أستطيع أن ارأس العمل التنفيذي، فما هي الوسيلة إذن لإنقإذ الخطة التي قد نصل إلى الاتفاق عليها؟

" تكلم معي شكيب (ارسلان) وإحسان (الجابري) في جنيف وألحَّا علي بالتوسط لسوريا وإلاستفادة من الظروف الحاضرة وأعطياني مذكرة تضمن مطالب السوريين وأخبراني أنك متفق معهما على جميع ذلك. أنت تذكر أيام جوفنل وكيف كانت المطاليب التي قدمت له في القاهرة سبباً لقطع المفاوضات. نحن لانريد إلا أن نعود إلى مثل ذلك.

"العراق بلغ ما بلغ بالمعاهدة الأخيرة بعد جهاد سنين والتنقل بالحقوق وإحرازها درجة درجة، فسوريا ليس فيها الآن جيش يضمن الأمن الداخلي فكيف ترضى فرنسا بالتخلي عن مسؤولياتها قبل أن يكون عندكم جيش وأنت تعلم أن تنظيم الجيش يحتاج وقتاً.

"أنا مستعد أن أغمض العين والأذن عن أقاويل بعض السوريين واتهامهم أياي بالمساومة وأستطيع ذلك وها اني تقربت من عبد العزيز ابن سعود وتوددت إليه متغاضياً عن الماضي القريب وما ذلك إلا لأجل خير العرب وخدمة أمتي .

"سوريا أرقى من العراق وأجدر بالاستقلال لولا بقينا بها نعمل معاً لكانت اليوم قطعت شوطاً بعيداً.

" ثم ماهو موقفكم تجاه حدود سوريا خصوصاً لبنان فإننا لانستطيع أن تجاهل هذا البلد واستقلاله ولا أن نصر على ضمه لسوريا فإن مثل هذا الإصرار قد يكون سبباً لفشلنا"

هذه خلاصة حديثة هذا الصباح وقد كان يفصل كل نقطة من نقاطه بعبارة مرتبة وأفكار مسلسلة مشبعة بالرؤية والأرصان كما هي عادته في جميع أحاديثه السياسية وكانت أمائر الإخلاص والتجرد تنبعث من كل كلمة من كلماته.



الفيصل الماضي

كلمة عطوفة الأمير شكيب أرسلان التي أرسلها إلى لجنة تأبين الفقيد العظيم في دمشق.

يجتمع الناس اليوم في أمهات المدن العربية وفي كثير من أمصار الشام والعراق وفلسطين ومصر وغيرها لتأبين فقيد هذه الأمة الملك فيصل بن الحسين رحمه الله بمناسبة مرور أربعين يوماً على مصابه. وكأن جميع ما أقيم من المآتم والمناحات منذ حلت بالعرب هذه الفجيعة إلى الآن وجميع مانشر من أعلام السواد، وما احتشد من الجماهير التي تحصى بمئات الألوف لاستقبال نعش الفقيد العظيم، وما نشرته الجرائد العربية تباعاً من تأبينه ورثائه والتعريف بمناقبه، نعم كل هذا لم يبرد للعرب حرقة ولم يشف أواراً وتراهم في كل سهل وجبل حيارى وتحسبهم سكارى وما هم بسكارى، وهم يستزيدون بعضهم بعضاً من تأبين الفقيد نظماً ونثراً ومن الخطابة في هذا الخطب الأليم شفعاً ووتراً أملاً بشفاء الصدور من لوعة فراق حبيب الأمة العربية أحوج ماكانت هذه الأمة إليه. ولم تكن العواطف وحدها هي السبب في هذه المحافل التي لم يسبق لها مثيل فيما نعلمه من تاريخ هذه الأمة ولاكانت هذه المآتم المتصلة عبارة عن مجرد مناحات يشفي بها الإجهاش حرارة الصدور، بل كانت مظاهر وطنية ومواقف سياسية يريد العرب أن يقولوا فيها لكل من يتربص بهم الدوائر في شرق أو غرب ويبغيهم الغوائل في بعد أو قرب : إن كان فيصل قد مات فإن الأمة العربية ملأى حياة لم تمت، ويريد العرب بعد موت فيصل أن يحيوا فيصل في برنامجه وان يتخذوا هذا البرنامج قبلة سياسية يولونها وجودهم فإن فيصلاً لم يبلغ المنزلة التي كان بلغها في قلوب العرب إلا بهذا البرنامج الذي أصر وصمم على تنفيذه وشرّق غرّب في تأسيسه ومازال يسعى ويدأب ويجيء ويذهب حتى فاز بتطبيق القسم الأول منه، وكان لو فسح الله في أجله جديراً بأن يطبق الأقسام الباقية. وكأن الله كشف

لهذه الأمة عن سريرة هذا الرجل وجلي لها صورة ناحيته بارزة لاشائبة فيها ولاشبهة تحوم في ناحية من نواحيها، فأعلمها من إخلاصه في خدمتها ماينذر أن يكون قد توقد في صدر من صور ملوك العرب الذين عرفهم التاريخ، فلهذا تجد من رقة هذه الأمة وإجهاشها لفجيعة فيصل مالم تحدث عنه الرواة في عصر من الأعصر إلا ماكان من المصاب بالنبي الكريم عليه السلام والخلفاء الراشدين عليهم الرضوان الفاتحين الكبار كصلاح الدين وابن ناشفين وابن سبكتين واضرابهم. ولعمري أن فيصل إذا قيس بهولاء وبالخلفاء الكبار كأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون وعبد الرحمن الأموي صقر قريش وحفيده الناصر لم يكن عنهم مقصراً ولا كان هذا القياس منكراً لأن أولئك الملوك والخلفاء جاؤا في أعصر كانت ريح الرعب فيه تعصف في الآفاق لايقف في وجهها شيء فكانت رجولتهم قائمة على ساقها وهمتهم منبعثة من طبيعة محيطها فكانت نفوسهم العالية مساوية لنفوس أقوامهم مسايرة لماكان قد اتسع من سلطانهم فأما فيصل رحمه الله فقد جاء والبلاد غير البلاد والرجال غير الرجال والعرب تراثهم في أيدي الأجانب منتشرة، فأراد أن يرد على هذه الأمة ما غصبته الأمم من تراثها وأن يبعث تلك الحقوق الذاهبة من أجداثها وحاول أن يؤسس دولة بل أن يؤسس أمة، ولم يكن ذلك سهلاً مع تفكيك الأوصال وتفريق الأجزاء في الداخل وتكالب الأطماع وتعدد الأغراض من الخارج.

فحاول فيصل مرتقى صعباً ولكنه رقا وعالج صخراً أصم ولكنه أستنبط وأصمى وكان كل من يراقب سياسته ويتتبع خطواته يعلم أن له برنامجاً واحداً لايحيد عنه، يلبس له في كل طور لبوساً ولكنه لايزال في جوهره واحداً كأن يلين ولاينقطع ويشتد ولايغلظ ويتساهل ولكن ليكتسب ويتأخر ولكن ليثبت ويبدي من أساليب المرونة ما تحار له الأفكار، وهو صابر ويدور من كل جهة وهو لا يبرح قاصداً النقطة التي هو إليها سائر، وكان يكسو هذه السياسة المحضة المبنية كلها على تحرير أمته وتوحيدها ثوباً من الكياسة قلما نسجته اليد الإلهية وأفاضته على زعيم سياسي في هذا العصر. فكانت حياته "سياسة وكياسة" وكان برنامجه

"تحريراً وتوحيداً " فكان الهدف صعباً ولكن مهد له طريقاً جعله بدمائه خلقه سهلاً، وكان الكأس الذي سقاه المستعمرين الغاصبين مراً ولكنه عسل مصفى، ولهذا إذا قال الإنسان أن فيصل بن الحسين كان أسداً في صوف حمل وقنفذاً في ملاءة مخمل لم يكن أخطأ التشبيه.

وكثيراً ما أثنى عليه الأجانب وعددوا محاسنه وأظهروا ميلهم إليه واعترفوا بجاذبية شخصه وهم يعلمونه عدواً، وكثيراً ماكان يؤانسهم ويجاملهم ويتحدث إليهم بصدر منشرح ويستميل من عواطفهم ويستل من سخائهم وهو يعلمهم أعداءَ.

وقد ذكرت بعض الجرائد الفرنسية أنه لما زار فرنسا منذ سنتين وأدب له رئيس الجمهورية تلك المأدبة الحافلة جاء الحاضرين فقدم له الجنرال غورو فقال المرحوم وهو يبتسم : نعم أعرفه جيداً وقد تلاقينا إحدى المرار ... فقالت تلك الجريدة أن الملك فيصل كان يعرف إذاً أن يطارد في ميدان الكلام.

والحقيقة أن فيصل كان يريد أن يقول ذلك اليوم أنه لايخل بشيء من شروط الكياسة ولايجهل شيئاً من آداب الإجتماع ولكنه لا ينسى يوم ميسلون ... فناول الجنرال غورو من مجاملته كأساً لم تمنع عذوبتها أن يكون قعرها مراً.

وكان صبر فيصل بحر لاساحل له سواء على الأجانب أو على منكري الجميل والمكابرين في الحق من أبناء جلدته؛ ولكن صبره غير المتناهي هذا في ظاهر الحال وكظمه للغيظ إلى الحد الذي يفوق الإحتمال كان يؤثران في قرارة نفسه ويجرحان من صميم قلبه السريع الإنفعال، مما هدم صحته وأبقاه مدة طويلة روحاً مليئة في جسم ضئيل وانتهى الأمر بأن ضعف الجسم وانقطعت كل نسبة بينه وبين قوة الروح فغلب الغضب على القوة وانصرفت تلك الحياة الثمينة الغالية قبل أوانها، إذ كان يمكن فيصل لو أسعف القدر أن يخدم الأمة العربية ثلاثين سنة فوق ماخدمها إياه وإذا قيس المستقبل بالماضي كان يمكنه أن يعمل للعرب ما يدهش العقول ويزيد على أعمال من مضى من أولئك الفحول.

فالملك فيصل قد قضى إذاً شهيد انفعالاته وتأثراته وقتيل عواطفه وتحسراته في إيصال القضية العربية إلى الأمد الذي كان يريده لها، وكان يكظم في نفسه الوجد الذي يجده تحت جوانحه ولم يشف شيئاً من برحاء غرامه بالقضية القومية التي كانت ليلاه في هذه الدنيا، إلا قبل وفاته بسنتين إذ تمكن من كسر قيد الانتداب البريطاني على العراق وضمن الاستقلال التام لشطر من البلاد العربية التي كانت بأجمعها ترسف في قيود الانتدابات مقهورة مظلومة مغلوبة على أمرها.

وما كاد فيصل يحرز لأمته ما أحرزه ويبني لها البيت الذي بناه في وسط المجتمع الدولي حتى بلغ به جهده آخر مكمن من قوة في جسمه، وأنفذ عناؤه في إنارة سبيل قومه آخر. من زيت ذلك السراج المنير الذي وجد ليكون وهاجاً، فكانت حياته أشبه بحياة من عاش ليحيي قومه حتى إذا قطع من تلك السبيل المرحلة الأولى انتهت حياته وهو ينشد قول ابن دريد:

فإن أمــت فقــد تناهت همتي　　　وكل شيء بلغ الحد انتهى

وإن أنا لتني كلمة لمقادير الذي　　　أرومه لم آل في رأب الثأى

وكان فيصل المثال الأتم في المروءة وما زالت المروءة تؤذي قديماً وحديثاً وما كان أحراه بقول الإمام الشافعي رضي الله عنه: لو علمت الماء البارد ينقص من مروءتي ما شربته. فطالما صبر وتحمل الأذى وأجهد نفسه واستنزف نقده ووقته حباً بمروءته وخضوعاً لسلطان الحياء الذي كان غالباً عليه. كأن فيصل من سجاحة الخلق بحراً لا تكدره الدلاء، ولكنه كان مع ذلك جبلاً أشم لاتهزه العواصف، ولا تزعزعه الزعازع وكان يخفي وراء تلك النفس الحية والخلق اللين والوداعة المتناهية أنفة هاشمية إن لم يكن لها شاهد سوى قوله علناً في مؤتمر باريز(باريس) لممثلي الدول العظام يوم انعقد الصلح العام : عندما كان آباؤنا ملوكاً لم تكن دولة من هذه الدول الحاضرة قد برزت إلى الوجود، لكفاه ذلك شاهداً. وكان يخفي وراء هذه الرقة التي كان يسحر الناس بها وذاك التواضع الذي لاتكلف فيه صلابة تفل الحديد، فما رأيت له شبيهاً في الجمع بين الرقة

والمتانة والتواضع والأنفة سوى صلاح الدين يوسف الذي كان من أفراد الدهر في دماثة الخلق ورقة الطبع وهو مع ذلك في ميادين القتال البطل الغضنفر والأسد الهصور، وقد حدثني من أثق بروايته ممن رافق فيصل في اثناء ثورة الحجاز على الترك وكان حديثه هذا لي منذ أربع سنوات وهو من فرسان العرب المعدودين وممن تولوا أكبر أعمال تلك الثورة، قال لي أنه لم يجد في جميع من شهد معه تلك الوقائع رجلاً أعظم إقداماً وأثبت جناناً وأصبر على لظى الحرب من فيصل. ولولا فيصل ورباطة جأشه وسعة باله وسجاحة خلقه وكرم يده وثقوب فكره وبعد نظره لحبطت تلك الثورة من بدايتها لكثرة ما كان يحيط بها من العوامل القاضية بإحباطها.

وكان فيصل يشبه صلاح الدين أيضاً كان يقتحم المعارك وهو ملتث المزاج وقد يكون مريضاً والحمى عليه ولا يؤخره ذلك عن ركوب الجواد وغشيان ساحة الجلاد.

وقيل أن الحرب كانت تروح من عياء بدنه، وكذلك فيصل لم يكن يتأخر عن اقتحام المعارك لعلة ولا لعياء ؛ ولعمري إن ما أقدم عليه قبيل وفاته من السفر بالطيارة من أوروبا إلى بغداد ذهاباً وإياباً وهو مصاب بعلة القلب وسلخه في بغداد شهر أغسطس الماضي بلبيه وهو شاحب ضئيل لايعرف النوم إلا غراراً ولايذوق الطعام إلا لماظا؛ لهو أشد من خوض المعامع وغشيان الوقائع ومبالطة السيوف ومصارعة الصفوف...

وكأن فيصل كصلاح الدين لايفارقه كرم طبعه ولايزايله أدبه ولا بره بأصحابه ولو على فراش الموت، وقبل أن فاضت روحه الكريمة بنصف ساعة كان وزيراه نوري باشا ومحمد رستم حيدر بين يديه فشعر بشيء من الراحة فلم يكد يشعر بذلك حتى أشار عليهما بالإنصراف ليستريحا، وما مضت على ذلك دقائق حتى أتته النوبة القلبية التي فارق بها الحياة.

فأين يجد الإنسان هذه الأخلاق الكريمة التي لم تفارق فيصل حتى في أوان احتضاره ؟ وقد أخطرت في بالي هذه النادرة ما رواه القاضي بهاء الدين بن شداد عن صلاح الدين يوسف وهو أنه قبل وفاته بقليل طلب الماء ليشرب فاتوه

بماء فاتر فمجه وأشار إليهم أن يأتوه بماء بارد فأتوه بماء مثلاج فقال لهم بكل تؤدة: أما يوجد من يعدل هذا الماء ؟ ولما خرج من عنده القاضي بهاء الدين بن شداد والقاضي الفاضل قال القاضي الفاضل لرفيقه: ما نأسف على شيء أسفنا على فراق المسلمين لهذه الأخلاق، وانظر كيف صبر على بلادة خدمه في مسألة الماء ولم يزد وهو في سكرات الموت على قوله " أما يوجد من يعدل هذا الماء...".

وأنا أقول الآن: ما آسف على شيء أسفي على فراق العرب لهذه الأخلاق فأين يجدونها من بعد فيصل! وأي حلم يسع ماكان يسعه حلم فيصل، الذي عرف سيرته لم يجد الأحنف في جانبه شيئا.

كان رحمه الله من فرط حلمه وشدة حيائه كثيراً ما يتهم بالضعف ويعيّر بقلة الحزم، ولم يكن فيصل ضعيفاً ولاكان الحزم يفوته في موقف جد، وانما كان فيصل حيياً كريماً متجافياً عن كسر الخواطر وكأنما كان في جميع موارده ومصادره متذكراً أنه من سلالة ذلك القائل : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" والقائل أيضاً: " إن أحبكم إلى أحاسنكم أخلاقاً الموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون " ولقد خاطب الله تعإلى نبيه الكريم في كتابه العزيز بقوله" ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " إن النبوة وهي أعلى المراتب التي يمكن أن تصل إليها البشرية مع تأييدها بالمعجزات الباهرة والآيات المتواترة لم تكن لتكفل نفوذ الدعوة وانتصار الرسالة لو لم تجيء مقرونة بكرم الأخلاق ورقة الشمائل وأجدر بكل قائد ديني أو دنيوي أن لايبلغ من قادته أرباً إن فاتته السماحة والسجاحة. اني لمقترح على أولئك الذين عاشروا معاشرة طويلة تلك النفس الملكية في تلك الصورة البشرية أن يكتبوا نوادر ما عرفوه من كرم اخلاقها وطيب أعراقها وهم لايحتاجون في ذلك إلى تزيين ولاتظريف بل حسبهم أن يرووا الحوادث كما جاءت ويقيدوا النوادر كما أتت، فيكون كتاباً في حسن التربية والأدب ونبراساً تدرس فيه المكارم لناشئة العرب ويعلم الناس أن شاؤوا الأوائل ليس بأبعد من شاوؤا الأواخر وأن الكرم العربي بحر زاخر ليس له آخر.

لايكفينا أن نؤبن هذا الفقيد الكبير وأن نعرِّف بمناقبه الكثيرة ونسرد من أوصافه العبقرية، فمهما وجب هذا الفرض فهناك فرض أوجب وهو الاقتداء

بسيرته والسير على خطته واتخاذ برنامجه قطعياً تدور عليه رحى السياسة العربية فإن يكن قد انطوى فيصل في شخصه فلا تنطوي تلك الفكرة العالية التي ذهب شهيد تطبيقها، وإن يكن غاب عن الأنظار بوجهه الكريم فلم تبرح نصب الأنظار هاتيك الأمنية المقدسة التي كان يجاهد في تحقيقها. فقد جلس فيصل على عرش العراق وما زال حتى حققه عرشاً وأسس له دولة عربية حرة بنفسها قائدة لزمامها مستقلة بأحكامها، ولم يكن وهو يدأب في خدمة إخوانه العراقيين ليغفل لحظة واحدة عن اغاثة إخوانه السوريين وكأنما كان يقول لهؤلاء : دعوني أفرغ من أمر العراق وأعود منه إليكم.

فلما اطمأن فكره من جهة تحرير العراق عاد فاستأنف السعي في تحرير سورية وعلم الناس أنه لم يكن رائد تاج ولا باغي عرش وهما من فوقه ومن تحته ولكنه رائد نهضة عربية وباغي كرة تاريخية يعيد لأبناء جلدته مكانتهم الأولى. فإذا كان فيصل قد مات فليس في العرب من يقول أن القضية العربية قد ماتت بموته بل القضية العربية قضية أمة قد قال قائلها:إذا مات منا سيد قام سيد، ولمن يكن فيصل يحلم بأنه سيكون في هذه القضية الألف والياء، لأن الأمة التي تنهض بقيام شخص وتهوى بموت شخص لايكون لها نصيب حقيقي من الحياة بل الأمة الحية هي التي يكون كل جزء من اجزائها فيصلاً على قدر وظيفته. ولقد أوضح فيصل لنا الطريق ونهج السبيل وترك لنا برنامجه وابنه لنعمل بهذا ونؤيد عرش هذا ولا نفتأ نعمل حتى نرى الشام والعراق مملكة واحدة تحت تاج الملك غازي الأول، الذي نرجو أن يكون فيصلاً، وأن نجد هذه المملكة الواحدة متحالفة تحالف الأخوان مع أمامي الجزيرة العربية اللذين كان الفقيد يرى أن لابد لنهوض هذه الأمة من اتحاده معهما فأحسن ما يحيا به روح فقيدنا العظيم بعد استمطار الرحمة الإلهية على تلك الروح الطاهرة هو أن نتابع العمل بعد مماته لتنفيذ أفكاره وتحقيق أوطاره فذلك أسنى ما نرسله من التحايا إلى روحه ونضعه من الأزهار على ضريحه.

رسالة الفقيد العظيم إلى شعبه
قبل مبارحته بغداد للمرة الأخيرة

وجه جلالة الفقيد العظيم إلى شعبه الكريم الرسالة الآتية بمناسبة مبارحته عاصمة ملكه للمرة الأخيرة وهذه المرة الأولى التي يوجه فيها جلالته مثل هذه الرسالة وهذا نصها:

شعبي العزيز

أودع شعبي بناء على ضرورة إتمام الاستشفاء مؤملاً ألا يطول غيابي أكثر من ستة أسابيع وأنتهز هذه الفرصة للإعراب عن تقديري للعواطف النبيلة التي أظهرها أبناء شعبي المحبوب نحوي خلال أيام عودتي ولسهرهم الدائم على حفظ الطمأنينة والثقة بين جميع الطوائف بقرب تحقيق الأماني التي نسير جميعاً للوصول إليها.

إني سوف لا أدخر وسعاً في القيام بما يترتب عليّ من خدمة بلادي وشعبي مهما كلفتني من عناء مستعيناً بالمولى عز وجل متمنياً أن يوفقنا لما فيه الخير والصلاح.

فيصل

عطف جلالة الفقيد على الصحافة

حديث خطير لجلالة الفقيد العظيم

مع صاحب جريدة (الجزيرة)

لا غرو إذا ما تفجعت الصحافة العربية لفقيد مليك العرب وحامل لواء نهضتهم المغفور له الملك فيصل فإن ما حباها له من العطف والتشجيع والرعاية لم تألفه من غيره من الملوك والقواد والزعماء وهذا ما جعلها مدينة لجلالته، مسبحة بحمده، ناطقة بفضائله ومناقبه ومآثره.

الصحافيون في صف الزعماء

ولا أدل على تقديرجلالته للصحافة واعتماده عليها من الخطبة الضافية التي القاها يوم ٣أيلول سنة ١٩٣١ على زعماء العراق، إذ بسط لهم واجبات الزعماء حيال شعوبهم وواجبات الصحف أيضاً إزاء القضايا العامة، ومما جاء في ذلك الخطاب البليغ القيم:"الشعب وديعة الله في أيدي زعماء يحسنون انتمائها بقدر ما يكفلونه"حسب طاقته" على إلاستفادة من الظروف الراهنة والفرص السانحة متى عرضت وأحب أن أضع الصحافيين في صف الزعماء وأطلب أن يتقوا الله في الواجب المقدس الذي يتمتم عليهم القيام به ..."

عطف الفقيد على جريدة الجزيرة

ولما دعوت في جريدة الجزيرة التي عطلتها السلطات إلاستعمارية إلى لبس الفيصلية وتسمية أحد الشوارع الكبرى في دمشق باسم جلالة الملك فيصل وبذلنا في سبيل ذلك مجهودات عملية لدى الحكومة المحلية - وقد تقدم ذكر ذلك في أول كتاب - كلف جلالته سكرتيره الخاص بأن يكتب كتاباً باسم جلالته إلى كاتب هذه السطور

(بصفته صاحب جريدة الجزيرة ومحررها) يعرب له فيه عن إعجاب جلالته بخطة الجريدة وجهود صاحبها. وهذا ما جاء في الكتاب المذكور المؤرخ في ١٧نيسان سنة ١٩٣٣بالحرف الواحد: " وأمرني جلالته بأن أعرب لكم عن

استحسانه لما عقدتم النية على تنفيذه من الفكرة وعن قدرة لما بذلتم وتبذلونه من الجهود في سبيل إعلاء كلمة الأمة العربية وإعادة ماكان لها من عز غابر ومجد أثيل متمنياً لكم دوام التوفيق"

وقد تكرم جلالته بهذه المناسبة فأهدى إلى العاجز عشرين سداره عراقية من أفخر الإجناس وزعت بين فتيان الجزيرة الذين قاموا بالدعاية العلمية لهذه الفكرة.

المقابلة الأولى والأخيرة

وعندما مر جلالته بمدينة عمان في طريقه إلى أوروبا (في أوائل حزيران الماضي) رأيت من أقصى واجباتي أن أتشرف بمقابلة جلالته فخففت مع من زحف من الوفود الكثيرة إلى عمان. وفي الساعة الحادية عشرة والدقيقة ١٥ من صباح يوم الثلاثاء الواقع في صفر سنة ١٣٢٥هجرية ٦حزيران ١٩٣٣تشرفت بمقابلة جلالته مقابلة خاصة في بهو قصر رغدان ودار بيني وبين جلالته الحديث قمت حالاً إلى تسجيله في مفكرتي الخاصة.

أجل أنا لا أذكر أن جلالته أوصاني بعدم إذاعته الحديث في الصحف نظراً لخطورته، بيد أنني من جهة أخرى أرى من واجب الأمانة في عنقي وواجب الوفاء للفقيد أن أدونه لأن في ذلك ما فيه خدمة التاريخ ونصرة القضية الوطنية.

خلاصة الحديث

وبعد أن استفسر جلالته عن أسباب تعطيل الجزيرة "قال أن القضية السورية ولاتزال مطمح أنظاري وموضوع اهتمامي منذ فارقت بلادكم، ولكن هذه القضية قد تحل في مرحلة واحدة، وقد تحتاج إلى مرحلتين أو أكثر فعليكم أن لاتستسلموا لليأس والقنوط، ولكن اطمئنكم بأن بقاء البلاد على وضعها إلاستعماري الحاضر أمر مستحيل والسبيل الوحيد لحل هذه القضية في وقت قريب هو إلاتحاد والثبات..

تقدير جلالته لوطنية السوريين

ثم قال جلالته : ويسرني أن الأمة السورية برهنت على شدة تعلقها بأمانيها القومية إذ وقفت موقفاً مشرفاً إزاء المعاهدة وأبى المفاوض السوري التوقيع عليها ما دامت لاتعترف بالوحدة السورية، ولو فرضنا - لاسمح الله -إن المعاهدة عقدت واشتملت على المدن الأربع فقط لكان في ذلك ضربة قاضية على آمال البلاد ولتأخر حل القضية السورية بما لايطابق الأماني الحرة عشرين سنة على الأقل.

يضحي بسورية في سبيل وحدة القطرين

ثم تابع جلالته قائلاً : ولقد اتهمني البعض عن وجودي في سورية بأنني أعمل لمصلحة الفرنسيين واتهمني غيرهم بعد ذلك بأنني أعمل لمصلحة الإنكليز، ولكن الأيام قد برهنت وأخذت تبرهن لكم حقيقة المبادىء التي اعتنقها والآمال التي أنشدها .

نعم إنني ضحيت بسورية وتوجهت إلى العراق ولكن في سبيل إتمام البرنامج القومي المعلوم وهو انقإذ القطرين وتوحيدهما، إذ لايمكن لسورية أن تعيش لوحدها خصوصاً بعد أن بلغ العراق ما بلغه من السيادة والاستقلال.

اهتمام الحكومات بمشروع الفقيد

وقال جلالته: إن فكرة توحيد القطرين قضية عالمية على جانب عظيم من الأهمية والخطورة، وثقوا بأنه ليست فرنسا وحدها هي التي تقاومها بل هي التي تهم انكلترا كما تهم ايطاليا والمانيا وتركيا وروسيا وأميركا وغيرها من الحكومات والدول فعليكم إذاً أن تتذرعوا بالحكمة والحزم والثبات وإلاتحاد كما اوصيتكم.

تفويض جلالته والتمسك بالبيعة

وقبل ختام الحديث : قلت لجلالته أن دمشق احتلفت منذ أيام بتأبين والدكم الجليل واحتشد زهاء ستة آلاف نسمة في حي الميدان وقرروا بالإجماع تفويض

جلالتكم لحل القضية السورية وأعربوا عن تمسكهم بالبيعة.

وهذا نص القرار الذي اجمعوا عليه وطلبوا إلي إيصاله إلى جلالتكم (فتسلمه جلالته).

فتيان الجزيرة

ثم قلت لجلالته : كان لزيارة أبنائكم رسل الوحدة العربية (أفراد الكشافة العراقية) للبلاد الشقيقة أثر طيب في هذه البلاد فحبذا لو تتكرر مثل هذه الزيارات، وقريباً ستتألف فرق قومية في سورية باسم فتيان الجزيرة تسير على مبادىء جلالتكم وتستمد من روحكم الطاهرة ما تحتاج إليه من قوة وإخلاص وثبات فأرجو أن تشملوها برعايتكم. فابتسم جلالته وقال مرحباً بالفكرة: بارك الله فيكم وأخذ بأيديكم.

مهجر الشعوب العربية

ثم قلت لجلالته : كان لتصريح جلالتكم بأن العراق سيكون مهجراً للشعوب العربية صدى استحسان في جميع الأمصار الناطقة بالضاد، وعلى الأخص في سورية لأننا معشر السوريين في حاجة قصوى (ولاسيما في هذه الأيام العصيبة السوداء) إلى ملجأ نلوذ به ونهاجر إليه. فأجابني جلالته : معإذ الله أن تحتاجوا إلى مهجر، إن سورية والعراق قطران شقيقان ولابد أن تزول الحواجز بينهما قريباً إن شاء الله.

وهنا دخل مرافق جلالته وأعلمه بأن وفداً من شباب شرقي الأردن يريد مقابلة جلالته فوقفت لأودع جلالته وأنا لاأشعر بالزمن الذي قضيته في حضرته ولثمت يديه بحرارة وقلت لجلالته " أرجو أن نحتفل قريباً بتشريف جلالتكم إلى بلادنا مع زعماء المبعدين ".

دمشق

محمد تيسير ظبيان

صاحب جريدة الجزيرة

فيصل في الفترة بين الدورين
(سوريا، والعراق)

برح الأمير فيصل دمشق في مساء يوم ٢٣تموز من سنة ١٩٢٠ إلى الكسوة حيث لحق به بعض وزرائه واتباعه من السوريين وغيرهم، وركب القطار الحديدي منها إلى درعا ففلسطين فالبلاد الأيطالية حيث قصد بلدة (كوما) القائمة على البحرة التي تعرف بإسمها قبل أن يقصد بلاد الإنكليز.

فلقد ترك السلطة والحكم في دمشق وخرج منها لايملك من حطام الدنيا شيئاً وهو الذي كان في خلال الحرب وبعدها يوزع الليرات على أشياعه وأتباعه بعشرات الألوف كأنه يجود بعشر ليرات فكان خروجه منها بهذه الصورة مدعاة إلى إلافتكار الطويل والتأمل في أسباب فشل الشعوب والأمم في ماتسعى إليه وتصبو إليه.

اعتقد اعتقاداً جازماً بأن فيصلاً لم يعتقد لحظة حتى استلم إنذار الجنرال غورو بأنه خطر في بال الجنرال أو بخواطر رجال الحكومة الفرنسوية معاملته يوماً من الأيام هذه المعاملة، لذلك لم يأخذ لهذا اليوم أهمية، فقد برح دمشق دون مال، يكاد يكون معدماً وأعطى المال القليل الذي كان معه لأغراض سياسية يقام بها بعده في الخارج كما سترى في ماسيجيء.

ومما يلاحظ بهذه المناسبة أنه قبل ارسال الإنذار الفرنسي إليه وقبل موقعة ميسلون وقبل خروج فيصل كان قنصل انكلترا قد برح دمشق إلى خارجها مما يدل على وقوف السياسة على ما يراد علمه. فلما تلقى الأمير الإنذار وأراد أن يطلع عليه رجلاً انكليزياً مسؤولاً لم يجد أمامه أحد، فاضطر الأمير ورجال السرايا أن يستخرجوا نسخة منه على الآلة الكاتبة وان يستدعوا سليم (البخاري) نصف ليلة ٢١تموز وأن يسألوه مبارحة دمشق في تلك اللحظة إلى حيفا فمصر ليبلغ نصوحي بك البخاري المعتمد العربي في القاهرة وقتئذٍ صورة منه. وهكذا كان.

فقد وصلت القاهرة في مساء ٢٢تموز وكنت في الوكالة العربية في صباح ٢٣منه فاستخرجنا نسخة من هذا الإنذار وحملها نصوحي بك البخاري في ذات اليوم إلى القائد الإنكليزي العام المصطاف في الإسكندرية. إلا أن الحوادث كانت قد تقدمت المداخلات السياسية. ففي ٢٤تموز كانت الجنود الفرنسوية قد دخلت وحدث بعد دخولها ما حدث.

في ليلة ٢٢تموز شعر بعض المشتغلين بالسياسة في دمشق أن اللعبة التي لعبوها دون ذكاء كبير قد انتهى اجلها لسوء الحظ، وأنهم سيضطرون إلى مبارحة العاصمة السورية للخارج فاتفقوا مع السلطة التي كانت دخلت في دور النزع على اجراء بعض الدعايات في الخارج فأخذ الأستاذ حبيب اسطفان والسيد عارف والدكتور أمين معلوف ٥٠٠ ليرة ذهباً لانفاقها على الدعاية اللبنانية في أوروبا وأخذ الاستاذين رياض بك الصلح وسعدالله بك الجابري مبلغ ألف ليرة ذهبية أو أكثر لإنشاء جريدة عربية في القاهرة فلما دخلت الجنود الفرنسية دمشق ورأى الأستاذ عارف بك مفتش عدلية سوريا سابقاً بعين الحكمة أنه سوف لايقدر أن يخرج فرنسا من سوريا بخمسمئة ليرة ذهباً، وكان الدكتور معلوف لايزال محجوزاً في فلسطين التفت إلى الاستاذ حبيب أسطفان الذي كان أمين صندوق هذا الوفد اللبناني المؤلف للدعاية وقال له:

(اعتقد يا أستاذ أن مهمتنا قد انتهت هنا فأعطني حصتي مما معك وسأعود إلى سوريا). فقد قبض حصته من مبلغ الخمسمئة ليرة ذهباً وعاد بحراً إلى بيروت.

ولما وصل الدكتور معلوف إلى القاهرة أخذ من الأستاذ أيمن خوري، خمسين ليرة ذهباً. وسافر هذا الأخير بالقيمة الباقية إلى كوبا فأميركا الشمالية بعدئذ.

أما الأستاذ رياض بك ورفيقه. فبعد أن تردد زمناً اشتريا قسماً من مطبعة ثم خانهما المال اللازم لإصدار جريدة لائقة، وقد باع أو أهدى رياض بك هذه المطبعة بعد شهور لدار الأيتام في القدس.

إلا أن فيصلاً كان في حاجة إلى المال ليبحر إلى إيطاليا فاستعان بأبيه فأرسل إليه ألفي ليرة ذهبية ووعده بإرسال غيرها، وأبحر قاصداً وجهته متكلاً على الله بعد لمس (الإنصاف) بيديه.

كان فيصل ضعيف البنية من صغره حتى أنهم كانوا يقولون عنه بأنه كان (مصدوراً) وكثيراً ماخشوا عليه هذا الداء. فلما صدم هذه الصدمة العنيفة الهائلة في دمشق وأثر ذلك في نفسه تأثيراً عظيماً جداً، حتى أن الذي كان يرى فيصلاً بعد مبارحته العاصمة السورية كان يعتقد أنه ينظر إلى تمثال من شمع. فلو أن طبيباً فصده في كل عروقه لما نزلت منه نقطة من الدم. ولكن ما الحيلة وما العمل بعد وقوع الملمات فقد مات مافات فقد وجب عليه أن يعيد بالحكمة ما ذهبت به الفوضى " وضعف التدبير" وفقد التجارب والخطيئات.

لندع فيصلاً على شواطىء بحيرة كوما التي تشبه جبالها التي تحيط بها جبال البلاد السورية، وتحسب بحق من أجمل مناظر البلاد الإيطالية، لندعه يفاوض رجال السياسة الذين عرفهم بما وقع له، ولننظر إلى حدثين عارضين مهممين يجهلهما معظم السوريين إلى ألآن ولايعرفون سرهما. أولهما انفصال الشرق العربي عن سوريا بعد خروج فيصل، وثانيهما مجيء الأمير عبد الله إلى عمان.

بعلم جميع الذين تتبعوا القضية العربية ـ ولو في تاريخها الحديث - أن الشرق العربي كان في عهد الأمير فيصل جزءاً من سوريا. ففي شهر نيسان من سنة ١٩٢٠عينت الحكومة السورية مظهر بك رسلان - مظهر باشا رسلان اليوم - متصرفاً للسلط فقصد مكان وظيفته في منتصف حزيران تلك السنة. ولما برح فيصل دمشق كان مظهر في السلط ولما استلم الجنرال غورو السلطة وتألفت الوزارة السورية الجديدة نسيت - على ما يظهر - أن وراء حدود درعا حكومة هي جزء من حكومة سوريا فبقى مظهر بك رسلان في السلط حاكماً يكاد يكون مستقلاً لايرتبط بالقدس ولا يتصل بالشام، وغاية ما في الأمر أن ضابط الارتباط الإنكليزي في قاعدة متصرفية يتصل به حيناً بعد حين. وقد استقل

مثقال باشا الفايز في قرية (أم العمد) - وهي قرية صغيرة تبعد قليلاً عن عمان ـ والمضحك المبكي أنه أعلن فيها ذات يوم استقلاله وألف وزارة.

فكيف تخلت الحكومة المنتدبة عن هذا الجزء من سوريا وكيف نسيته حكومة دمشق وكيف انفصل عنها. وهل كان هنالك اتفاق عليه بين السلطتين الإنكليزية والفرنسية ثمناً لحادث الأمير فيصل في دمشق أو أنه جاء عرضاً ؟ لا أعلم .

ولكني لا أعلم أية قيمة تبقى لسوريا بعد أن انفصلت عنها كيليكيا التي استولى عليها الترك بقوة عصاباتهم وبعد أن انفصل عنها الشرق العربي. فقد كان مثلها مثل رجل قطعت يداه ورجلاه ولم يبق منه غير رأسه وصدره. لم يكن غرضنا من بيان الخطيئات التي ارتكبت في تلك السنة المشئومة سنة العشرين لما وسعها كتاب بطوله وعرضه. ولكنها فكرة عرضت لنا في خلال البحث فأشرنا إليها بهذه السطور.

أما قضية مجيء الأمير عبد الله إلى عمان فهي أولى وأجدر بالذكر لأهميتها ولأنها لاتزال مجهولة من كثيرين من الناس .

قلنا إن خروج فيصل من دمشق ترك هذه المنطقة العربية معلقة في الفضاء فلا هي سورية ولاهي فلسطينية ولا هي مستقلة، وقد بقيت كذلك شهوراً من تموز حيث كان العرب لايزالون مأخوذين بقوة النكبة وهول المصاب الذي شهدته دمشق إلى شهر كانون الأول من ذات السنة، إذ وردت اشارة من جده تفيد أن الأمير عبد الله سيبرح معان قريباً قاصداً عمان وأنه يجب علي أن اقابله فيها في الموعد المضروب.

فعند استلام هذا الكتاب جمعت حقيبتين وقدمت القدس. فما وطأتها قدماي حتى استدعاني المستر ستورز إليه وكنت أعرفه معرفة تامة من القاهرة منذ كان موظفاً كبيراً في وزارة المالية المصرية إلى أن انتقل إلى الوكالة البريطانية إلى أن تولى حلول القضية العربية في ثورتها الحجازية، وقال لي أنا أعرف جيداً إنك مسافر إلى عمان لمقابلة الأمير عبد الله فيها. أليس كذلك؟

- نعم.

- لا أمنعك من السفر إليها.ولكني أود أن أكلفك بمهمة لديه. فهل تود أن تقوم بها؟

- على الرأس والعين.

- لقد سافر قبلك مظهر بك رسلان من السلط إلى عمان بمثلها. ولما كنت اعرف ما لك من الدالة على الأمير عبد الله أحب أن اكلفك بهذه المهمة لديه.

- وماهي؟

- قل له إننا لانعارض في مجيئه إلى عمان أو إقامته في الشرق العربي/ ولكننا لا نحب أن نظهر أمام العرب بمظهر المرغمين على قبول إقامته وتعيينه على هذه المنطقة. فليقم في عمان أسبوعاً أو أسبوعين إذ شاء. وليبرحها بعد ذلك ونحن مستعدون للاتفاق معه على ما يريده.

- أهذا كل ما تود تعهد به إليّ؟

- نعم .

- سأقوم به بكل أمانة وماعلى الرسول إلا البلاغ.

ولما كانت السيارات قليلة - حتى تكاد تكون معدومة في تلك الأيام - بين القدس والسلط أعطاني وجيه فلسطين راغب بك النشاشيبي سيارة إليها. وركبت منها جواد إلى عمان يصحبني دليل سلطي فوصلتها في الساعة الثانية عشرة ليلاً تحت وابل من المطر بعد سفر شاق أثقل الدليل سمعي فيه في قوله.

عجل يا بك.الطريق مش أمان. خايف يقتلونا العرب في الطريق. فكنت أقول في نفسي حينما أسمع منه هذا القول (لكل أجل كتاب). على أني ما كنت لأحب كثيراً أن أترك باريس التي فارقتها منذ ثلاثة شهور لاجيء فأقتل على هذه الحال بين السلط وصويلح وعمان.

وصلت عمان ونزلت ضيفاً على أحد وجهائها الشركس ونمت تلك الليلة ملء جفوني، وفي صباح اليوم الثاني قصدت المحطة لاستقبال الأمير عبد الله القادم مع رجاله فوصلها في نحو الساعة التاسعة صباحاً، وكان في انتظاره شيوخ العرب ووجهاء الشرق العربي وجماعة من السوريين الذين غادروا دمشق بعد خروج

الأمير فيصل. وكان المستر كركبرايد (ملاحظاً) انكليزياً فيها.

وقد ظهر لي بأن إلانكليز يحاذرون أمراً واحداً وهو أن يكون قدوم الأمير عبد الله سبباً في حدوث شغب ـ مقصود أو غير مقصود ـ يقلق الإنكليز في هذه الجهة أو يعكر صفوالعلاقات بينهم وبين الفرنسيين على حدود سوريا.

وقد جاء المحتفلون بالأمير من محطة السكة الحديدية إلى دار البلدية الكائنة في ساحة وسيعة أمام دار البرق والبريد للاحتفال به، ألقيت الخطب الحماسية واحتك الأمير ببعض الخارجين من دمشق احتكاكاً دل بكل وضوح على حالته الروحية وما كان يود أن يقوم به.

كان بين الخطباء الشيخ كامل القصاب الذي وقف في الجموع فرحب بالأمير وشكره على (تلبيته) دعوة الوطنيين مشيراً عليه بالزحف على دمشق لاسترداد الملك الضائع.

وما كان يلفظ الشيخ الخطيب هذه الكلمات أو ما هو في معناها حتى تغيرت ملامح الأمير عبد الله وظهر التأثر عليه ولكنه لم يقل شيئاً. ولما انتهى جميع الخطباء من خطبهم وقف الأمير فشكر لهم حسن ترحيبهم وقال لهم في ماقاله " أنا رجل صريح لذلك اسمحوا لي أن أكلمكم بكل حرية. أنا أشكر وطنيتكم وحميتكم العربيتين وإذا كنت قد أتيت إلى هنا، فلم أجيء بناءً على طلب أحد أو دعوة أحد بل أتيت تلبية لنداء نفسي ووطنيتي. وعملاً بحريتي اسمحو لي أن أقول لكم أنني لا أسمح لأحد منكم أن يلعب بي مثل ما لعبتم مع أخي فيصل في دمشق.قال هذا وجلس وما كادت هذه الكلمات تخرج من فيه حتى سقطت كحمم البراكين على بعض الرؤوس، وظهر سوء تأثيرها في نفوسهم وتأكدوا أن الأمير عبد الله سوف لايزحف معهم ببعض البنادق (المكسرة) على حدود سوريا[1].

١- لما خرج الأمير ببعض حشمه وخدمه من معان إلى عمان لايملك غير بعض البنادق والخراطيش وقليلاً جداً جداً من المال داهمه العربان في وسط الطريق ـ لاعتقادهم بأن الإنكليز أعطوه ذهباً للزحف على سوريا - وحاولوا سلبه، فأراد بعض رجاله مشاكستهم ومقاتلتهم فمنعهم من ذلك . وأخيراً تركوا عربة السكة أو القاطرة يسيران إلى عمان. وكان يريد بعض السوريين على أثر هذا الحادث أن يزحف الأمير (برجاله) !! لاخراج فرنسا من سوريا.

أما المستر كركبرايد الذي كان حاضراً هذا الإجتماع فقد أشرق وجهه بشراً وسروراً. وطير بعد الظهر برقية إلى القدس يخبر الحكومة فيها بما كان فهدأت الخواطر مما سيكون.

وصل الأمير إلى المحطة فسلمنا عليه. وأول ما وقعت العين على العين، التفت إليّ وقال:

- لقد (قربنا عليك الخطوة) ثم اختليت به فأسررت إليه المهمة والبلاغ الذي عهد به المستر ستورز. فاستبشر الأمير خيراً. وابتسم قائلاً لي:

- أنا مريض. وقد جئت عمان للاستشفاء. ولا أعلم متى أشفى من مرضي.

هذا من جهة ومن جهة اخرى إذا كان المجيء بيدي فالرجوع ليس بيدي فهل يسمح لي العرب هنا - بدواً وحضراً - بالرجوع إلى الحجاز. يجب أن تسافر غداً إلى القدس وأن تقابل المستر ستورز وأن تفهمه هذه الحقيقة، وسيسافر معك عوني بك[٢] لهذه الغاية.

ولقد قضينا شهراً بكامله نروح ونجيء كالمكوك بين القدس وعمان. إلى أن تم الاتفاق على بقاء الأمير في عاصمته.

ومن الغريب المؤسف أن يقال بعد هذا الذي علمناه ولمسناه لمس اليد أن الإنكليز هم الذين جاؤوا بالأمير عبد الله وهم الذين كلفوه بكيت وكيت. وإني لاعتقد اعتقاداً جازماً أن مجيء الأمير عبد الله من معان إلى عمان كان أعظم عمل عمله لخدمة القضيتين السورية والفلسطينية. فقد قام به مريداً مختاراً على رغم ضعف الوسائل بين يديه وقحط الرجال. وإني لآسف كل الأسف حينما أقرأ هذه الحملة في الصحف عليه واتهامه ببيع البلاد حيناً إلى الإنكليز وحيناً

٢- كان الأستاذ عوني بك عبد الهادي في عمان وقد جئنا القدس معاً. فالتقينا ببدوي قرب السلط هددنا بالقتل أو نركبه معنا، فأرضيناه ببعض النقود وخلصنا منه، وقبل أن نصل إلى الغور وجدنا سلطياً قتيلاً قتله العرب أخذاً بالثأر ورفيقه إلى جانبه ملطخة يداه بالدم فسألنا أن نركبه معنا لينجو بحياته وطلب أن نركب حماره أيضاً فاعتذرنا وأرسلنا إليه جنوداً من أول نقطة لإنقاذه.

إلى إليهود. فلقد كان بعض كتبة الصحف العربية بلاء على أمتهم وبلادهم منذ عهد فيصل في دمشق إلى عهد عبدا لله في عمان إلى الآن. وسيظلون هكذا ما بقيت أمتهم في غفلة عن مفاسدهم إلى أن يقضوا على هذه البقية الباقية من هذا الاستقلال العربي الموهوم الباقي وتبيت الأمة العربية أثراً بعد عين.

انتهت الحرب عن حالة قلقة مشوشة في كل بلاد العرب. وقد جاء خروج الأمير فيصل من دمشق. وكان الحجاز غير مطمئن على مستقبله بسبب حركات ابن السعود. وكان العراق في ثورة أو شبه ثورة قبل أن اضطرمت نارها. واندلعت وكانت فلسطين تشكو الشكوى مما هي فيه، فلم يكن من الممكن في شكل من الأشكال أن تخرج الأمة العربية التي اشتركت في الثورة التي مرت، وضحّت ما ضحته من الرجال بهذه النتيجة دون أن تصاب المدينة والأخلاق والفضيلة والسمعة الإنكليزية بأقبح لطخة عرفها التاريخ منذ بدء هذا الهجوم.

فما استقر بالأمير المقام في بلدة كوما حتى أخذ يكاتب محبيه في بلاد الإنكليز ويقدم لهم البيانات على ماكان من أمره في دمشق. وكان والده يفاوض الحكومة الإنكليزية في مكة بواسطة رجالها ومعتمدبها في الحجاز فخطر لهذه الحكومة في لندن أن تصلح الخلل الذي حدث وأن تداوي الحالة السيئة في العراق بأن تهدي إلى الأمير فيصل بعرش العباسيين فاستدعته إلى لندن حيث ذهب إليها، وبعد أن قام فيها زمناً أبحر إلى بغداد ليستلم مقدرات البلاد العراقية والأمة العربية فيها.

الفهرس


B899,009
دينار واحد
B899,009


A036,325
خمسة دنانير
E. Hilton Young
A036,325


A003,813
مائة دينار
E. Hilton Young
A003,813

ديوان الدوق

اليوم هو أحد أفضل المباني القديمة التي ما تزال محافظة على تماسكها العمراني في وسط عمان وهو يحتل الطابق الثاني من المبنى الذي يحمل رقم (١٢) شارع الملك فيصل بجانب البنك العربي كشاهد واضح على جمال التراث المعماري في العاصمة الأردنية.

بناه المرحوم عبد الرحمن باشا ماضي عام ١٩٢٤، وتم استئجاره من قبل البريد المركزي لحكومة إمارة شرق الأردن، الجديدة النشأة حتى نهاية الأربعينيات من القرن الماضي في عام ١٩٤٨، ولمدة نصف القرن الثاني، أصبح يعرف بفندق حيفا، يتكون البناء، من خمس غرف مختلفة الأحجام مرتفعة السقف يربطها صالون متوسط الأرضية مغطاة ببلاط مربع الشكل ذو لونين الأسود والأخضر، ونوافذ واسعة ومقوسة، تحتل معظم مساحة الجدار السميكة، وتسمح تلك النوافذ للضوء والهواء بالانتشار في الداخل. أما الواجهة الرئيسية المطلة على شارع الملك فيصل المزدحم بالمشاة والسيارات، فهي أيضاً مكونة من الحجر المعاني الأبيض المنقوش بعناية وتُزينه أعمدة ذات قمم منحوتة بدقة بالغة أيضاً، وفي منتصف الواجهة توجد شرفة واحدة مُسيجة بقضبان حديدية ومتصلة بالصالون الرئيسي، من خلال بابين مرتفعين، وعلى كل جانب للشرفة نافذتان واسعتان، ويتوج كل نافذة قوس من الحجر. أما المدخل الرئيسي للبناء فيقع على شارع الملك فيصل وهناك ٢٨ درجة من البلاط الأصفر تؤدي إلى الداخل.

في عام ٢٠٠١، لفت هذا المبنى انتباه ممدوح بشارات "دوق المخيبة" الذي فكر بدور جديد للمبنى، فأستأجره من عائلة ماضي وأطلق عليه اسم "ديوان الدوق" وبهذه الخطوة أراد الدوق أن يحول هذا البناء إلى أنموذج ومشروع رائد، لمواجهة انتشار ثقافة الإسمنت والألمنيوم التي تكتسح إحدى أقدم المدن في التاريخ "فيلادلفيا" والتي أصبحت تعرف اليوم بعمان؛ وذلك بهدف المحافظة

على هوية المدينة وشخصيتها العربية حية في ذاكرة أهلها وسكانها إضافة إلى ذلك هناك غرض آخر مواز لهذه المبادرة الفريدة وهو بناء الوعي بين أفراد المجتمع حول أهمية الجزء القديم من عمان وحمايته من الآليات التي تهدم كل ما هو قديم باسم التحديث والنشاط التجاري الربحي المحض، وآراء الدوق حول هذا الموضوع واضحة وبسيطة من عبارته "لا يمكننا إلاستمتاع بحديثنا إذا أهملنا تراثنا وماضينا"، وعلى المستوى العملي فالديوان مفتوحة أبوابه لكل المواهب شيبها وشبابها سواء في الموسيقى أو الرسم أو الشعر أو المسرح أو الأدب وما إلى ذلك، ولقد شهد الديوان منذ افتتاحه العديد من اللقاءات والنشاطات الأدبية والفنية المميزة، وتعقد بين الحين والآخر بين جنباته ندوات ومناقشات حول تاريخ عمان وشارك فيها بعض أصحاب السمو من الأمراء والكتاب والمثقفون والمؤرخون والأكاديميون والدبلوماسيون والطلاب وأصدقاء عمان القديمة والباب مفتوحاً لكل منهم بتاريخ وفنون العمارة القديمة وخاصة لمدينة عمان.

وقد يأتي يوم تذكر فيه كتب ووثائق مدينة عمان، إن هذا الديوان كان ملتقى للتبادل الثقافي، ومركزاً لتشجيع المواهب الواعدة، ومنبراً للحوار المفتوح الحر حول مواضيع مختلفة، بدءاً بالمحافظة على بيئة نظيفة ومروراً بالفنون الجميلة والهندسة والتاريخ، وانتهاء بالدارسة خارج المنتج المقرر والصداقة.

لقب الدوق

أنعم به الراحل الملك الحسين طيب الله ثراه، على السيد ممدوح بشارات نظراً لمساهماته وخدماته لأبناء مجتمعه.